مؤسسة نواصري للطباعة والنشر

نواصري
للطباعة والنشر

المسيلة في : 2022/05/29

شهـــادة نشـــــر

يشهد مسؤول مؤسسة نواصري للطباعة والنشر الكائن مقرها بـ حي تعاونية الشيخ المقراني بالمسيلة بأن:

د: **عبد الغني حروز**، قد نشر له كتاب تحت عنوان: **الحركة الفكرية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي**

(408 - 461 هـ/ 1017 - 1070 م)

تحت رقم (**ISBN :978-9931-749-72-1**) أفريل 2022.

وذلك بناءا على عقد النشر الممضى مع المعني.

ملاحظة: قدمت هذه الشهادة لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون.

مسؤول المؤسسة

نواصري للطباعة والنشر
تعاونية الشيخ المقراني
المسيلة

العنوان: تعاونية الشيخ المقراني، طريق إشبيليا- المسيلة هاتف/ فاكس: 035.35.31.08 البريد الالكتروني: imp.nouasri@gmail.com

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
Faculty of Humanities and Social Sciences
Deputy Dean in charge of Post-Graduation,
Scientific Research and External Relations
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة المكلفة بما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

الرقم: 583/ك ع إ ع ا ن ب ع ع خ/2021 المسيلة في: 28 سبتمبر 2021

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

لجلسة يوم: 18 فيفري 2020

بخصوص الموافقة على كتاب

اجتمع المجلس العلمي للكلية في دورته العادية بتاريخ: 18 فيفري 2020.
ووافق على الكتاب الموجه للنشر في ديوان المطبوعات الجامعية، بعد ورود تقارير الخبرة الايجابية.

للأستـــاذ (ة): حروز عبد الغني
الـــــــرتبة: أستاذ محاضر (أ)
عنـــوان الكتاب:
"الحركة الفكرية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي
408-461ه/1017-1070م"

سلمت هذه الشهادة للمعني (ة) بطلب منه (ا) لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون

رئيس المجلس العلمي

الأستاذ: صالحي ...
رئيس المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

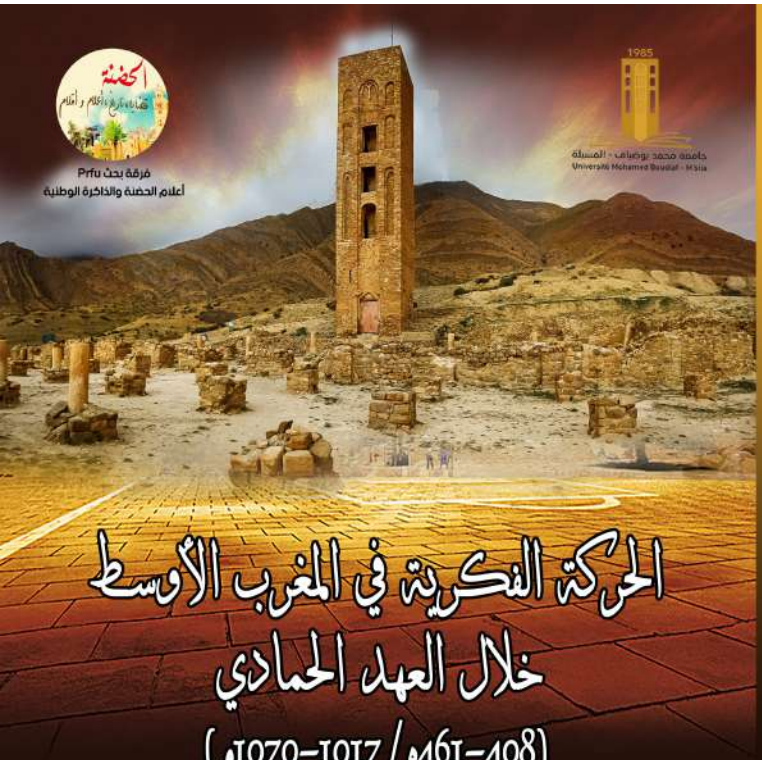

الحركة الفكرية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي
(408-461هـ / 1017-1070م)

د. عبد الغني حروز

الحركة الفكرية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي (408-461هـ / 1017-1070م) د. عبد الغني حروز

المؤلف في سطور

د. عبد الغني حروز: من مواليد 1983 بحمام الضلعة المسيلة، أستاذ محاضر بقسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، حاصل على شهادة اليسانس والماجستير والدكتوراه في التاريخ الوسيط من المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة بالجزائر، كما تحصل على شهادة التأهيل الجامعي من جامعة محمد بوضياف بالمسيلة؛ باحث في الحضارة العربية الإسلامية في المشرق والمغرب خلال العصر الوسيط، مهتم بتراث الغرب الإسلامي (النقلي والعقلي) ؛ له مشاركات علمية في ملتقيات وطنية ودولية، كما له العديد من المقالات العلمية في المجلات الوطنية والدولية.

التعريف بالكتاب

جاء هذا الكتاب ليميط اللثام عن جانب من الجوانب الحضارية لبلاد المغرب الاسلامي بصفة عامة وبلاد المغرب الأوسط بصورة خاصة، حيث يهدف هذا الكتاب إلى إبراز الحركة الفكرية التي كانت سائدة بالمغرب الأوسط خلال العهد الحمادي خاصة فترة قلعة بني حماد باعتبارها قاعدة وأساس لازدهار حضارة مدينة بجاية فيما بعد، كما يهدف هذا الكتاب إلى إماطة اللثام عن بعض القضايا والوقائع في تاريخ الحركة العلمية من علماء وعلوم، كما يبرز العلاقات التي ربطتها مدينة القلعة مع باقي الدول الاسلامية والأوربية مشرقا ومغربا.

العنوان: حي ثعابنية الشيخ المقراني -إشبيليا- مقابل جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - الجزائر.
تلفاكس: 035.35.31.08
imp.nouasri@gmail.com
ISBN: 978-9931-749-72-1
الإيداع القانوني: أفريل 2022
نواصري للطباعة والنشر

الحركة الفكرية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي

(408-461هـ/1017-1070م)

د/ عبد الغني حروز.

هذا الكتاب بالتعاون مع:

فرقة بحث: prfu

أعلام الحضنة و الذاكرة الوطنية

مخبر الموروث العلمي و الثقافي

لمنطقة تامنغست

اسم الكتاب: الحركة الفكرية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي

(408-461هـ/1017-1070م)

اسم المؤلف: د. عبد الغني حروز

الكتاب رقم :01 من سلسلة الكتب الأكاديمية لفرقة البحث: أعلام الحضنة و الذاكرة الوطنية

– إشراف: د/ عبد الغني حروز.

طبعة أولى: 15 رمضان 1444هـ/ 16 أفريل 2022

ردمك: 978-9931-749-72-1

عدد الصفحات: 193 صفحة

الناشر: نواصري للطباعة والنشر

إيميل: imp.nouasri@gmail.com

العنوان: حي تعاونية الشيخ المقراني –إشبيليا– مقابل جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر.

الآراء الواردة في الكتاب تعبر عن آراء صاحبها ولا تتحمل دار النشر مسؤوليتها

جميع الحقوق محفوظة

نواصري
للطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أمي و أبي أطال الله في عمرهما .

إلى لباسي الطاهر زوجتي.

إلى فلذة الكبد أبنائي عمران و كمال.

إلى أخوتي و أخواتي.

إلى كل من ساهم في بناء وطننا الغالي الجزائر.

مقـــــدمة

مقدمة:

لقد حظيت الدولة الحمادية- في فترة القلعة - بالمغرب الإسلامي باهتمامات الباحثين و المفكرين، سواء من حيث تطورها السياسي، أو من حيث التطور الاجتماعي و العمراني ، لكن في المقابل بقي الجانب الفكري مغمورا.

صحيح أن هناك بعض الدراسات التي اهتمت بالحياة الفكرية للدولة الحمادية لكنها دراسات ظلت مهتمة بالدولة ككل، إن لم نقل التركيز كان على مرحلة انتقال الدولة إلى بجاية بصورة أكثر، و كما هو معلوم أن أي نهضة علمية أو ثقافية ازدهرت في أمة من الأمم خلال حقبة من الحقب، إلا و كان ازدهارها نتيجة الأفكار الأولى التي قامت عليها و المكان الذي ولدت فيه و تزاوجها بثقافة و حضارة خارجية وفدت عليها، و يتوقف بلوغ ذلك الازدهار على وعي تلك الأمة التي تلقت الحضارة الخارجية، و على أوضاعها الدينية و السياسية و الاجتماعية الاقتصادية، و مدى استعدادها لتلقي تلك الحضارة، و لا غرابة في ذلك فإن نهضة أي بلد لا تنشأ من العدم، و لا تزدهر دون أن تتوفر لها عوامل النجاح، و لا تبلغ أوجها منعزلة عن غيرها من النهضات، و إنما تنمو متأثرة بها متفاعلة معها، و ما التطور الحضاري إلا ثمرة نشاط البشرية.

و ما التطور الحضاري الذي وصلت إليه الدولة الحمادية بالقلعة خلال القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي. لهو أكبر دليل على الإرث الكبير الذي ساهمت به في بناء هذا الصرح الكبير من تاريخ المغرب الإسلامي طيلة قيامها و حتى بعد سقوطها.

و قد حاولنا في هذا الكتاب تسليط الضوء على هذه الدولة مركزين على مرحلة القلعة، و ذلك بدراسة الجانب العلمي منها، خاصة الأوضاع العامة قبيل قيام الدولة الحمادية- القلعة- ، مع التركيز على الأوضاع الثقافية بوجه أدق ، موضحين دور الحكام في الحياة الفكرية، ثم تطرقنا إلى عوامل ازدهار الحياة الفكرية بالقلعة، فالمؤسسات التعليمية و الدراسات المتداولة، فالعلوم و أبرز العلماء منهين دراستنا بالعلاقات الثقافية للقلعة مع بقية الدويلات بالمغرب و الأندلس .

و تكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يكشف فترة هامة من فترات التاريخ الإسلامي بالمغرب الأوسط و يبرز لنا البواعث الأولى للحركة الفكرية بالمغرب الأوسط عامة و الدولة الحمادية خاصة فترة القلعة، باعتبارها دولة سنية تأسست بعد رحيل الفاطميين نحو المشرق.

و مما دفعنا إلى تناول هذا الموضوع أيضا أهميته التاريخية خاصة الجانب الحضاري التي خلفته هذه الدولة بقلعة بني حماد.

و قد كانت الرغبة في توضيح بعض الجوانب المهمة من الدولة التي لا تزال بحاجة إلى الدراسة و التمحيص خاصة الجانب الثقافي لما له من أهمية بالغة في إحداث التطور الحضاري للأمم و الشعوب و حافزا لنا في تناول هذا الموضوع بالدراسة.

لقد تبادر إلى ذهننا و نحن نهم بالولوج إلى هذا الموضوع جملة من التساؤلات ، كانت هي الإشكالية التي دفعتنا إلى البحث فيه لخصناها في الأسئلة التالية :

- ما هي الأوضاع العامة التي كانت سائدة قبيل قيام الدولة الحمادية– القلعة– ؟
- ما هي العوامل التي ساهمت في ازدهار الحياة العلمية بالقلعة ؟
- و ما مظاهر الحياة العلمية في هذه الدولة ؟و من أبرز العلماء فيها ؟
- و ما مدى تأثيرها في الدول المعاصرة لها و تأثرها بها؟

هذا إلى جانب بعض الإشكاليات الجزئية التي سنحاول الإجابة عنها في ثنايا الكتاب .

لقد وردت أخبار الدولة الحمادية متفرقة في بعض المصادر التاريخية ككتب الرحلات و الكتب التي تناولت المغرب ككل، و الكتب التي أرخت للدول المعاصرة للدولة الحمادية، لاسيما دول المغرب و الأندلس.

أما في العصر الحاضر نجد مجموعة من الدراسات الأثرية عن الدولة الحمادية و القلعة على وجه التحديد قام بها بعض الأثريين الأوروبيين و الجزائريين. و قد تناولت كتب هؤلاء موضوعنا بشكل غير مباشر .

ومن هذا المنطلق ارتأينا الخوض في غمار هذا الموضوع لعدة اعتبارات :

أولا: من أجل بيان أن القلعة كانت بمثابة الوسيط خاصة في الجانب الثقافي بين إفريقية والمغرب الأقصى والأندلس فحقق لها ذلك ارتباطها التجاري بهذه المناطق.

ثانيا: البحث في استثمار الحماديين في القلعة لخراب القيروان من خلال انتقال علمائها و فقهائها إلى القلعة وبالتالي انتقلت معهم كتب الفقه المالكي مثل الموطأ والمدونة و العتبية و سائر العلوم بالإضافة إلى الحرفيين.

ثالثا: رغبة منا في زيادة عدد المراجع التاريخية التي تتحدث عن قلعة بني حماد خاصة في جانبها الحضاري لسبب أن معظم الدراسات كانت تصب في الجانب الأثري للقلعة.

رابعا: الرغبة الشخصية في خوض غمار هذا الموضوع.

و اتبعنا في كتابنا هذا منهجية تاريخية تقوم على استقاء المادة العلمية من المصادر المتنوعة ثم توثيقها مراعين للأمانة العلمية، كما حاولنا تحليلها ومقارنة ما جاء فيها من نصوص حول القلعة ببعضها البعض.كما اعتمدنا على الاقتباس المباشر لترسيخ المعلومة بغزارة النقل ، لذا عددنا جوانب المنهج الذي اتبعناه كالأتي :

– المنهج الوصفي الذي اعتمدنا عليه بالدرجة الأولى في معرفة الأوضاع العامة للمغرب الأوسط، بالإضافة إلى وصف المظاهر الثقافية بالقلعة من مدارس و مساجد...

– منهج التحليل التاريخي، باعتباره المنهج الذي يعتمد على رصد الأحداث التاريخية ، و تحليلها تحليلا موضوعيا من أجل الوقوف على ازدهار الحياة الثقافية بالقلعة و فهم العوامل التي كانت وراء بروزها و تطورها، و توضيح و تفسير تأثيراتها المختلفة على الدولة و المغرب الأوسط معا ، و بالتالي الخروج بنتائج يمكننا من خلالها إلقاء الضوء على ما يميز مرحلة الدراسة.

– كما اعتمدنا على المنهج الاستقرائي من أجل الوصول إلى لب الموضوع .

و قد قسمنا كتابنا هذا إلى : مقدمة و مدخل و خمسة فصول و خاتمة.

المدخل:

تناولنا فيه الأوضاع العامة قبيل قيام دولة بني حماد، مركزين على البدايات الأولى لتأسيس مدينة القلعة و قيام الدولة الحمادية.

الفصل الأول: و عنوانه **عوامل ازدهار الحياة العلمية بالقلعة .**

و فيه تطرقنا إلى عوامل ازدهار الحياة الفكرية، إذ استخلصنا مجموعة من العوامل بغية معرفة التلازم القائم بينها وبين الازدهار الثقافي للقلعة، وربطنا بينها وبين التطور الفكري في القلعة.

الفصل الثاني : و عنوانه **المؤسسات التعليمية بالقلعة .**

و عالجنا فيه المراكز الفكرية والثقافية التي تعتبر أشهر معالم الحضارة والفكر بالقلعة حيث أحصينا أهم مراكز و حواضر الثقافة بالقلعة من مساجد و مكتبات و زوايا و كتاتيب و مجالس العلماء، موضحين دورها في بناء حضارة القلعة ، و تشكيل جيل من العلماء سيكون له الدور الكبير في الحضارة العربية الإسلامية ببلاد المغرب.

الفصل الثالث : و عنوانه **العلوم و أبرز العلماء بالقلعة .**

و فيه بدأنا بتصنيف العلوم منتقلين إلى عرض أهم العلوم النقلية و العلوم العقلية

كما عالجنا فيه العمران و الفنون التي كانت موجودة في القلعة ، منتهين برصد أهم العلماء الذين درسوا في القلعة أو مروا بها أو ولدوا و انتقلوا منها.

الفصل الرابع : و عنوانه **العلاقات الثقافية الخارجية للقلعة** .

وناقشنا فيه العلاقات الثقافية للقلعة مع بقية الدويلات، و البلدان المجاورة سواء في المغرب أو الأندلس أو حتى مع المشرق الإسلامي و كذا البلاد الأوروبية.

الفصل الخامس : و عنوانه **اضمحلال القلعة و انتقال الدولة لبجاية** .

و تطرقنا فيه إلى اضمحلال مدينة القلعة و زوال دورها و ذلك بانتقال عاصمة الدولة إلى مدينة بجاية ، و عرجنا أخرا إلى أهم ملوك و وزراء الدولة في هذه المرحلة .

ثم انهينا الكتاب بخاتمة ضمناها ملخصا لأهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

و في الأخير لا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في انجاز هذا الكتاب من قريب أو من بعيد، و نخص بالذكر الأستاذ الدكتور مبارك بوطارن رئيس قسم التاريخ و الجغرافيا بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة– الجزائر–

و الله أسأل أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الكريم، و صلى الله على نبينا و حبيبنا محمد صلى و على آله و صحبه و سلم.

الدكتور: عبد الغني حروز
حمام الضلعة في: 15 **رمضان** 1443 **هـ**
16 **أفـريل** 2022 **م**

الفصل التمهيدي:

الأوضاع العامة قبيل قيام الدولة الحمادية

1- الموقع الجغرافي للقلعة

2- تأسيس القلعة 398هـ/1007م

3- قيام الدولة الحمادية

4- أمراء بني حماد قبل الانتقال إلى بجاية

5- خريطة دولة بني حماد الحدود و المواقع

تمهيد:

مما لا شك فيه أن الدولة الحمادية من أبرز الدويلات التي ظهرت بالمغرب الإسلامي، حكمت المغرب في العصر الوسيط الإسلامي، و يعتبر ظهورها إبرازا لذلك العصر السياسي ، من عصور المغرب الإسلامي، الذي قسم فيه المغرب بين أمراء مختلفين و مشتتين، يسعى كل منهم لتوسيع رقعة بلاده.

و يمكن أن نلقب هذا العصر بعصر الانفصال ، إذ أنه يمثل الدور الرابع من أدوار الحياة السياسية في المغرب الإسلامي– إذ اعتبرنا أن عصورا سياسية ثلاثة قد سبقته

و هي : عصر الولاة " الفتوح" و عصر الممالك العربية المستقلة " الأدارسة و الأغالبة و الرستميين" و عصر الدولة الفاطمية[1] " 292/362هـ" الذي ازدهرت حضارة شمال إفريقيا فيه فارتقت الآداب و العلوم و تقدمت الصنائع من نجارة و حدادة و زركشة و بناء و غيرها، كما ازدهرت التجارة برا و بحرا لاتساع رقعة الدولة الفاطمية.و اعترى الفكر المغربي هزات تركت طابعها في مجتمعه بوضوح، و أهم ما يلحظ في ذلك هو إشاعة تيارات فكرية مختلفة كالدعوة إلى التشيع و تثبيت فكرة المهدوية في النفوس و نصرة التعاليم الفلسفية المشوبة بضروب السحر لخدمة ذلك، و تسخير الأدب و الشعر لهذه الغاية ، كما أن الحكومة عملت على تنظيم الدعايات الدينية و السياسية تنظيما دقيقا، و إحداث مناصب هامة كداعي الدعاة و أعوانه و تعزيز ذلك ببيت الحكمة، و محاولة القضاء على المذهب السني لإحلال المذهب الشيعي الإسماعيلي محله، و دراسة تفريق النحل و غيرها. إن هذه الظواهر كلها حدثت في عصر الفاطميين في بلاد المغرب و أثرت على مجرى الأحداث فيه، و أيقظت النفوس الغافية فتحركت مناصرة و معادية،و نبغ كثير من العلماء و الأدباء في هذا العصر.[2]

و يوافق هذا العصر فترة الإزدهار الثقافي و ازدهار الوعي السياسي البربري بظهور دولتي صنهاجة الشمالية بني زيري بافريقية " 362/543هـ" و بني حماد بالقلعة و بجاية.

أما إذا جئنا للحديث عن البوادر الأولى للدولة الحماية و الظروف التي واكبت التحضير لتشكيل هاته الدولة الناشئة في المغرب الأوسط، فترجع بداياتها إلى الفترة التي

---

[1] – عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري, ط2, دار الصحوة, القاهرة, 1991م, ص ص ، 109 ، 110.

[2] – رابح بونار :المغرب العربي تاريخه وثقافته, ط2, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1981,

أستخلف فيها آل زيري بن مناد الصنهاجي عن العبيديين[1]المغرب الذي كان يشعل نارا بالفتن الناشئة عن النزاع القائم بين الفاطميين والأمويين في الأندلس، وما كادوا يتغلبون على الأمويين حتى بدأ الخلاف بينهم، وبعد موت بلكين تولى ابنه المنصور الحكم بدولته الزيرية وجعل حماد على رأس أشير والمسيلة[2] حتى يرد هذا الأخير قبيلته زناته[3] المتحالفة مع الأمويين.بعد موت المنصور خلفه ابنه باديس الذي أبقى عمه حماد في عمله وأفراده فيه عام 387هـ، وكان باديس يستقدم عمه حماد على صبره ليطفئ الثورات، وفي سنة 395هـ خلفه لمحاربة زناته واشترط عليه حماد ولاية المغرب الأوسط وكل ما يتم فتحه على يديه، فقبل الشرط، وفي سنة 398هـ إختط حماد مدينته الجديدة (القلعة) وكان ينزل بها و بأشير.

هكذا ظل في المغرب الأوسط يقاتل زناته وينتصر عليها في أكثر من مرة فعظم صيته، وبلغ باديس فخشي أن يخرج عن طاعته وبعد تعيين المعز بن باديس 403هـ ولي للعهد لأبيه,أراد المعز أن يختبر حماد فأرسل إليه بأن يتنازل له عن مدينة قسنطينة والمدن المجاورة لها فأبى حماد ذلك ودخل في حرب أسفرت في الأخير عن تأسيس الدولة الحمادية.

كان آل زيري يبدون الولاء للعبيديين لكن الحقيقة كانت عكس ذلك وبدخول حماد قطع كل صلته معهم وادعى صراحة ولاءه لبني العباس.

وإثر هذا جهز باديس الجيش لقتال حماد الذي استطاع الانتصار عليه، فخرج باديس شخصيا لقتال عمه حماد فانتصر عليه حتى حاصره في القلعة.

وبينما كان حماد محاصراً، توفي باديس واستخلفه المعز، وسار المعز لقتال حماد سنة 408هـ/1017م وأخرجه من باغاي وجرح حماد واستطاع أن ينجو بنفسه.[4]

---

[1] – العبيدين :نسبة إلى عبد الله المهدي و هو مؤسس دولة العبيدية – الفاطمية– في بلاد المغرب ، و قد استطاعوا إقامة دولة ذات حضارة راسخة دامت نحو 300 عام . عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي, ج3, ط1, مكتبة مدبولي, القاهرة, 1994م, ص 71

[2]– ابن خلدون (عبد الرحمان): كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مكتبة القاهرة، ج6،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 1971، ص171.

[3] – زناتة :قبيلة كبيرة كانت تعيش حياة البدو و الرحل ، و كانت تتواجد في المناطق التي تمتد بين نهر الشلف و المحيط الأطلسي ، و كانت فروع أخرى منها تعيش في المناطق التي تمتد في المغرب الأوسط . للمزيد أنظر : محمد بن عميرة : دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984، ص15 ،16.

[4]– محمود شيت الخطاب: قادة فتح المغرب العربي، ط7،دار الفكر، 1984، ص230.

مال حماد بعد هذه الواقعة إلى السلم وأرسل إلى المعز يعرض عليه طاعته فتم الصلح بينهما واستبقى المعز حماد على ملكه السابق.

وابتداء من 408هـ تفرعت صنهاجة[1] إلى دولتين:

* الدولة الزيرية الصنهاجية التي حكمت في افريقية و كانت مستقلة عن الدولة الفاطمية استقلالا ذاتيا- فيما عدا الفترة الأخيرة من عمرها عندما قطعت صلتها بالدولة الفاطمية- إلا أنها تمتعت بحركة كبيرة و بأحوال اقتصادية ممتازة، نجمت عن تحول خط التجارة بين البلاد الإفريقية و المشرق عن طريق بلاد النوبة[2] إلى المغرب، و من بينها القيروان[3] التي كانت عاصمة للدولة الزيرية ولقد خطت هذه الدولة نحو التقدم و الازدهار العلمي خطوات تعد أعظم و أجل ما شهدته البلاد الإفريقية. و كانت عاصمتها القيروان التي تعد العاصمة الثالثة للثقافة العربية الإسلامية بعد بغداد و قرطبة، و أتاح هذا كله للدولة الزيرية أن تولي اهتماما للعلم و الأدب يفوق الوصف، فكان أن ظهر في عهدها أبعد الأدباء و القراء و الكتاب الإفريقيين ذكرا مثل ابن رشيق و ابن شرف، و إبراهيم الحصري و علي بن عبد الغني الحصري.[4]

* الدولة الحمادية الصنهاجية التي تولت الحكم في المغرب الأوسط.

هذا الوضع المتأزم والصراع الدائم على السلطة أدى إلى عقد اتفاقيات بين طرفي النزاع مما يؤكد أهمية الاحتماء، فسمح ذلك بإيجاد طرق دفاعية لحماية العاصمة الجديدة .

---

[1] – هي قبيلة بربرية ترجع أصولها إلى العصور التاريخية القديمة ، و كانت تشغل المجال الجغرافي الممتد من الحدود الشمالية الشرقية لجبال الاوراس إلى مدينة تنس، و تروي المصادر التاريخية أنها كانت تعيش حياة متنقلة بين منطقة و أخرى؛ ابن خلدون : العبر ،ج6، ص179.

[2] – بلاد النوبة : هي من البلاد المشهورة و القواعد المذكورة منها كوشة، و علوة، و دنفلة،و بلاف، و سولة ، و هي من مدن بلاد الحبشة و بقية الجنوب و أرض الناجوين ؛أبو عبد الله الشريف الإدريسي : المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس ، مطبعة بريل ، ليدن، 1866، ص ص ، 13 ،14.

[3] – و هي إحدى اكبر الحواضر بالمغرب و هي مدينة من مدن المغرب الأدنى – افريقية- بناها عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ لتكون قاعدة لتثبيت الفتح و مركزا لنشر الإسلام كما أرادها عقبة أن تكون : " عزا للإسلام إلى أخر الدهر " ؛ – يوسف بن أحمد حواله: الحياة العلمية في افريقية 450/90هـ،ج1،ط1، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2000، ص145؛ ابن عبد الحكم : فتوح مصر و المغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، ج1، الأمل للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1999، ص 265.

[4] – يوسف بن أحمد حواله: المرجع السابق، ص111.

1- الموقع الجغرافي للقلعة:

بنيت قلعة بني حماد أو قلعة أبي الطويل كما يسميها البكري في سنة 398هـ/1007م على منحدر وعر، على الحدود الشمالية لسهول الحضنة على مسافة 36كلم من المسيلة- حاليا تقع قلعة بني حماد شمال شرق مدينة المسيلة[1] (انظر الخريطة 01 ص 39)

و هي مدينة اختطها حماد بن بلكين (ت419هـ/1028م)، لقول عبد الوهاب النويري (ت 732 هـ/1331م) :" و هي على جبل عجيسة البرنسية "[2] و هو جبل عظيم من جبال كيانة.[3]

في حين أطلق عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1405م) على الجبل الذي اختطت فيه مدينة القلعة (398هـ/1007م) اسم كتامة.[4] غير أن هذا الاسم هو اسم لقبيلة و الأصح هو كيانة و هذا ما تؤكده فيما بعد المصادر الجغرافية و التاريخية الأخرى.

و يحيط بقلعة بني حماد من ناحية الشمال قمة تاقربوست[5] الحصينة، التي ذكرها ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) في وصفه لموقع القلعة : " قلعة حماد مدينة متوسطة بين أكم [6] و أقران، و لها قلعة عظيمة على قمة جبل تسمى تاقربوست..." [7]

أما من ناحية الشرق فهي تشرف على وادي فرج،و يحضنها من الناحية الغربية جبل الغورين.[8] و تطل من ناحية الجنوب على شط الحضنة و سهوله الفسيحة لقول أبو عبد الله

---

[1] – و هي من مدن المغرب الأوسط يرجع تأسيسها إلى أوائل القرن العشر ميلادي،و بالضبط 315هـ/927م للمزيد أنظر : الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م،الجزائر ،2007،ص،ص 74،75 ؛أحمد أبو عبد الرزاق: الأدب في عصر دولة بني حماد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1979م،ص66.

[2] – هي بطن من بطون البرانس من ولد عجيسة من برنس، و يدل هذا لاسم على البطن الذي تنتمي إليه، و كان منهم من يسكنون في جبل القلعة للمزيد انظر : ابن خلدون : العبر ،ج6، ص ص 172 ، 173.

[3] – النويري عبد الوهاب : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق ، محمد أبو ضيف أحمد ، دار النشر المغربية،، الدار البيضاء، 1984، ص34.

[4] – ابن خلدون : العبر ،ج6،ص 202.

[5]– تاقربوست: معناها باللغة البربرية السرج و حول العرب هذه التسمية إلى جربيسة، و هذا الجبل يحمل في التاريخ إسم جبل كيانة ، و يسمى أيضا حاليا بجبل المعاديد(المعاضيد) للمزيد انظر : إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1980،ص 119.

[6] – أكم : الجبل ، و جمعه إكام مثل جبل و جبال.للمزيد أنظر ، ابن منظور : لسان العرب،ج1،تصحيح أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 1999، ص 173.

[7] – ياقوت الحموي : معجم البلدان،ج4،دار صادر للطباعة و النشر، بيروت ،1984م،ص390.

[8] – إسماعيل العربي: المرجع السابق،ص119.

الشريف الإدريسي 587هـ/1152م : " ...و أمامها في جهة الجنوب أرض سهلة متصلة بالانفراج، لا يرى الناظر فيها جبلا عاليا و لا شرفا مطلا ، إلا على بعد منها،و على مسيرة أربع مراحل يرى جبالا لا تبين ".[1]

فضلا على اتصالها الجغرافي بسهول الحضنة لقول النويري 732هـ/1033م : "..و إطلاله – أي جبل عجيسة الذي بنيت عليه– على بحيرة الحفنة –الحضنة– و اتصالها بسهول فسيحة، و سمو علوه و لصعوبة ارتقائه."[2] (انظر الملحق 01 ص 126)

و بذلك يتضح طبيعة الموقع الحصين[3] الذي شيدت عليه مدينة القلعة، و هذا ما تحدثت عنه مصادر التاريخ و كتب الرحالة و الجغرافيين، مثل أبي عبد الله البكري 487هـ/1094م الذي عاصر تأسيسها و سجل ملاحظته بقوله : " .. و هي قلعة كبيرة ذات منفعة و حصانة.."[4]

تميزت القلعة بمزايا إستراتيجية كبيرة أكثر من عاصمة الزيريين لأن حماد سارع لتحصينها وعمرها بسكان المسيلة وأولاد حمزة, إضافة إلى أنها ازدهرت ازدهارا كبيرا جعل منها قبلة لطلبة العلم وبعد زحف عرب بني هلال على افريقية أصبحت محط سكان القيروان فاضطر أهلها للتوجه إلى القلعة هروبا من بطش بنو هلال ، فكان لهم الفضل في تطويرها.

ويذكر الإدريسي أن: «....مدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيراً وأوسعها أموالا وأحسنها قصوراً ومساكن....وهي في سند جبل سامي العلو صعب الارتفاع وقد استدار صورها بجميع الجبل ويسمى تقربوست وأعلى هذا الجبل متصل ببسيط من الأرض. »[5].

" و كانت مدينة القلعة مثلثة الشكل، تزينها عدة أبواب محصنة و تشتمل على قصور عظيمة، رشيقة البنيان من بينها " قصر البحر" برسمه المائي البديع، غير أنه لم يبق من كل ذلك

---

[1] – الإدريسي: المصدر السابق،ص109.

[2] – النويري :المصدر السابق، ص341.

[3] – ما يؤكد حصانتها أيضا ما أوردته المصادر أن موقع القلعة كان محتلا من قبل من طرف الرومان ، و من المعتقد أنهم أقاموا قلعة في نفس الموقع؛ مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق ؛سعد زغلول عبد الحميد،ط2،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،دار النشر المغربية، الدار البيضاء،1986، ص 167.

[4] – أبو عبيد الله البكري: المسالك والممالك, ج2,تحقيق فن لويفن و أندري فيري،الدار العربية للكتاب،تونس، 1992 ، ص710؛مؤلف مجهول: المصدر السابق،ص167؛ياقوت الحموي :المصدر السابق، ص389.

[5]– أبو عبد الله الشريف الإدريسي: المغرب العربي من " نزهة المشتاق في اختراق الأفاق "، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص9.

إلا الأطلال ، و الصومعة التي لا تزال قائمة، و قصر المنار بواجهته التي تشقها خطوط كبيرة على غرار قصور بلاد ما بين النهرين."[1]

و إلى هنا يمكننا أن نتساءل لماذا لم تتخذ أشير كعاصمة للدولة الحمادية رغم ما عرفت به من إستراتيجية الموقع وحصانتها الطبيعية وكونها نقطة وصل بين الشرق والغرب,من افريقية إلى تيهرت [2] وعلى الطريق التي تصل تلمسان بالأوراس. فيمكن أن يكون إبعادها كعاصمة هامة يعود لكونها منطقة غير آهلة بالحركة ثم أن القبائل الرحل الآتية من الشرق تهددها باستمرار، والمدينة تطل على أراضي زناته إلى جانب أن أشير [3] كانت عاصمة الزيريين، كل هذا جعل حماد في اعتقادنا يبادر بإنشاء عاصمة جديدة ليبرهن بذلك على استقلاله التام. كما أن الموقع الجديد الذي اختاره لمدينته يقع في موطن كتامة وهو يعرفه جيدا فطبيعته قاسية ومسالكه وعرة ويمكن حمايته بسهولة وبإعداد قليلة من الجند كونه موقع محصن طبيعياً.

[1] – الفن المعماري الجزائري: سلسلة فن و ثقافة –وزارة الأخبار–،الجزائر ، جوان 1970،ص 28.

[2] – تيهرت: مدينة كبيرة من مدن المغرب الأوسط، كانت فيما سلف مدينتين كبيرتين، إحداهما قديمة و الأخرى محدثة،فالقديمة منها ذات سور على قمة جبل ليس بالعالي، و بها خيرات المزارع و المياه المتدفقة ، و هي في سفح الجبل يدعى جزول و لها ثلاثة أبواب باب الصفا و باب المنازل و باب المطاحن، و تتميز بقساوة المناخ،و تيهرت الحديثة في قبليها لواتة و هوارة و غربيها زواغة و مطماطة و زناتة و مكناسة و في شرقيها حصن هو تاهرت القديمة ؛الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ،ص28.

[3] – أشير : مدينة من مدن المغرب الأوسط تم إنشائها بعد قرار من زيري بن مناد الصنهاجي في أيام القائم بأمر الله سنة 324هـ و تعتبر أول الحواضر الثقافية الزيرية التي أصبحت فيما بعد تابعة للدولة الحمادية ، تتكون مدينة أشير من ثلاث تجمعات بشرية : منزه بنت السلطان، و أشير و بنية.للمزيد انظر : الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص – ص 104، 114.

2- تأسيس مدينة القلعة :

يرجع الفضل في اختطاط و تأسيس مدينة قلعة بني حماد عام 398هـ/1007م[1] إلى الأمير حماد بن بلكين بن زيري بن مناد[2], الصنهاجي (تـ 419هـ/1028م) [3] الذي اتخذها عاصمة لإمارته التي انفصلت عن الدولة الزيرية. و في ذلك يقول ابن خلدون : «...و اختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان و تسعين، و هو جبل عجيسة ،و ولى العهد قبائل عياض من عرب هلال. ونقل إليها أهل المسيلة و حمزة و خربهما. و نقل جراوة من المغرب و أنزلهم بها، و تم بناؤها و تمصيرها على رأس المائة الرابعة. و شيد من بنيانها و أسوارها، و استكثر فيها من المساجد و الفنادق فاستبحرت في العمارة و اتسعت بالتمدن. ورحل إليها من الثغور و القاصية و البلد البعيد و طلاب العلوم و أرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف و الحرف و الصنائع بها ».[4]

و كانت القلعة هي حصن أمراء بني حماد، الذي يلجئون إليه وقت الخطر، كما كان الحال مع المهدية[5] بالنسبة للفاطميين و بني زيري و القصر القديم بالنسبة للأغالبة. و المنصورية بالنسبة للفاطميين في أخريات أيامهم بافريقية.

و قلعة بني حماد تعتبر من أعاظم القلاع التي أنشأها المسلمون في تاريخهم، و هي تقارن بقلعة حصن الأكراد بالشام و التي بناها الصليبيون في الشام و استولى عليها صلاح الدين و كذلك قلعة صلاح الدين في القاهرة.[6]

---

[1] – النويري: نهاية الأرب, ص 341, ابن خلدون: العبر, ج6, ص 202 .

[2] – من ملوك قبيلة صنهاجة، التي ملكت المغرب الشرقي– الأدنى– و المغرب الأوسط من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجري ، و كان بجانب أبيه زيري بن مناد في الحروب التي قام بها لمساندة الدولة الفاطمية الناشئة بالمغرب، يرجع له فضل توحيد المغرب من طرابلس إلى فاس ؛للمزيد:معجم مشاهير المغاربة، تنسيق أبو عمران الشيخ ،تقرير ناصر الدين سعيدوني، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر ، 1995،ص86.

[3] – ينسب حماد إلى قبيلة صنهاجة البربرية, أما تاريخ مولده فليس معروفا على وجه الدقة, حيث قيل أنه ولد قبل استقلال والده بلكين بن زيري بحكم المغرب, وذلك عام 361هـ/971م, تربى في قصور الخلافة مع أبناء الخلفاء الفاطميين الحاكمين في إفريقية آنذاك. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي, ج4, ط1, مكتبة مدبولي, القاهرة, 1994م, ص 268 .

[4] – ابن خلدون: العبر, ج6, ص 202 .

[5] – المهدية :"303/308هـ" مدينة جليلة بناها عبيد الله بشبه جزيرة جمة بين سوسة و صفاقس ، و لما أتم بنائها أطلق عليها اسم المهدية ، و نقل إليها حكومته سنة 308هـ واتخذا عاصمة دولته، و قد وصفها الأديب التيجاني في رحلته بالقرن السابع الهجري فقال : " المهدية مدينة جليل قدرها ،شهير في قواعد الإسلام ذكرها، و هي من بناء عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين.؛ رابح بونار : المرجع السابق ،ص 130.

[6] – حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب و الأندلس،دار الرشاد و مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية،مصر،1992،ص173

و يرجع الفضل في تشييد هذه القلعة إلى حماد الذي استطاع بوسائل عدة أن يبرز نفسه كرجل جدير بتأسيس دولة مستقلة في المغرب الاسلامي, حيث فرضت شخصيته على الدولة الزيرية (ت 386هـ/796م)[1], أن تستعين به في القضاء على مشاكلها الداخلية والخارجية, وذلك لما عرف به من ذكاء وفطنة[2] و حنكة سياسية وعسكرية[3] حيث يعود أول ظهور لحماد بن بلكين[4] على مسرح السياسة في المغرب الإسلامي, إلى العهد الزيري وتحديدا إلى عهد أخيه المنصور بن بلكين حوالي 377هـ/987-988م [5] حيث عقد له على أشير والمسيلة بالتداول مع أخيه ياطوفت وعمه أبي البهار[6] .

ونظرا لاتساع أعمال المنصور, ومحاربته للعدو على جبهتين إحداهما زناته في الغرب, والمشاكل السياسية الناجمة عن المنازعين له في الحكم, مما أضطره إلى تكليف حماد بحرب زناته, حيث أتخذ من أشير عاصمة له, وكتب له على ولايتها بعدما كان يتناوب عليها مع عمه وأخيه.[7]

نلاحظ أن حماد لم يظهر في عهد أخيه أي رغبة في الاستقلال, وظل وفيا للدولة الزيرية, ربما لأنه لم يشعر بالانتقاص عن تولية أخيه المنصور له لأنه أكبر سنا منه, وهو الأحق في الحكم بعد أبيه أو ربما لأن الدولة الزيرية في عهد أخيه كانت في أوج قوتها, فلم يتأتى له إظهار أي نوع من المعارضة في هذه الفترة.

---

[1]- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب, ج1, تحقيق, كولان وليفي بروفنسال, ط3, الدار العربية للكتاب, بيروت, 1973م, ص 239 .

[2] – يذكر صاحب الاستبصار منوها بذكاء حماد قوله: "ما تداها عليا أحد قط ولا خدعني إلا إمرأة وكعاء من البربر, مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص ص 169, 170 .

[3] – وكان لحماد تجربة في الحروب وفراسة حسنة وذكاء, نفسه, ص ص 167, 168, كما وصفه لسان الدين ابن الخطيب بقوله " كان حماد نسيج وحده وفريد دهره وفحل قومه, ملكا كبيرا وشجاعا وداهية حصيفا" . ؛ لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام في بيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام, وما يتعلق بذلك من الكلام, ج2, ط1, تحقيق, سيد كسروي حسن, دار الكتب العلمية, بيروت, 2003م, ص 328 .

[4] – ابن الخطيب: أعمال الأعلام , ج2, ص 328؛ ابن خلدون: العبر, ج6, ص 202 .

[5] – رشيد بوروبية: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 1977م, ص ص 17, 18 .

[6] – ابن خلدون: العبر, ج6, ص 202 .

[7] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق, ص ص 56, 55 .

وعندما تولى باديس إمارة الدولة الزيرية, بعد وفاة والده المنصور[1], عقد لعمه حماد على أشير وأفرده بها بعدما كان يتناوب عليها مع ياطوفت وأبي البهار [2]وذلك في صفر (387هـ/997م), وأعطاه خيلا كثيرا وكسى جليلة, حتى لقب حماد بنائب باديس [3], وكلفه بمحاربة زناته[4] فأثخن فيهم وعظم أمره في المغرب الأوسط, فقد كان بمثابة الحامي لمسالك تجارة الذهب والرقيق.[5]

استطاع حماد أن يتغلب على بني عمومته ماكس و زاوي و إنفاذهم إلى الأندلس[6], ثم استدعى حماد باديس إلى القيروان, فاستغلت زناته ذهاب حماد إلى إفريقية وهجموا على المغرب الأوسط , فعاد باديس و أنفذ حماد من جديد إلى المغرب, و ولاه على أشير و المغرب الأوسط, و كل المدن التي يفتحها و أذن له ببناء عاصمة له هي القلعة (398 هـ/ 1007 م)[7], و كان هذا العقد السياسي بتولي أشير و المغرب الأوسط و كل ما يفتحه في عام (395 هـ /1004 م)[8] أي قبل تأسيس القلعة .

---

[1] – هو أبو مناد باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي والد المعز باديس , كان يتولى مملكة افريقية نيابة عن الحكم العبيدي, المدعي للخلافة بمصر, و لقبه الحاكم الفاطمي بنصير الدولة, و كانت ولايته بعد ابيه المنصور, أبي العباس شمس الدين بن خلكان: وفيات الأعيان و أبناء الزمان, ج1, تحقيق, إحسان عباس, دار الثقافة, بيروت, 1969م ، ص 265 .

[2] – هناك إختلاف في الروايات حول تولي حماد حكم أشير هل في عهد أخيه المنصور أو في عهد أخيه باديس, فابن الأثير و ابن عذارى يذكرون توليه حكمها في عهد باديس, بينما بن الخطيب يذكر توليه حكمها في عهد المنصور. ابن الأثير: الكامل في التاريخ, ج7 , تحقيق, نخبة من العلماء, ط4, دار الكتاب العربي, بيروت 1983م, ص182, ابن عذارى : البيان , 48, ابن الخطيب : أعمال الإعلام, ج2 , ص328 .

[3]– ابن عذارى : المصدر السابق : ج1, ص248؛ النويري : نهاية الأرب, ص 324 .

[4] – ابن عذارى : المصدر السابق, ج1, ص248.

[5] – بونابي الطاهر : الدولة المركزية بقلعة بني حماد, التأسيس و التداعيات, مجلة الآدب والعلوم الإنسانية , العدد السابع, نوفمبر , كلية الآدب والعلوم الإنسانية , جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية , قسنطينة, 2006م , ص 41 .

[6] – ابن عذارى : المصدر السابق, ج1, ص 252؛ النويري : المصدر السابق, ص338؛ ابن خلدون: المصدر السابق, ج6, ص 168 .

[7] – ابن خلدون : العبر ،ج6،ص202.

[8] – عويس : المرجع السابق , ص 60 .

ومن هذا التاريخ بدأت تبرز بوادر استقلال حماد بالمغرب الأوسط، على الرغم من عدم إظهاره لهذا الأمر, غير أن سماح باديس لحماد ببناء القلعة قد أشعره بضعف الدولة الزيرية و بحاجة باديس له.

لكن الحال لم يظل على الصفاء بين حماد و باديس, إذ سرعان ما تكدر هذا الصفاء بسبب الوشاة و الحاقدين على حماد, فأراد باديس اختبار ولاء عمه حماد, فطلب منه التنازل عن بعض الأعمال التي كنت تحت يده لابنه المعز, و ذلك بعدما جاءه كتاب التعيين من الخليفة الفاطمي الحكم بولاية العهد لابنه, حسب ما أورده بن خلدون(ت 808 هـ /1405 م) " ثم أن بطانة باديس و من إليه من الأعاجم و القرابة نفسوا على حماد رتبته, وسعوا في مكانه من باديس, إلى أن فسد ذات بينهما, وطلب باديس أن يسلم عمل تيجس و قسنطينة لولده المعز "[1] و هو ما نستخلصه من نص ابن خلدون إذ أنه لا يمكننا إنكار دور الوشاة في تغيير نفسية باديس ضد حماد.

كما أننا لا نستطيع تجاهل علم أو إدراك باديس لخطر حماد[2], بعد اتساع نفوذه و ازدياد صولجانه في المغرب الأوسط فأصبح يشكل خطرا على مملكته, و أمر حماد بالتخلي عن بعض الأعمال و كلف إبراهيم بن بلكين أخو حماد للقيام بهذه المهمة، و طلب منه أن ينفذه إلى أخيه, حيث قال له :" لا يجد مولانا عبدا من عبيده أنهض بخدمته مني "[3].

رفض حماد هذا الأمر, لأنه تعب وكد واجتهد حتى استتب له الأمر في المغرب الأوسط وأصبح على مقربة من تحقيق الاستقلال النهائي عن الدولة الزيرية, فقام بالاتفاق مع أخيه إبراهيم (الذي خان باديس) بإعلان الحرب عليه وإعلان استقلاله عن الدولة الزيرية عام (405هـ/1014م), وأعلن خلع الطاعة للفاطميين, ونبذ المذهب الشيعي, وبالمقابل الطاعة للخلافة العباسية في بغداد, واتخذ المذهب السني مذهبا لدولته, وهجم على باجة ودخلها عنوة وحرض أهل تونس بالثورة على الرافضة . وقتل الشيعة, فخرج باديس لحربه معبئا عساكره من القيروان, وفي هذه الظروف تخلى عن حماد أكثر أصحابه, مثل بني أبي واليل أصحاب معرة من زناته.[4], وكذا بني حسن كبار صنهاجة, وبني ياطوفت من زناته, فهرب حماد إلى أشير في صفر

[1] – ابن خلدون : العبر: ج6, ص 202 .

[2] – النويري: نهاية الأرب, ص ص 239,

[3] – ابن عذاري: البيان المغرب, ج1, ص 261

[4] – ابن خلدون: العبر, ج6, ص ص 202 ،203 .

406هـ/1015م, محتميا بها وذلك لحصانتها[1]، غير أن نائبه فيها خلف الحميري [2]خانه، ثم سار حماد من أشير إلى وادي الشلف والتقى هو و باديس هناك و تقاتلا وانكشف حماد وتفرق عنه أصحابه بعد قتال شديد[3] .

وبعد رجوع حماد من الشلف منهزما أمام باديس, ذهب إلى مدينة دكمة, وتجنى على سكانها، فقام بقتل الكثير من الرجال، قيل أن عددهم قد بلغ الثلاثمائة, عند ذلك خرج إليه أحمد بن أبي توبة الذي كان فقيه هذه المدينة وصالحها, فوعظه و خوفه من الله مستنكرا عليه عمله الفضيع بأهل دكمة, قائلا :" يا حماد إذا لقيت الجموع هربت منها, وإن قاومت الجيوش فررت عنها! وإنما قدرتك وسلطانك على أشير يكون في يدك, لا نصر له عليك " فاستفزه بهذه الكلمات, فأمر بقتله" [4]

هذه الحوادث لا نجدها في مصادر أخرى، غير أننا لا ننفي صحتها أيضا, و ربما هذه الأعمال التي قام بها حماد كانت تحت ضغط الهزيمة التي تعرض لها على يد باديس.

لحقه باديس إلى دكمة, ففر إلى قلعة حماد, حيث تحصن بها, و باديس في أثره, وحاصره فيه وبقي على ذلك حتى وفاته وهو يحاصرها عام 406هـ/1015م[5] .

و هكذا تنفس حماد الصعداء بموت باديس, وتخلص من حصاره, وبات أمر انفصاله عن الدولة الزيرية قاب قوسين أو أدنى .

---

[1] – أحمد بن محمد أبو الرزاق:المرجع السابق, ص 66 .

[2] –النويري: نهاية الأرب, ص 330.

[3] – ابن عذاري: البيان المغرب, ج1, ص 266, النويري, المصدر السابق, ص 333, ابن خلدون: العبر, ج6, ص 203 .

[4] - ابن الأثير: الكامل في التاريخ, ج7, ص 277, وهناك حادثتان حول معاملة حماد لأهل دكمة أنفرد بهما ابن عذاري: البيان, ج1, ص ص 264, 265 .

[5] - نفسه, ج1, ص 266, النويري: نهاية الأرب, ص 333 .

3- قيام الدولة الحمادية:

بعد وفاة باديس بويع ابنه المعز 454هـ/1062م[1] كخليفة لوالده الذي واصل مشواره الحربي ضد حماد إذ بمجرد وفاة باديس، قام حماد بالزحف على أشير التي خرجت على سيطرته نتيجة خيانة أهلها وكان في ذلك الوقت بها كرامة الوصي المؤقت على عرش افريقية بعد وفاة باديس، حيث تفاجأ بحماد على رأس قوة تعدادها 1500 مقاتل وقد انتهت المعركة بهزيمة كرامة وعودته إلى القيروان.[2]

بعث حماد بعد ذلك إلى باغاية أخاه إبراهيم ليلتقي بأيوب بن ياطوفت و يحمل إليه سلام حماد، ويعلن له أن ما حدث كان بقضاء الله (الحرب بينهما) وأنه وأخاه على طاعة المعز بن باديس وأخبره أن حماد يطلب الصلح منه، ويبعث له من يثق به من أجل أن يخلفه ويأخذ العهود المكتوبة ليطمئن، فصدقه أيوب وبعث معه أخاه حمامة وحبوس بن القائم بن حمامة وتبعهما غلام أيوب يورين، فغدر حماد بهم وجردهما من الثياب وألبسهم ثياب رثة، وقتل غلام أيوب الذي كان عنده أعز من الولد.[3]ثم زحف حماد لمحاصرة باغاية[4] فبلغ الخبر بذلك المعز فزحف إليه وسارع بالعساكر إلى حماد وقاتله حتى هزمه وقتل أصحابه وأسر أخاه إبراهيم[5] سنة 408هـ/1017م.

ولما انهزام حماد وتفرق أصحابه عنه طلب الصلح من المعز, ولكن المعز اشترط عليه أن يبعث ابنه كضمان على صدق نواياه، فبعث حماد ابنه القائد عام408هـ/ 1017م[6] فعقد له المعز الصلح، واستقل حماد بذلك بعمل المسيلة وطبنة ومقرة ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة،[7] وزاد النويري عليها مدينة دكمة.[8]

وهكذا انتهت الحرب بينهما وانقسمت صنهاجة إلى دولتين: دولة آل زيري بأشير ثم القيروان و دولة بني حماد ملوك القلعة ثم بجاية.

---

[1]- ابن خلدون: العبر ، ج6، ص188.

[2]- النويري: نهاية الأرب ، ص337.

[3]- نفسه ، ص ص338، 339.

[4] - ابن خلدون: العبر ، ج6، ص187

[5]-النويري: المصدر السابق،ص339..

[6] - ابن عذارى : المصدر السابق ، ص269.

[7] - ابن خلدون: العبر ، ج6، ص187.

[8] - النويري: المصدر السابق، ص339.

وهكذا نعتبر تاريخ 408هـ/1017م هو التاريخ الفعلي لتأسيس لدولة بني حماد بعد الاعتراف الزيري بها.

4- أمراء بني حماد قبل الانتقال إلى بجاية[1]:

أ- حماد بن بلكين[2]: 405/419هـ-1014/1028م

هو حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي،[3] كان الرابع في ترتيب أبناء بلكين الصنهاجي[4] وهو أول أمراء هذه الأسرة، لقد انفرد حماد بحكم معظم أجزاء الجزائر الحالية. نشأ حماد في بيت الخلافة الفاطمية في المغرب بسبب كون أبيه وجده زيري كانا يمثلان اليد اليمنى للدولة الفاطمية، وهناك توضحت ملامح شخصيته وهو طفل صغير.إن جل الكتب التي تمكنت من الاطلاع عليها و التي تتحدث على حماد لا تتطرق إلى تاريخ مولده بشكل دقيق ولكن على حسب الغنيمي:« فإن ولادته كانت قبل استقلال أبيه بلكين بحكم المغرب سنة 361هـ بعد سنوات ربما في أعوام 353هـ أو 354هـ.»

ولقد تلقى في قصر الخلافة "الفاطمية" جميع مقومات الشخصية الإسلامية، إضافة لتعلمه فنون القتال والفروسية ما جعله متميزا بين أخوته.

كان حماد على علم كبير بالقرآن الكريم وعلم الحديث ولكنه لم يكن ميالا لتعلم المذهب الإسماعيلي الشيعي لأنه كان مهتما بالجانب القتالي، وبرزت شخصيته على مسرح الأحداث في عهد أخيه المنصور بن بلكين سنة 373هـ/983م لما استعان به هذا الأخير لقتال زناته المنافسة لصنهاجة على حكم المغرب.

لقد لمع اسم حماد كقائد عسكري من خلال الحروب مع قبائل زناته حيث كان قائد للجيوش الصنهاجية في الجبهة الغربية للبلاد وقد وعده المنصور بأن يمنحه حكم البلاد التي يستخلصها

---

[1] – بجاية :تقع على ساحل البحر المتوسط، و هي من أهم مدن المغرب الأوسط يقول الإدريسي : " مدينة بجاية في وقتنا هذا هي مدينة المغرب الأوسط و عين بلاد بني حماد "، و كانت عاصمة لدولة بني حماد الصنهاجية، و اشتهرت بنشاطها الاقتصادي، فيذكر الإدريسي أن أهلها مياسير تجار و بها الصناعات و الصناع ما ليس بكثير من البلاد كما أن لها بوادي و مزارع تتوفر فيها المحاصيل الزراعية و الفاكهة؛ الإدريسي : المصدر السابق ، ص 96 ؛ كمال السيد أبو مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوي المعيار المعرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ،مصر ، 1999،ص ص25.

[2] – انظر الملحق 04 ص 129.

[3] – انظر الملحق03 ص 128.

[4] – انظر الملحق 03 ص 128.

من أيدي الزناتيه، ولأن الحروب معها كانت طويلة ومرتبطة مع بعضها البعض فاضطر حماد إلى اتخاذ أشير عاصمة له.

وفي عهد حكم ابن أخيه ابن المنصور 386هـ/996م كان حماد يقوم بحماية حدود الدولة الغربية من هجوم الزناتة إضافة الى انه طيلة حكم ابن أخيه باديس ظل الرجل الثائر[1] الأول و استطاع منذ 363 هـ حتى 373 هـ جمع أعوان له من مختلف البلدان للإطاحة بزناتة، الشئ الذي أدى في سنة 395 هـ إلى عقد هدنة معها مما جعله في نفس العام يأخذ عهدا من ابن أخيه باديس بحكم جميع الأقاليم التي يفتحها، إضافة على هذا ترى بعض المصادر أنه في العام نفسه أمر بتخطيط القلعة التي سيتخذها عاصمة له.

كما أنه قام بقتل الشيعة وإظهار السنة والمذهب المالكي وخلع نفسه من طاعة الفاطميين وإعلانه طاعته للعباسيين عام 405هـ، هذا العام نفسه الذي انتصر فيه على أخيه كرامة بن المنصور الذي كان تحت راية قوات المعز بن باديس.

لقد أدت هذه الأحداث المتسارعة بحماد لإضافة إلى امتلاكه الأراضي الواسعة الممتدة من وادي الشلف شرقا حتى وادي الملوية غربا أن يرى ان من واجبه القيام بتأسيس دولة تكون لها عاصمة سياسية محصنة يحتمي بها من الأعداء.

لقد شهدت عاصمة الحماديين (القلعة) في عهد حماد ازدهاراً كبيراً من الناحية الحضارية خاصة الجانب العمراني منها، وكان عهده متميزا بكثرة البناء والتشييد وقوة الحكم وقد كان الفن المعماري فيها عبارة عن خليط من الفن العراقي والأندلسي.كما عمل حماد على توطيد دعائم الدولة بتقريبه لرجال الفكر والعلم والدولة من مجلسه، إضافة إلى أنه كان يزيد من التوسع العمراني والزراعي للدولة، ويشجع على الهجرة إليها حيث نقل إليها أهل المسيلة وأولاد حمزة.[2] توفي حماد بن بلكين في شهر رجب من سنة 419هـ/1028م، عن عمر يناهز 100عام[3]

يقول لسان الدين بن الخطيب: " أن حماد كان نسيج وحده وفريد دهره وفحل قومه، ملكا كبيرا وشجاعا،[4] قد قرأ الفقه بالقيروان وناظر في كتب الجدل وأخباره المشهورة وهو الذي بنى القلعة المنسوبة إليه فاتخذ بها القصور العالية والقصاب المنيعة والمساجد الجامعة والبساتين

[1] – – الغنيمي: المرجع السابق، ص268.

[2]– الغنيمي ، المرجع السابق 370 ، 373.

[3]– نفسه، ص ، ص274.

[4]– أنظر الملحق 04 ص129

الأنيقة ونقل إليها الناس من سائر البلاد"،[1] وهذا بعدما اشترط على باديس أن يحكم كل المناطق التي يفتحها ويستولي عليها من أيادي زناته خارج نطاق الدولة الزيرية، وتوصل حماد إلى عقد اتفاق مع باديس بهذا الشأن و أعتبره بمثابة الوثيقة القانونية التي يستند إليها حماد للحصول على الاستقلال الكامل عن بني زيري.[2]

ثبت سلطان بنو حماد و آل باديس بعد الحرب التي دارت بين طرفي آل زيري[3]، و بعد انعقاد الاتفاق مع الأمير الزيري والاعتراف باستقلال الدولة الحمادية، وتوطد الصلح الذي

تم انعقاده بين الطرفين بتزويج المعز لأخته أمو العلو بعبد الله بن حماد في 415هـ، وبعد ذلك بأربع سنين توفي حماد وخلفه ابنه القائد.[4]

ب- عهد القائد بن حماد بن بلكين 419-446هـ/1028-1054م:

تميزت فترة حكم القائد بالاستقرار وهذا بسبب انشغال المعز بن باديس عنه في الدفاع عن افريقية و محاولة صد الخطر الداهم من طرف القبائل العربية.

وكان القائد سديد الرأي، عظيم القدر، استغل الفرصة وتحرك لمحاربة حمامة بن زيري المعز المغراوي أمير مدينة فاس فكانت بينهما حروب أسفرت على موادعة وخلع القائد بني عبيد كما فعل ابن عمه وأدى ولاءه إلى بني العباس إلى أن هلك سنة 446هـ فكان ملكه 27 سنة وولي بعده ولده المحسن.[5]

تولى القائد الحكم بعد وفاة أبيه، وعين أخاه يوسف على المغرب و ريغلان على حمزة، وزحف إليه حمامة بن زيري بن عطية ملك فاس من مغراوة سنة 430هـ، فخرج إليه القائد، وأحس حمامة بقوة القائد فصالحه.[6]

وقد ساعدت عدة عوامل في استقامة أمر الدولة في الحقبة الأولى من عصر القائد بن حماد (419هـ-430هـ) إلى جانب جهود أبيه، ومن أبرز هذه العوامل: أن القائد بن حماد قد لعب دورا

1- لسان الدين بن الخطيب:المصدر السابق، ص86.

2- Rachid Bouriuiba : les Hammadites, Entreprise Natainal du Liver ,Alger , 1984,p34 .

3 – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 112 .

4 – رشيد بورويبة و آخرون: الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص204.

5- لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص ص86، 87.

6- ابن خلدون: العبر،ج6، ص172.

فعالا في توطيد أسس الصفاء بين أبيه وبين المعز بن باديس، إذ كان السفير والرهينة التي بواسطتها تم الصلح، كما أن العلاقة بين المعز والفاطميين في القاهرة كانت تمر بفترة قلق واضطراب وكان هذا في مصلحة القائد.[1]

ج- عهد المحسن بن القائد 446-447هـ/1054-1055م:

بعد وفاة القائد تولى من بعده ابنه المحسن، و حسب ابن خلدون فإن محسن كان جبارا وخرج على عمه يوسف ولحق بالمغرب فقتل سائر أولاد حماد وبعث محسن في طلب بلكين ابن عمه محمد بن حماد وأصحابه من العرب، خليفة بن بكير وعطية الشرف، وأمرهما بقتل بلكين في طريقهما فأخبرا بلكين بذلك وتعهدوا جميعا على قتل محسن، وفر إلى القلعة وأمسكوا به وقتله بلكين لتسعة أشهر من ولايته.[2]

إن السبب في قتل محسن عدم أخذه بوصية أبيه ذلك أنه أوصاه بالإحسان إلى عمومته، فلما مات أبوه خالف ما أمره به، وأراد عزل جمعا عظيما و بنى قلعة له في جبل منيع سماها الطيارة، ثم إن محسنا قتل من عمومته أربعة،[3] وإن هذا الأمير الحمادي لم يعمل بنصيحة أبيه، أي ألا يخرج من القلعة إلا بتمام ثلاث سنين، لكن محسن لم يكد يتولى الأمور حتى خالف الوصيتين معا فقد عزم على عزل جميع أعمامه فلما ثار عليه يوسف (عمه) عندما سمع بأمر عزله خرج من القلعة لمحاربته، وأن محسنا إلى جانب استبداده برأيه، بالقسوة الشديدة.[4] ونتيجة لأعماله الشنيعة اغتاله ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد، وعاد إلى القلعة فدخلها ليلا وملكها.

وكانت ولاية محسن ثمانية شهور وثلاثة وعشرون يوما.[5]

د- عهد بلكين بن محمد بن حماد بن بلكين 446-454هـ/1055-1062م:

كان بلكين شهما وحازما شجاعا، جريئا على العظائم، سفاكا للدماء، ابتدأ بسفك دم وزير محسن، وكان كثير الغارة على المغرب،[6] وعنه قال لسان الدين بن الخطيب:«....كان بلكين أحد

---

[1]- عويس: المرجع السابق، ص114.

[2]- ابن خلدون: العبر ،ج6، ص172.

[3]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، مج 9 ،دار صادر للطبع و النشر، بيروت، 1966 م،ص 601 .

[4]- عويس: المرجع السابق، ص 118 .

[5] - ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 87 .

[6]- محمد مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج2 ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1976م، ص 613 .

جبابرة الإسلام.... »[1] وبلغ بلكين من الغلظة والجفاء من قومه وإخافة أقرانه وأقربائه وغلا في الغدر منهم فقتل وسفك دماء الكثير ممن حامت حولهم الشكوك والظنون، وكانت من بين هؤلاء القتلى زوجته (تاضميرت) ابنة عمه وأخت الناصر بن علناس، الذي حقد عليه وأراد الانتقام منه.[2]

وكان بلكين كثيرا ما يكرر الغزو على المغرب و قد بلغه استيلاء يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين على المصامدة فنهض نحوهم سنة 454هـ ففر المرابطون إلى الصحراء وتوغل بلكين في ديار المغرب ونزل بفاس فاحتمى بأكابر أهلها وأشرافهم فانتهز منهم الناصر بن عمه الفرصة في الثأر لأخته وقتله في تساله.[3]

هـ- عهد الناصر بن علناس 454-461هـ/1062-1088م:

إن عهد الناصر بن علناس رغم تعرضه لبعض الصعوبات و المؤامرات و الهجومات إلا أنه استطاع السيطرة عليها وتحقيق نوع من الاستقرار لدولته، واتساع رقعتها الجغرافية.ساءت العلاقات بين تميم وابن عمه الناصر في 457هـ، بسبب تدخل هذا الأخير في شؤون افريقية.[4]

وحسب ابن الأثير, أنه اتُّصل بتميم (قيل له) أن الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمه، وأنه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهدية وأنه حالف بعض صنهاجة وزناته وبني هلال ليعينوه على حصار المهدية، فلما صح ذلك عنده أرسل إلى أمراء بني رباح فأحضرهم إليه لمقابلة عساكر الناصر.[5]

أما ابن خلدون فقد ذهب إلى أن الناصر وابن عمه تميم تواقعوا بسببه فغدرت بهم زناته وجروا عليه وعلى قومه الهزيمة فانهزم الناصر بن علناس، وقتل أخوه القاسم وكاتبه ونجا إلى قسنطينة في أتباعه ثم لحق بالقلعة وبعث وزيره ابن أبي الفتوح للإصلاح فعقد بينهما صلحاً.[6]

وفي هذا الموضوع أيضا تحدث صاحب الاستبصار أن العرب لما دخلوا إفريقية وأفسدوا القيروان وأكثر مدن إفريقية وهرب منهم صاحب القيروان الصنهاجي وسكن بمدينة المهدية، وكان ابن عمه صاحب القلعة المنصور بن بلكين بن حماد أشد شوكة من صاحب القيروان وأكثره جيشاً فخرج لنصرة

---

[1] – ابن الخطيب: المصدر السابق،ص69 .

[2] –عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ج1، ، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1994م، ص280.

[3]– ابن خلدون: العبر ،ج6، ص173.

[4]– عبد الحميد زغلول : تاريخ المغرب العربي الفاطميون و بنو زيري و الصنهاجيون إلى قيام دولة المرابطين، ج3، منشاة المعارف، الإسكندرية، مصر ،1990م ، ص451.

5– ابن الأثير: المصدر السابق،ص ، 45 ، 46.

[6]– ابن خلدون: العبر،ج6 ، ص173.

ابن عمه وجهز جيشا كبيرا فلقيه العرب بلحم سبيبة على مقربة من القيروان فكان بينهم يوم عظيم[1]. إن صاحب الاستبصار يقصد أن الناصر وليس المنصور قد أراد مساعدة أبناء عمومته في مقابلته للعرب وهذا ليس ممكنا لأن في تاريخهم المعروف أن علاقتهم تمتاز بالعداء أكثر من المهادنة والمساعدة وأن تاريخهم لموقعة سبيبة ليس بالمواجهة بين الناصر وأبناء عمومته، ومن هنا نقول أن ابن خلدون وابن الأثير اللذان يتحدثان على نفس الحادثة و بصفة صحيحة و واحدة هم الأصدق في ذلك، وإثر هزيمة الناصر في موقعة سبيبة بلغت الدولة كثيرا من السوء وقد أصبحت بلاد المغرب الأوسط مفتوحة أمام القبائل العربية، وبدا أن الناصر كان سيفقد كل شيء وكان في يده لاسترجاع مكانة دولته وهيبتها، فسارع إلى كسب كلتا القوتين المناهضتين له كل من بني زيري والعرب، حيث إجراء اتفاق بينهما ضد العرب وبهذا العمل سارع تميم إلى إرسال رسول (محمد بن بعيع) أحد رجاله لإجراء وإتمام الصلح بينهما.

أما سياسة الناصر مع العرب هي سياسة التفريق عن طريق التحالف مع بعضها البعض ويبدو أن الناصر قد عمق صلته بقبيلة الأثبج[2] .[3] لكن ما لبث أن ظهر العرب على الحماديين فملكوا الضواحي وحجزوا العمال في المدن واختط الناصر بجاية فرارا منهم.[4]

وقدوم بني هلال[5] سرعان ما وضع حدا لبناء القلعة التي ظلت مدة من الزمن نقطة الارتكاز الوحيدة بالنسبة للدولة الصنهاجية وبعد بناء بجاية بقيت المدينة باستمرار في مظهر العاصمة ولكن دورها أصبح ثانوياً.[6]

---

[1]– مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص68.

[2] – الأثبج : و هي احدى فروع قبائل بني هلال، ينقسمون إلى عدة أفرع و هم : كرفو، دريد، عاصم، مقدم، ضحاك، عياض، و العمور، و لطيف و غيرهم حسب ما يظهر نسبهم؛و في دريد بطنان: توبة و عنز، و كان لهم جمع و قوة و كانوا أحياء غزيرة من جملة الهلاليين الداخلين للإفريقيا ؛ ابن خلدون : العبر ، ج6، ص ص 27،38.

[3] – عويس: المرجع السابق، ص143.

[3]– مبارك الميلي: المرجع السابق، ص621.

[5]– ينتمي بنو هلال إلى بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عليان بن مضر بن نزار بن سعد بن عدنان، و بنو سليم أبناء عمومتهم ن و هم فروع عدة : رياح، الأثبج، زغبة، المعقل ،جثم، و كان بنو هلال كغيرهم من العرب قبل الاسلام يعبدون الله و يشركون معه الآله و الأصنام موطنهم الأصلي بلاد الحجاز ثم رحلوا إلى صعيد مصر؛ ابن حزم محمد علي بن أحمد : جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية،بيروت ،1998،ص 482؛ ابن خلدون ك العبر ،ج6، ص ص 69،70 ؛ عبد الحميد خالدي : الوجود الهلالي السليمي في الجزائر ، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر ، 2003، ص18.

[6]– الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن العاشر إلى القرن لثاني عشر ميلادي، نقلا إلى العربية حمادي الساحلي، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ص100.

و مما سبق يمكننا أن نستنتج ما يلي :

* تحتل قلعة بني حماد مكانة إستراتيجية كبيرة وموقع حصين ، و تعتبر نقطة وصل بين الشرق والغرب وهي قلعة كبيرة ذات منفعة وحصانة .

* تم تأسيس مدينة القلعة على يد حماد بن بلكين واستطاع فرض نفسه كرجل جدير بتأسيس أول دولة مستقلة في المغرب الأوسط وعرف بأنه ذو شخصية قوية يتميز بالذكاء والفطنة والحنكة السياسية والعسكرية .

* قام حماد بعد وفاة باديس بالزحف على أشير وثم زحف على باغاية لكنه انهزام أمام عساكر المعز فطلب حماد الصلح من المعز فعقد له المعز الصلح وانتهت الحرب بينهما وانقسمت صنهاجة إلى دولتين دولة آل زيري ودولة بني حماد ملوك القلعة وهكذا كان قيام الدولة الحمادية بعد اعتراف الزيريين بها .

* من أهم أمراء بني حماد قبل الانتقال إلى بجاية و الذين ساهموا بقدر كبير في الزخم الفكري و الثقافي نجد :

أولا: حماد بن بلكين وكان الرابع في ترتيب أبناء بلكين الصنهاجي وأول أمراء هذه الأسرة وانفرد بحكم معظم أجزاء الجزائر الحالية ذو شخصية متميزة ذات مقومات إسلامية وشهدت عاصمة الحماديين في عهده ازدهار كبير من ناحية العمران والناحية الحضارية .

كما كان ملكا كبيرا وشجاعا قرأ الفقه وناظر في كتب الجدل وهو الذي بنى القلعة المنسوبة إليه وتوصل إلى اتفاق مع باديس وهذا يعتبر الوثيقة القانونية التي يستند إليها حماد للحصول على الاستقلال الكامل من بني زيري .

ثانيا : تميزت فترة حكم القائد بن حماد بن بلكين بالاستقرار وكان سديد الرأي عظيم القدر ولعب دور فعال في توطيد أسس الصفاء بين أبيه وبين المعز بن باديس.

ثالثا : عهد المحسن بن القائد بعد وفاة القائد تولى ابنه المحسن وكان جبارا وخرج على عنه يوسف وقتل سائر أولا حماد حيث خالف المحسن وصية أبيه (حيث أوصاه بالإحسان إلى عمومته) وفر إلى القلعة و أمسكو به وقتله بلكين .

رابعا : كان بلكين بن محمد بن حماد بن بلكين شهما وحازما وشجاعا فك دم وزير محسن وكان كثير الغارة على المغرب سفك وقتل الكثير منهم زوجته ابنة عمه وأخت الناصر بن علناس الذي قتله في تسالة ثأرا لأخته .

سادسا : عهد الناصر بن علناس و الذي حقق نوع من الاستقرار لدولته فاتسعت رقعتها الجغرافية رغم تعرضه لبعض الصعوبات والمؤامرات فإثر انهزام الناصر في موقعة سبيبة أصبحت الجزائر مفتوحة أمام القبائل العربية وبدأ كان الناصر سيفقد كل شيء قارع إلى كسب القوتين المناهضتين له كل من بني زيري والعرب لكن ما لبث أن ظهر العرب على الحماديين فملكوا الضواحي وحجزوا العمال في المدن ففر الناصر إلى بجاية وقدوم بني هلال وضع حد لبناء القلعة وبعد بناء بجاية بقيت المدينة باستمرار في مظهر العاصمة ولكن دورها أصبح هامشيا .

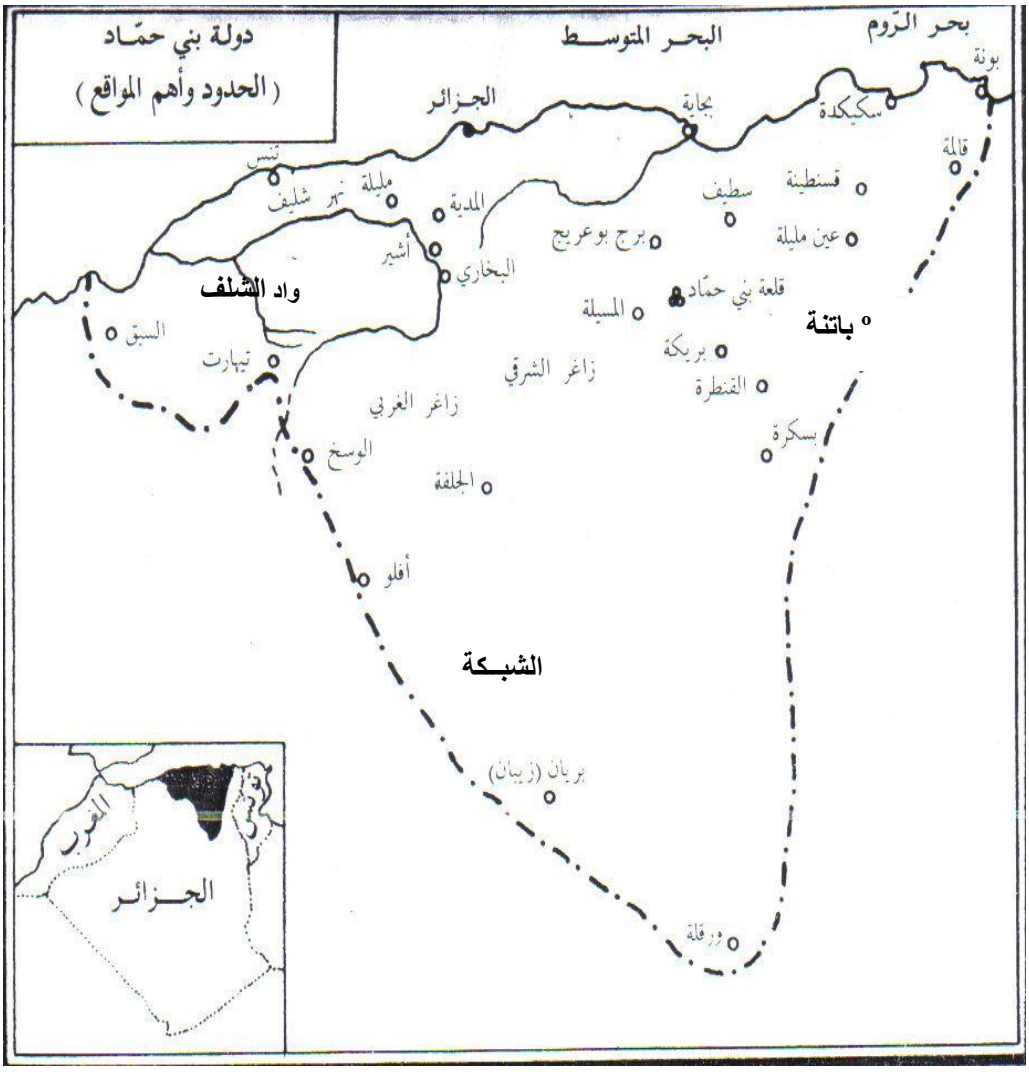

دولة بني حماد – الحدود و المواقع–

عن :عبد الحليم عويس : المرجع السابق، ص83.– بتصرف–

الفصل الأول:

عوامل ازدهار الحياة العلمية بالقلعة

1- العامل الديني

2- العامل السياسي

3- العامل الاجتماعي

4- العامل الاقتصادي

5- العامل الجغرافي

6- انتشار اللغة العربية

7- زحف القبائل العربية

8- انتشار المذهب المالكي السني

تمهيد:

شهدت بلاد المغرب تقدما و تطورا كبيرا شمل معظم أوجه العلوم و المعرفة منذ اللحظة التي تم فيها فتح المغرب عموما، بل مع المحاولات الأولى للفتح و حتى منتصف القرن الخامس الهجري.[1] حيث ظهرت مدن و حواضر ساهمت في ازدهار بلاد المغرب عموما و المغرب الأوسط على وجه الخصوص ، و من بينها على سبيل المثال لا الحصر مدينة القلعة.التي أدت في العصر الوسيط دورا تاريخيا و حضاريا هاما، حيث كانت تمثل عاصمة الحماديين الأولى قبل نقلها إلى بجاية، و كانت تمثل نقطة صراع الحركات السياسية و مركز إلتقاء التيارات الفكرية و الأدبية في العصر الوسيط و قد زاد من أهميتها العلمية و الفكرية في المقام الأول مجموعة من العوامل ساهمت في ازدهار و رقي الحياة العلمية في قلعة بني حماد ، و جعلتها محط أنظار أهل العلم و الدارسين و العلماء.[2]

و المتتبع للحياة العلمية و مسيرتها من خلال هذه الفترة سيسترعي انتباهه بلا شك التقدم و التطور العلمي ، و سيخرج باقتناع مفاده أن ذلك التقدم و التطور لابد أن يكون وليد عوامل و أسباب هيأت له ذلك.

– فما هي هذه العوامل ؟ و كيف ساهمت في إزهار الحياة العلمية في القلعة؟

عرفت الدولة الحمادية ازدهارا ثقافيا كبيرا و قد تظافرت مجموعة من العوامل مكنت الدولة من أن توفر مناخ ثقافي يشجع على التطور الفكري و النهوض الحضاري ، و يعزى للقلعة حقيقة الدور الريادي الذي عرفته هاته الدولة، حيث ساهمت الجهود السياسية و الاقتصادية و الدينية و الاجتماعية و سعي أمراء بني حماد الدؤوب في العمل على نشر الأمن و الاستقرار في مختلف أرجاء الدولة على هذا التطور الثقافي و الفكري [3]، و يمكن تحديد هاته العوامل بالشكل التالي :

1– العامل الديني" الإسلام " :

يشير مالك بن نبي إلى أن الدوافع التي تحفز أية أمة من الأمم للعمل التاريخي ، تتمثل في مبرراتها العقائدية و الأخلاقية و النفسية، أيا كانت العقيدة التي تحملها بين ثناياها، سواء أكانت إسلامية أو مسيحية أو بوذية ، فإنها هي التي توحد القوى الروحية من أجل إنتاج حضارة .[4]و بما

[1] – يوسف بن أحمد حواله: المرجع السابق ، ص86.

[2] – الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، المرجع السابق ،ص ص ، 94، 95.

[3] – نفسه : ص122.

[4] – مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ترجمة عبد الصبور شاهين،ط3 ، دار الفكر ، دمشق ،1986، ص26.

أن دولة- الدولة الحمادية- المسلمين كانت على أسس سليمة و دعائم قوية ، فالإسلام الذي هو دين الدولة ،دعا المسلمين إلى التدبر و العلم و المعرفة و التأمل في ملك الله و أسرار الكون[1].و قد نزلت أولى آيات القرآن الكريم مشيرة إلى العلم و فضله:

قال تعالى:(اقرأ بسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق ،اقرأ و ربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم [2])

كما نجد هذا المعنى في العديد من السور و الآيات التي تشير بدورها إلى فضل العلم و على مكانة العلماء منها :

قال تعالى:(قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون).[3]

و قال عز وجل :(يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات)[4].

و قال أيضا :(شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولوا العلم قائما بالقسط)[5].

حيث يضع الله سبحانه و تعالى العلماء في المرتبة الثالثة بالنسبة له ، و في المرتبة الثانية بالنسبة للملائكة.

و إذا كان الشرع الشريف قد حث على العلم و طلبه، وشرف العلماء، فإن السنة النبوية قد وضحت بدورها مدى اهتمام الدين الإسلامي بالعلم و العلماء إلى أقصى الحدود الممكنة، كما حرص على طلب العلم و تحصيله، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :(طلب العلم فريضة على كل مسلم .)رواه الطبراني. [6]

و قوله صلى الله عليه وسلم :(من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع .).[7]

و أكد الرسول صلى الله عليه وسلم على أهمية العلماء و مكانتهم بقوله :(يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء .)[1]

---

[1] – عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الفكر الإسلامي ، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997 ، ص177

[2] – سورة العلق : الآية 1-5.

[3] – سورة الزمر : الآية 9.

[4] – سورة المجادلة : الآية 11.

[5] – سورة آل عمران : الآية 18.

[6] – علي بن أبي بكر الهيثمي: معجم الزوائد،ج1،دار الريان للتراث،دار الكتاب العربي،القاهرة –بيروت،1986،ص 120.

[7] – محمد الخيلي المقدسي: الأحاديث المختارة، تحقيق عبد الملك بن عبد الله،ج6، ط1، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة،1989،ص 124.

وبقوله عن كثير ابن قيس قال : " كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاءه رجل فقال : يا أبي الدرداء إني جئتك من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئت لحاجة ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريق الجنة، و إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، و إن العالم ليستغفر له من في السموات و من في الأرض، و الحيتان في جوف الماء ، و إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، و إن العلماء ورثة الأنبياء، و أن الأنبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما و إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[2]

فالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، رغبت المسلمين–الحماديين– في طلب العلم بشغف شديد، فلولا الإسلام ما كان هناك فكر عربي إسلامي ، حيث أنه أنار عقول العرب و أفئدتهم، و جعل من تربة الجزيرة العربية بذور الفكر ، لتمتد في بلاد فارس، و مصر و المغرب و الأندلس.[3] و يقول ابن خلدون:" إن العرب لا يحصل لهم الملك، إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة ".[4]

و من هنا نجد أن الإسلام نبه العقل البشري إلى النظر في الكون و ما حواه من نظام و ترتيب ودعاه للتأمل في خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار، مصداقا لقوله تعالى: (إن في خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار.....و تصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الأرض لآيات لقوم يعقلون .)[5]

---

[1] – أحمد عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى–العلوم العقلية– ،ط1،دار الفكر العربي، القاهرة،1991، ص 9.

أيضا أنظر : محمد شاكر مشعل: الدور العربي في التراث العلمي العالمي،ج1،القاهرة، 1983،ص 46.

[2] – أبو داوود سليمان السجستاني الأزدي: سنن أبي داوود ،ج3، دار الجيل، بيروت ،لبنان، 1992، ص 316.

[3] – فوزي خليل الخطيب: تصنيف المعارف و العلوم عبر العصور،ط1،مكتبة المتنبي،المملكة العربية السعودية ،2002،ص 87.

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون : المقدمة ،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،1992،ص 159.

[5] – سورة البقرة: الآية 164.

2- العامل السياسي :

أ- الاستقرار السياسي:

تمثل الاستقرار السياسي في نهاية الصراع الزيري الحمادي وذلك بعد وفاة باديس ابن المنصور عام 406هـ/1015م[1], وتجسد بشكل أكبر بعد عقد الصلح بين حماد والمعز (408هـ/1017م), حيث أن حماد وغيره من الحكام كانوا يدركون أن الإبداع الحضاري هو حصاد الاستقرار السياسي, حيث فتح الصلح باب الهجرة لكثير من علماء القيروان واستقرارهم بالقلعة .

يقول الغنيمي في كتابه : " أن سياسة الانكفاء على الذات التي انتهجها الأمراء الحماديون, وذلك بعد دخولهم في الصراعات العالمية التي جرت على البحر المتوسط, وعدم مشاركتهم في الدفاع عن مسلمي صقلية ومالطة والأندلس " [2] .

رغم أننا لم نجد ما يؤكد هذا في المصادر التي تناولناها لكننا نأخذها بشيء من التحفظ لاحتمال صدقها ولو جزئيا, ذلك أن الحماديين في الحقيقة لم يشاركوا في الحروب مع المسلمين ضد المسيحيين لبعدهم عن المنطقة جغرافيا خاصة في المرحلة الأولى التي كانت فيها القلعة هي العاصمة .

بالإضافة إلى هذا فإن سياسة الزواج السياسي والتي تمثلت في المصاهرة مع بني عمومتهم أثرت في تشجيع حركة الهجرة بين القلعة وإفريقية, حيث نجد حماد يزوج ابنه عبد الله من أم العلو, أخت المعز بن باديس عام 406هـ/1015م[3], وزواج الناصر بن علناس من بلارة بنت تميم بن معز عام 461هـ/1078م[4] لقد أثمرت كل هذه المصاهرات في استقرار الوضع بالمنطقة.

---

[1] – ابن عذاري: البيان المغرب, ج1, ص 266, النويري: نهاية الأرب, ص 333, ابن خلدون: العبر, ج6, ص 203 .

[2] –الغنيمي: المرجع السابق، ص 344 .

[3] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ, ج7, ص 279 .

[4] – ابن عذاري: المصدر السابق, ج1, ص 430, ابن الأثير: المصدر السابق, ص 125 .

ب- دور الأمراء الحماديين :

اعتمد الحكام الحماديون على سياسة البناء والتشييد والتعمير في القلعة انطلاقا من مؤسسها حماد كان له الفضل في تشييد بنيانها وأسوارها, واستكثر فيها من المساجد والفنادق فاستبحرت في العمارة واتسعت بالتمدن, وذلك من أجل استيعاب أعداد المهاجرين إلى القلعة .

و ساعد التنافس بين الحواضر الثقافية في بلاد المغرب حكام بني حماد الذين أخذوا يقدمون رعايتهم و تشجيعهم للعلماء و المفكرين، و يؤثرون العلماء على سائر الطبقات، و يقدمونهم في الدولة و يجودون عليهم بالعطاء جودا حاتميا.[1]

كما كان الناصر بن علناس وابنه المنصور من أكثر الأمراء الحماديين اهتماما بالبناء والتشييد[2] وعلى غرار هذا أيضا كانت سياسة حماد المتمثلة في إعلان المذهبية السنية وخلع الطاعة للعبيديين[3], إحدى الركائز الأساسية التي حولت أنظار المغرب الإسلامي الذي كان يدين للمذهبية السنية في قلعة بني حماد حاضرتهم الأولى, بل أكثر من ذلك فقد كانت بالقلعة مذاهب إسلامية على رأسها المذهب الخارجي الأباضي[4], والأكيد أنه كانت هناك مذاهب وملل أخرى [5].

وهناك جانب آخر من سياسة الحكام الذين لعبوا دورا هاما في تحول القلعة إلى حاضرة فكرية, ويتمثل في الحروب و التوسع الإقليمي سواء ضد بني زيري أو ضد الزناتيين وكذا المرابطين بالزحف على أراضيهم[6] .

---

[1] – ابن خلدون: العبر, ج6, ص 202 ؛ عويس : المرجع السابق،ص249.

[2] – ابن الخطيب: أعمال الإعلام, ج2, ص ص 332, 333, ابن خلدون: العبر, ج6, ص ص 206, 207 .

[3] – نفسه, ج6, ص 202 .

[4] – رشيد بورويبة: الدولة الحمادية, ص 166 .

[5] – ورد في عدة مراجع أن اليهود والنصارى كانوا في القلعة, ويذكرون أن إسحاق الفاسي ولد بها وأن للنصارى كنيسة بالقلعة بحي جراوة يطل عليها قصر المنار وقسيسهم في ذلك الوقت يسمى عزون عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي, تقديم, أبوا القاسم, سعد الله وآخرون, ط1, دار الغرب الاسلامي, بيرت ، لبنان ،ص 206, رشيد بورويبة: المرجع السابق, ص 198, محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, 1983م, ص 143 .

[6] – ابن خلدون: العبر, ج6, ص 202.

ومن سياستهم أيضا تقريب الأدباء والعلماء منهم[1], واستخدامهم في مختلف المجالات وداخل هياكل الدولة, مثل الفقيه أبو القاسم ابن أبي الملك الذي كان يقيم بضواحي القلعة الذي استخدم كسفير للدولة الحمادية في القيروان في عهد القائد بن حماد عام 438هـ/1046م[2] .

ج- سياسة إسقاط المغارم والمكوس:

شجعت سياسة أمراء بني حماد المتمثلة في إسقاط المكوس و المغارم على السكان الذين نقلهم حماد إلى القلعة " أي سكان مدينة المسيلة[3], وحمزة وقبيلة جراوة "[4]على العمل و الجد في البناء و التعمير, و نفس الأمر انتهجه الناصر بن علناس عندما بنى مدينة بجاية, وأسقط على الراغبين في استيطانها المكوس والمغارم[5] .

وظاهرة إسقاط المكوس رصدها لنا ابن خلدون في معرض حديثه عن المغرب الأوسط بقوله:" إعلم أن الدولة تكون في أولها بدوية كما قلنا, فتكون بذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده, فيكزن خرجها وإنفاقها قليلا, فيكون في الجباية حين إذن وفاء بأزيد منها, بل يفضل منها كثير عن حاجاتهم [6]", مما أدى إلى تشجيع الوافدين الذين هم أكثر حرية,

---

[1] – الغنيمي: المرجع السابق, ص 344 .

[2] – الهادي روجي إدريس:المرجع السابق, ص ص 195, 196 .

[3] – النويري: نهاية الأرب, ص 332 .

[4] – ابن خلدون: العبر, ج6, ص 350 .

[5] – نفسه, ص 350 .

[6] – ابن خلدون: المقدمة, , ص 496 .

7- الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، المرجع السابق ، ص95.

3- العامل الاجتماعي :

أ- اختيار عناصر السكان المؤهلة:

لقد ركز ملوك بني حماد منذ الوهلة الأولى لتأسيس مدينة القلعة على العنصر البشري الفاعل والمنتج, لذلك اختاروا بعناية فائقة العناصر السكانية, التي تحمل بدورها خصائص القدرة على الإبداع, أو تلك التي لها تجربة العيش في المدينة وممارسة وظائفها .

ومن القرائن أن عبد الوهاب النويري قال : " أن حماد ابن بلكين (1028م/419هـ), لما اختط القلعة نقل إليها خيار سكان مدينة المسيلة[1] .كما جلب إليها أهل حمزة وجراوة المغربية "[2]. ولا شك أن هؤلاء كانوا من العلماء والأدباء والشعراء وأهل الصنائع والفلاحين المهرة وهو ما يؤكده ابن خلدون في قوله : "ورحل إليها من الثغور القاسية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع. لنفاق الأسواق المعروفة والحرف والصنائع بها"[3] كما أن بلكين نقل إليها خاصة سكان من مدينة تلمسان[4] .

هذا الاختلاف في عناصر سكان المدينة الذين ينتمون إلى مختلف الجنسيات و العقائد من عرب و بربر سنيون و شيعيون و خوارج، كانوا يعيشون جنبا إلى جنب مع أقليات من اليهود و النصارى في ظل التسامح الديني لم يعرف له مثيل من قبل، ساعد على احتكاك ثقافي كبير في القلعة[5].

ب- الهجرة القيروانية إلى القلعة :

لقد فقدت القيروان إشراقها السياسي و العلمي كعاصمة في خضم مجموعة من الأحداث التي أفضت إلى تأسيس عواصم جديدة مع انفصال الأندلس و المغربين الأوسط و الأقصى عنها ، و سقوطها على يد قبائل بني هلال وسليم في منتصف القرن الخامس الهجري، حيث كانت القيروان العاصمة العلمية الكبرى في المغرب الأدنى و المغرب كله، فلقد تبوأت مركزها العلمي الريادي قبل أن يقع فتح الأندلس ، و قبل أن تؤسس عواصم العلم و المعرفة في بقية أنحاء المغرب.

---

[1] – بونابي الطاهر: الدولة المركزية بقلعة بني حماد, التأسيس والتداعيات, ،ص 46.

[2] – ابن خلدون: العبر, ج6, ص 202 .

[3] – نفسه, ص 202 .

[4] – عبد العزيز الفيلالي: قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/11م, مجلة العلوم الإنسانية, العدد 7, كلية الآداب والعلوم الإنسانية, جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية, قسنطينة, 2006م, ص 10 .

5- إسماعيل العربي : المرجع السابق ،ص ،ص، 128، 129.

و زميله عبد الله شريط بقولهما : " لم يلمع في تاريخ المغرب العربي اسم مدينة و لا ازدهر في عصر من عصوره بعد الفتح الإسلامي كما لمع اسم القيروان و ازدهر عصرها الذهبي مدة أربعة قرون كاملة ابتدأت من تأسيسها على يد عقبة بن نافع سنة خمسين للهجرة و انتهت بانهيارها السياسي و العلمي و الاجتماعي على يد القبائل الزاحفة من صعيد مصر عام 444هـ."[1]

إن سقوط هذه الأخيرة كان أكبر استفادة ديمغرافية استفادت منها القلعة تمثلت في انتقال أكثر أهل مدينة القيروان عقب خرابها على يد الأعراب الهلالية ومن القرائن قال أبو عبد الله البكري :" وأنتقل إليها بعد غزو الهلالي للقيروان أكثر أهل إفريقيا"[2].

وتذكر المراجع أن السكان الذين أتوا من القيروان سنة 405هـ/1014م منهم تجار وأصحاب رؤوس أموال وطلاب العلم[3]. وكمثال على رحيل علماء إفريقية إلى القلعة نذكر منهم أبو القاسم عبد الجليل ابن أبي بكر المعروف بالدباجي والذي رحل من افريقية بعد الغزو الهلالي للقيروان 449هـ/1057م [4]

ج- الهجرة الأندلسية والصقلية :

استقبلت القلعة المهاجرين سواء كانوا على شكل جماعات أو أفراد فارين من السلطان المرابطي الذي كان يتمركز في المغرب[5], أو الفارين من الحرب الأهلية التي حدثت بقرطبة والمعروفة بالفتنة القرطبية في نهاية المئة الرابعة[6], ومثال ذلك من علماء الأندلس الوافدين أحمد ابن علي ابن حمد ابن خلف الأنصاري من غرناطة المعروف بابن الباذش[7] وأحمد ابن طاهر ابن

---

[1] – يوسف بن أحمد حواله: المرجع السابق، ص. ص ، 149 ، 153.

[2] – أبو عبيد الله البكري:المصدر السابق, ص 389, النويري: نهاية الأرب, ص ص 349, 350

[3] – عبد العزيز فيلالي: قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية, ص 10 .

[4] – محمد بن عميرة: القلعة قاعدة بني حماد الثقافية الأولى, حولية المؤرخ لإتحاد المؤرخين الجزائريين, العدد 1, الجزائر, 2002م, ص 106

[5] – عشراتي سليمان: الشخصية الجزائرية, بانوراما المشهد الحضاري لميلاد الدولة الحمادية, ج2, دار الغرب للنشر والتوزيع, الجزائر, 2002م, ص 111 .

[6] – عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق, ص 10 .

[7] – ابن علي محمد بن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب بهامش كتاب نيل الابتهاج في تطريز الديباج للتمبكتي, دار الكتب العلمية, بيروت, ب.ت ، ص 42 .

علي بن عيسى ابن عبادة الأنصاري البلنسي[1]. ومنهم أيضا أحمد ابن خصيب (الخصين) (450هـ/1058م)[2].

كانت الأندلس في ذلك الوقت إحدى أقطاب الحضارة في الإسلام, ومركز الإشعاع الفكري الذي يضاهي بغداد وأهلها و قد حمل أهلها لما انتقلوا إلى القلعة بطبيعة الحال مستواهم الحضاري .ناهيك عن هجرة الصقليين التي كانت نوعية, فقد رحل إلى القلعة أبو عبد الله الفرج بن أبي الفرج المازري المعروف بالذكي[3].

و من ناحية أخرى فقد كانت القلعة مقصدا للعلماء و الفنانين و التجار الذين كانوا يفدون من الحجاز و العراق و مصر و الشام، و ينقلون معهم أحدث الأفكار و الأساليب الفنية في مختلف الميادين، و من ثم لا غرابة أن نجد تشابه بين الفنون و العلوم المشرقية و علوم و فنون القلعة.[4]

4- العامل الاقتصادي :

يرى مالك بن نبي أن التطور الفكري لأي دولة من الدول، إنما هو انعكاس للحركات الاقتصادية التي يرتكز عليها البنيان الاجتماعي، فالفكرة نتيجة للحياة المادية، هذه الأخيرة هي العامل الحسم في تكوينها و تطورها و تغير أصولها.[5]

إذن هناك تلازم قائم بين ازدهار الحياة الاقتصادية, وتطور كل أشكال الحياة الروحية والفكرية والثقافية في قلعة بني حماد .

أ- التجارة :

لقد كانت التجارة أهم العوامل التي أدت إلى تطور الحياة الفكرية والثقافية في القلعة .حيث كان يمر بها مسلكين لتجارة الذهب والرقيق, يربطان بين بلاد السودان وإفريقيا خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين[1]

---

[1] – أبي عبد الله محمد بن الأبار: التكملة لكتاب الصلة, ج1, تعليق, ألفرد بل وأبي شنب, طبعة فونطا, الجزائر, 1919م, ص 55.

[2] – أبي القاسم خلف بن بشكوال: الصلة, ج2, الدار المصرية للتأليف والترجمة, مصر, 1996م, ص 59 .

[3] – القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك, ج4, تحقيق, أحمد بكير محمد, دار مكتبة الحياة, بيروت, دار مكتبة الفكر, طرابلس, ص 792 .

[4] – إسماعيل العربي : المرجع السابق، ص 129.

[5] – مالك بن نبي:شروط النهضة، ترجمة عمر كمال مسقاوي، عبد الصبور شاهين،ط4،دار الفكر:دمشق،1987،ص 70.

وفي ظل هذه الحركة الدؤوبة للتجارة كان ينتقل مع القوافل التجارية الأدباء والشعراء والفقهاء الصوفية, ويحطون رحالهم بها وهذا ما استشفه من قول البكري ت 487هـ/1084م : "... وهي اليوم مقصد التجار, وبها تحل الرحال من العرب والحجاز ومصر والشام, وسائر بلاد المغرب" .[2]

وبهذا انتقلت الأفكار والمذاهب إلى مدينة القلعة مع هؤلاء التجار القادمين كما أسلفنا من كل أنحاء المشرق والمغرب الإسلاميين, فأفادوا المدينة وساهموا في رقيها الفكري بنشر أفكارهم ومذاهبهم فيها، والأكيد أنه أصبح لهم فيها طلاب وتلامذة .

وما يؤكد أيضا على أن قلعة بني حماد كانت مدينة تجارية تستقطب التجار من مختلف الأنحاء, ما أورده الميلي : " إنه حوالي عام 575هـ/ 1065م, صارت القلعة مدينة تجارية عظيمة وافرة الخيرات, وقصدها أرباب الصناعات من المشرق وإفريقية ..."[3]

فالقلعة كانت غنية اقتصاديا[4], مما ساعد التجارة على الازدهار والرقي واستقطاب التجار من مختلف الأماكن .

ب- الفلاحــة:

تعتبر الفلاحة من العوامل التي ساعدت على الاستقرار في القلعة مثل التجارة، التي تعتبر عامل جذب، إذ كانت القلعة و أحوازها مزدهرة فلاحيا[5] مثلا في زراعة الحنطة و الأشجار المثمرة[6] و الشعير إضافة إلى تربية الحيوانات[7] دون أن ننسى القمح الذي كان يحفظ لسنة أو سنتين دون

---

[1] – الطريق الأول يصل بين بلاد السودان في الجنوب إلى سجلماسة من ثمة إلى تلمسان عبر الزاب (الذي تقع فيه مدينة القلعة) إلى إفريقية, والطريق الثاني يمتد من بلاد السودان نحو تاهرت, مرورا بالزاب إلى إفريقية ؛ بونابي: الدولة المركزية, المرجع السابق، ص 37 .

[2] – البكري: المسالك والممالك, ج2, ص 710, ياقوت الحموي: معجم البلدان, ج4, ص ص 389, 390 .

[3] – مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص 632, رابح بونار :المرجع السابق، ص ص 216, 217 .

[4] – عندما هزم حماد أمام باديس, اغتنم جيش حمامة عشرة آلاف درقة وأموالا, حيث كان هناك صناديق بها خمسون ألف دينار, وأيضا سبعمائة من الورق وألف ألف وخمسمائة ألف درهم, ومن الأمتعة خمسين صندوقا إضافة إلى ما كان في بيت حماد وخزائنه وبردعة بغل بها نحو ثمانية آلاف دينار. ابن عذاري: البيان المغرب, ج1 ص ص 363, 364 .

[5]– الإدريسي: نزهة المشتاق، ص117.

[6] – نفسه: ص ص109، 117.

[7]– نفسه: ص117.

أن يفسد، بسبب كثرة غلتها منه و هذا حسب ما قاله الإدريسي: "...كانت بكثرة غلتها تكفي لسنة أو سنتين دون أن تفسد ".[1]

وكان الحماديون يقومون بطمر المحصول الزائد عن حاجتهم من القمح و هذا ما تؤكده الحفريات التي عثر عليها لوسيان جولفان[2] بقلعة بني حماد، و هي عبارة عن مطامير كثيرة محفورة في صحن دار قريبة من قصر السلام،[3] كما أنها كانت تنتج العديد من الفواكه و الخضروات مثل الكروم و الزيتون و البقوليات، إضافة نبات الفوليون الحراني الذي يشربه أهل المنطقة ليتحصنوا به من ضرر العقارب.[4]

كما أنها كانت مشتهرة بتربية الغنم و البقر و النخيل و الإبل و النحل و حتى البغال.

ج-الصناعة:

لم يكتف الحماديون بالزراعة فقط، بل اتخذوا أعمالا أخرى غيرها، منها صناعة المعادن من ذهب و فضة و رصاص، كما اشتغلوا بصناعة النسيج، وهذا ما ذكره صاحب الاستبصار، فضلا عن هذا تميزت بصنع الملابس كألبسة الرجال و النساء.

إشتهرت القلعة بصناعة الفخار و الخزف والزجاج و صناعة المطاحن، وهذا ما تدل عليه الحفريات و القطع الخزفية التي عثر عليها المنقبون، و التي تدل على ما بلغته هذه الصناعة من تطور و إبداع في الحرف و الزخرفة، الأمر الذي جعل سمعة القلعة تتعدى الحدود المغربية إلى مختلف بقاع العالم و بصفة خاصة العالم الإسلامي حيث أصبحت قبلة لطلبة العلم و للحرفين و التجار و الصناع.[5]

1-Rchid Bouriuiba : Cites disparues, Tahart,Sedrata, Achir kal'a des Bani hamad,Arts et culture ministre de l'information, Alger, 1982, p110.

[2] – لوسيان قولفين : أستاذ باحث في الآثار الإسلامية بجامعة الجزائر،كان قد أجرى حفريات في سنوات 1956،1952،1951م و أخيرا من سنة 1960-1962م قام بحفريات بقصر السلام و قصر المنار و نشر كتابين عن القلعة بني حماد، الأول تناول فيه المغرب الأوسط في عهد الزيريين صدر سنة 1957م، و الثاني قدم " أبحاث أثرية بقلعة بني حماد" صدلر سنة 1965م ؛ أنيسة بركات : محاضرات و دراسات تاريخية و أدبية حول الجزائر،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر،1995،ص،ص،281، 282.

[3] – رشيد بورويبة: الدولة الحمادية، ص130.

[4] – نفسه : ص135.

[5] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص350.

شهدت الصناعة تطورا ملموسا رافق التطور و الازدهار الثقافي باعتبار أن الصناعات في الطرف الثاني من المعادلة التي تعتبر الثقافة الطرف الأول منها، هذا التطور الذي ما زالت آثارها تشهد عليه إلى يومنا هذا، سواء في الميدان المعماري أو في الفنون الصناعية الأخرى.

و لدينا شهادة حية لشاعر كتب قصيدة يصف فيها أحد القصور الحمادية العجيبة فيقول:

قصر لو أنك قد كحلت بنوره # أعمى لعاد إلى المقام بصيرا.

هذا القصر الذي بناه الناصر المسمى بقصر اللؤلؤة هو نموذجا للقصور الحمادية التي شيدت في القلعة في العهد الحمادي و هو يعتبر من القصور العجيبة في الدنيا، على وصف ابن خلدون. و قد كان لتطور الفنون المعمارية أن رافقها تطور بعض العناصر المعمارية الزخرفية مثل صناعة الفخار و الخزف هذه الصناعة التي لعبت دورا هاما في فن العمارة الإسلامية عامة و الحمادية خاصة، حيث استعملها الفنان كمادة أولية لتزيين القصور و المساجد و استعملها الأمويون و الفاطميون ثم العباسيون لتزيين قصورهم و مساجدهم بعضها لا يزال شاهد إلى يومنا على هذا السرح الحضاري الكبير،هذا إلى جانب استعمال هذا النوع من الصناعة في مجالات عملية كالأواني مختلفة الأشكال و الوظائف و الأنابيب لصرف و جلبها المياه و كذا القرميد إلى غير ذلك من الاستعمالات الأخرى. و لقد وصل هذا النوع من الصناعة إلى درجة عالية من الرقي و التطور وهذا من خلال القطع الخزفية و الفخارية التي احتفظت بها قلعة بني حماد.

ولعل الإقبال الكبير على هذه الصناعة من طرف الحماديين له دلالة واضحة على الأهمية و المكانة التي كانت تكتسبها هذه الصناعة في نفوس الحماديين، زيادة على التشجيعات المادية منها و المعنوية التي كان يقدمها الحكام للحرفيين و الصناع.[1]

كان هذا كله حافزا مساعدا على تطوير الخزف والفخار و الصناعات الأخرى إلى الدرجة التي أصبحت عليها بعد ذلك، وهي درجة تقارب إن لم نقل تساوي الخزف الإسلامي المبكر مثل الخزف الفارسي، والأموي والفاطمي و العباسي أو المعاصر مثل الخزف المرابطي و الأندلسي.

كما يجب أن نشير إلى أن القلعة كانت بدون شك بها خزافون لديهم مهارة كبيرة في هذا الميدان ورغم الأبحاث الكثيرة التي قام بها الأثريون لإظهار وابراز مراكز صناعة الفخار الحمادي، فإنهم لم يتوصلوا حتى الآن إلى حقائق ملموسة ونتائج ايجابية تلقي الأضواء على هذا النوع من

[1] – سرحاني عائشة و بريكال أسماء: الدور الحضاري لقلعة بني حماد 408هـ/1017م، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة ، الجزائر ، 2008، ص 27.

الموضوعات وتمكن الباحثين الأثريين الوصول إلى حقائق علمية ثابتة بعيدة عن كل افتراض و إلتباس و غموض، و نظرا لعدم توفر تلك الحقائق العلمية المادية، فإنه لم يبق أمام الأثريين إلا اللجوء إلى سبل أخرى تعتمد كل الاعتماد على المقارنة والافتراضات ومن ثم استنتج كل من الأستاذ "جولفان"و "جورج مارسي" أن المصانع الخزفية الحمادية كانت بدون شك موجودة خارج القلعة، في المكان الذي تشغله المصانع الحالية الموجودة هناك أي جنوب العاصمة على سفح جبل الرحمة. ويعتقد أنها كانت موجودة على الضفة الغربية لوادي فرج خارج أسوار المدينة قريبة من الأنقاض الرومانية الموجودة في الجهة السفلى على حوافي وادي فرج. والذي نستطيع أن نقوله أن الحماديين كانت لديهم مصانع زخرفية أقيمت لهذا الغرض و هي ما تؤكده القطع والأواني التي وجدت في القلعة.[1]

5-العامل الجغرافي:

أ- موقع قلعة بني حماد الاستراتيجي:

تقع قلعة بني حماد في موقع استراتيجي يتوسط منطقة المغرب العربي، فهي تقع على الطريق الرابط بين أفريقية و المغرب الأقصى.[2] (انظر الملحق 02 ص 127)

عند جبل المعاضيد الذي يمثل أحد جبال الحضنة التي تشكل سلسلة جبال الأطلس الصحراوي. حيث تقع على بعد 36 كلم شمال شرق مدينة المسيلة [3] الحالية و عاصمة الحماديين الأولى محمية بالحاجز الجبلي المتمثل في جبال البابور و سلسلة البيان التي تفصلها عن البحر و هذا البعد خفف من وطأة البحر و مخاطره من الناحية الشمالية .

و الجدير بالذكر أن القلعة بنيت على منحدر وعر فوق جبل تاقربوست الذي يبلغ ارتفاعه إلى 1418م [4]على الحدود الشمالية لسهول الحضنة، يحد القلعة شرقا واد فرج الذي يجري بين جبل الرحمة و جبل رزوق الذي يصل ارتفاعه من 1008م إلى 1400م أي من الشمال إلى الجنوب و كان هذا الوادي في عهد الحماديين يسمى بواد جرارة.

---

[1] – نفسه، ص 28.

[2] – الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، المرجع السابق ، ص95.

3– La kal'a des bani hamades , rapport de la mission polono Algérienne , 1987–1988,PKZ , Varsovie , 1990, p 5.

[4] – رشيد بورويبة : مدن مندثرة ، سلسلة فن و ثقافة ، وزارة الاعلام و الثقافة ، الجزائر ،1982، ص83.

كما يحدها غربا جبل قرين الذي يبلغ ارتفاعه إلى 1190م [1]ولا يفصل بينه و بين جبل الرحمة إلا مضيق . أما جنوبا يقع المدخل الرئيسي و الوحيد للقلعة و هو عبارة عن طريق كثير التعاريج ، يساير واد فرج ، كما نجد سهول الحضنة وراء جبل تاقربوست، أما أرضيتها فهي عبارة عن سطح ذو انخفاض منتظم تمثل هضبة صغيرة علوها يصل إلى 950م و ارتفاعها على مستوى البحر يقدر ب 100م. [2]

ب- التخطيط المعماري للمدينة:

أحيطت القلعة بصور على شكل رجل كبش حيث يساير قمة لقرين [3]يتماشى هذا الصور مع الضفة الشرقية لواد فرج من جهة الشرق نحو الشمال يكمل اتجاهه إلى أن يصل إلى جبل تقربوست يتراوح عرض الصور ما بين 1.20م إلى 1.60م و طوله 7 كلم[4] بني من الحجر و الديس و يتم الدخول للقلعة عبر عدة أبواب أهمها:

* باب الأقواس: يقع عند التقاء جبل قرين بالسهل، ولم يتبق من هذا الباب إلا أثاره الشمالية.
* باب الجنان: يوجد في شرق المدينة يؤدي بنا إلى طريق القيروان.
* باب جراوة: يطل على جسر سيدي عيسى و يقع في حي جراوة.

ج- أهم المباني المتواجدة في القلعة:

أ- المسجد: يعتبر من أهم المباني المتواجدة في القلعة إذ كشفت الحفريات على المسجد العظيم و مسجد آخر بقصر المنار يقع هذا المسجد في أسفل المدينة (القسم الجنوبي)

ب- قصر البحر أو دار البحر: يقع وسط المدينة. (انظر الخريطة رقم 02 ص 56)

ج) قصر المنار: يقع في الطرف الشرقي للمدينة على المنحدر الذي يطل على واد فرج. (أنظر الملحق 10ص 135)

د) قصر السلام: يقع غرب المدينة.(أنظر الملحق **09** ص 134)

هـ) قصر الكوكب: يقع شمال غرب المدينة.

---

[1] - نفسه ، ص83.

2- Lucien Golvin: le maghreb central , à l'époque des Ziri des arts et métiers graphiques , paris , 1957, p2.

3- Rachid bourouiba les hamadites …ibid. , p 96

[4]- رشيد بورويبة : مدن مندثرة ، ص86.

و) قصر الأمراء: يقع في الجزء الشمالي الشرقي.[1]

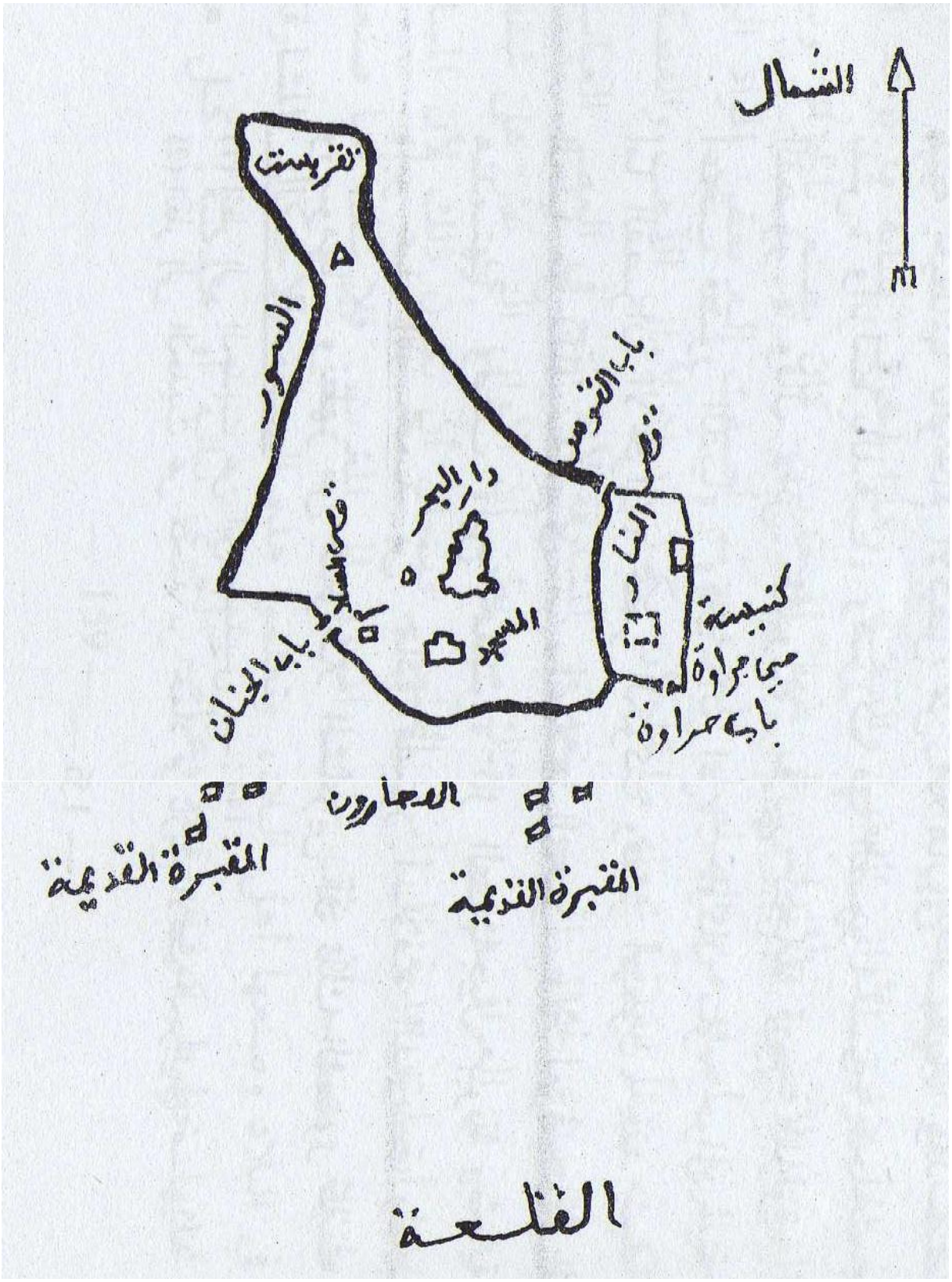

– **تخطيط مدينة القلعة –** عن : إسماعيل العربي : المرجع السابق.

[1] – نفسه، ص86.

6- انتشار اللغة العربية :

تتحدد البنية الثقافية للمجتمع الحمادي بتلك الأصول البربرية والتوجه العربي الإسلامي لهذا المجتمع، وقد أعطى هذا التزاوج بين الثقافة البربرية والثقافة العربية الإسلامية نتائج ساهمت في سمو هذا المجتمع، وتأسيس الدولة الحمادية وإرساء قواعدها، بالإضافة إلى الجهد الذي بذله البربر أنفسهم في تعلم العربية و علوم الدين حتى أن القرن الرابع الهجري، لم يكد يبزغ حتى صار كثير من البربر ينافسون العرب في لغة الضاد ،كما ساهمت في ظهور علماء من البربر برعوا في الفقه ومبادئ علم الكلام، ناظروا فقهاء العرب في قواعد الأصول و تفاريع الفقه و مبادئ علم الكلام.

وقد كان توجه الثقافة الحمادية عربياً أسوة بالمشرق العربي، ينهل من المضامين الإسلامية. ذلك " أن المغرب محاط من كل جوانبه بثقافات عربية، إن في الأندلس، وإن في المشرق، مما يجعلنا نطمئن إلى أن الثقافة العربية الإسلامية هي الثقافة الأم في الدولة الحمادية وهي مناط عناية الدولة واتجاهها الرسمي" [1]وهذا ما جعل اللغة العربية قيمة لا مثيل لها عند البربر المكونين للدولة الحمادية، حيث أصبحت " ربة المنزل وصاحبة الأمر والنهي على القرائح والعقول".

ومن الظروف التي أثرت هذا التوجه، أنّ اللغة العربية أصبحت لغة عالمية، تساهم في نقل المعارف والعلوم، فقد إتخذها الحماديون لغة لدولتهم، وإذا كان الأمر كذلك، فإننا لا ننفي أنّ اللغة البربرية كانت لغة عالمة مساعدة عن طريق نقلها للعادات والتقاليد من جيل إلى جيل، وبذلك تم الحفاظ على التوازن الداخلي لإنسان المجتمع الحمادي. مع العلم أن تفاعل ثقافتين قد يؤدي إلى ثقافة مهيمِنة وثقافة مهيمَن عليها، خاصة أن بني حماد قد بذلوا جهوداً كبيرة في سبيل تعريب البلاد مستفيدين من ذلك الإرث الذي خلفه وجود اللغة العربية في السابق.[2]

7- زحف القبائل العربية :

لم يقدم لنا المؤرخون إلا أخبارا قليلة عن الحوادث التي وقعت في المغرب الأوسط عند دخول قبائل بني هلال إلى المنطقة.(انظر الملحق 05 ص 130)

وقد اندفع بنو حماد في المغرب الأوسط بعد هزيمة بني زيري، حيث تقوى نفوذهم في المناطق المجاورة لهم وريثة لأمجاد القيروان.

و كمرحلة أولى، اصطنع الحماديون ولاءهم للفاطميين، ليتجنبوا تحريض الفاطميين للقبائل

[1] – عويس : المرجع السابق ،ص ص 246. 247.

[2] – محمد تحريشي : أدوات النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،2000،ص12.

الهلالية عليهم ، و كانت هذه الوسيلة ناجحة و ساعدتهم على التخفيف من حدة التوتر الذي ربما حدث في بعض الأحيان في المغرب الأدنى بين الهلاليين و المعز بن باديس.[1]

ولعلّ من العوامل المساعدة في المحافظة على هذه المكانة والقيمة الحضارية " الفكرية خاصة"، الأثر الثقافي الذي خلفه زحف القبائل العربية على المغرب[2]،و مهما يكن من الآثار السلبية التي خلفتها هذه القبائل في الحياة السياسية و الاقتصادية للمغرب العربي – فضلا عن الأثر الثقافي الذي تركته هذه الحملة بالنسبة للزيريين ، فإنها لم تنجح في أن تحدث آثارها تلك بالدولة الحمادية، بل إنها إلى– حد كبير–كانت أكبر عامل تعريب للثقافة الحمادية، حيث أثرت لغة التخاطب لقبائل بني هلال في اللسان البربري الذي كان طاغياً على اللسان العربي في الأرياف والمدن أيضاً, وسارت عملية الاستعراب بسير عملية المزج والاحتكاك طيلة قرون عديدة حتى كادت العربية تعمّ المغرب الأوسط في عهد بني زيان.

و يذكر بونار نقلا عن الكعاك: " إن البربرية بقت لغة حديث بالجبال والأماكن التي يختلط فيها البربر بالعرب ولم تنتشر بينهم الثقافة العربية ". وربما كانت لهم آداب عمومية من شعر ينشده المدّاحون والعجائز في المحافل العامة والخاصة على مثيل ما هو موجود الآن في بلاد القبائل. وأعانا على ازدهار الآداب والعلوم في عهد بني حماد.[3]

وتكون بفضل قبائل بني هلال مجتمع مغربي ذا طابع عربي، حيث يذكر الفريد بل: " أنه بالرغم من أن غزوات بني هلال قد أتت بالخراب و الفوضى لهذه البلاد في البداية

إلا أنها أعطت سكانها عنصرا عربيا انصهر شيئا فشيئا في الشعب البربري".[4]

---

[1] – عبد الحميد خالدي : المرجع السابق:ص120.

[2] – عند وصول قبائل بني هلال إلى المغرب الأوسط لم يقع قتال شديد بينهم و بين الحماديين، لأن بلكين بن محمد صاحب القلعة " 447/454هـ– 1055/162م " ترك لهم الأرياف و أدخلهم في صفوف جيشه للمزيد أنظر: رشيد بورويبة : الدولة الحمادية، ص 119؛ عبد الحميد خالدي: المرجع السابق ،ص 120؛ محمد سليمان الطيب: موسوعة القبائل العربية، مج6، دار الفكر العربي،القاهرة،2001م، ص487.

[3] – رابح بونار : المرجع السابق، ص196.

[4] – ألفريد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1987، ص214.

8- انتشار المذهب المالكي[1] السني :

كان المغربان الأدنى و الأوسط يخضعان رسميا للنفوذ الشيعي، و كانت صنهاجة قد أصبحت خليفة الفاطميين في حكمها، بعد أن أسدت إليهم خدمات جليلة في سبيل تثبيت ملكهم و مذهبهم في المغرب.

و مع هذه العلاقة السياسية الجيدة لم ينجح الفاطميون، على الرغم من وسائلهم القوية و المتنوعة، أن يكسبوا عقول الناس و عواطفهم نحو التعاليم الشيعية، و كان لذلك أثره في وجود انفصام بين الولاء السياسي و المذهبي في دولة بني حماد، و يترجم عن هذه الحقيقة ليفي بروفنسال حين يذكر أنه : " منذ القرن التاسع انتهى الأمر بالمغرب الإسلامي كله، و يشمل شمالي إفريقية و الأندلس إلى إيثار مذهب مالك بن انس بعد محاولات قام بها الأحناف لنشر مذهبهم، و أخرى قام بها الفاطميون لبث الدعوة الشيعية."

و من هنا يمكننا القول أن الدعوة الشيعية لم تكن طيلة وجودها بالدولة الحمادية إلا ستارا سياسيا استعانت به صنهاجة ضد خصومها في المغرب.

و يتأكد ذلك عندما قطع حماد بن بلكين مؤسس الدولة الحمادية دعوة الفاطميين و أظهر السنة، و لم يلق أية مقاومة في هذا الشأن، بل كان يتقرب بهذه القطيعة إلى نفوس الناس.[2] و قد سار القائد بن حماد الذي ولي الأمر بعد أبيه سنة 419هـ على نفس النهج الذي اختطه أبوه في الخروج على طاعة الفاطميين، و قد سار الحماديون بصفة عامة على نفس الطريق فلم يهتموا يوما بالمذهب الشيعي، و إن استغلوه سياسيا ، أما على المستوى الفكري الشعبي، فكان المذهب المالكي هو المذهب السائد لدى المغاربة، بل إنه كان بالنسبة إلى كثير منهم أكثر من مذهب " كان مذهبا و عقيدة و وطنية."[3]

لذا نجد أنه من العناصر المكونة لهذه البنية الثقافية الحمادية في القلعة، هو وجود مذهب الإمام مالك وانتشاره من دون المذاهب الإسلامية الأخرى، مما أدى إلى توحد التوجه الفكري

---

[1] – مذهب ينسب إلى الإمام مالك بن انس " ت 179هـ " زعيم مدرسة المدينة و هي تأخذ بالحديث أكثر من الرأي و قواعد مذهبه ستة عشر و هي: –الكتاب العزيز،– ظاهره و هو العموم،– دليله و هو مفهوم المخالقة، – مفهومه و هو باب آخر و مراده مفهوم الموافقة،– تنبيهه و هو التنبيه عن العلة،و من السنة مثل هذه الخمسة فتصبح عشرة ثم يأتي الإجماع ثم القياس ثم عمل أهل المدينة ثم أقوال الصحابة ثم الاستحسان و أخيرا الحكم بسد الذرائع.؛ رابح بونار: المرجع السابق، ص. ص 176،177.

[2] – عويس: المرجع السابق ، ص ص، 255، 256.

[3] – نفسه: ص256.

لأغلب سكان المغرب العربي عامة، وحول الحماديين بوجه أخص. فسلمت بذلك دولة بني حماد من ذلك النزاع المذهبي الذي كان له أثر سلبي في المشرق العربي، بل و كان في بعض الأحيان مدمراً، حيث أفضى إلى نزاعات هدامة من الناحية السياسية، وإن كانت مفيدة من الناحية الفكرية والأدبية، لأنها أسهمت في بناء الذات وتشكلها المعرفي. ولا يمكن تجاهل زحف مذهب مالك بدءاً من مدرسة القيروان، انتشاراً في القسم الغربي للعالم الإسلامي كله، بما فيه الأندلس، و انتقاله إلى غرب إفريقية حيث لا يزال المذهب الغالب في هذه البلاد".[1]

و مما سبق يمكن أن نخلص إلى ما يلي :

* إن دولة الحماديين لدولة مسلمة قامت على أسس سليمة ودعائم قوية فالإسلام دين الدولة دعا المسلمين إلى التدبر والعلم والمعرفة والتأمل كما أن السنة النبوية وضحت بدورها مدى اهتمام الدين الإسلامي بالعلم والعلماء والحرص على طلب العلم وتحصيله وهذا ما رغب الحماديين في طلب العلم بشغف شديد .

* كان للاستقرار السياسي مع نهاية الصراع الزيري الحمادي الذي جسده بشكل كبير عقد الصلح بين حماد والمعز عامل استقرار سياسي أدى إلى إبداع حضاري من خلال فتح باب الهجرة لكثير من علماء القيروان واستقرارهم في القلعة .

* اعتمد الأمراء الحماديون على سياسة البناء والتشييد والتعمير واستكثروا فيها بناء المساجد والفنادق فإستبحرت في العمارة واتسعت بالتمدن حيث كانت سياسة حماد المتمثلة في إعلان المذهبية السنية ركيزة أساسية حولت أنظار المغرب الإسلامي الذي كان يتبع المذهب السني إلى قلعة بني حماد، كما كان لسياسة الحكام المتمثلة في الحروب والتوسع الإقليمي دورا هاما في تحويل القلعة إلى حاضرة فكرية، ومن سياستهم تقريب الأدباء والعلماء منهم وكثرة عطاياهم وإيثارهم لأهل العلم والعلماء .

ومن الناحية الاجتماعية فقد اختار بنو حماد لتأسيس القلعة العنصر البشري الفاعل والمنتج فاختاروا بعناية العناصر السكانية القادرة على الإبداع، وكان لانتقال أهل مدينة القيروان بعد سقوطها على يد الأعراب الهلالية استفادة ديمغرافية كبيرة للقلعة لأن سكان القيروان كان منهم التجار وطلاب العلم، كما استقبلت القلعة أيضا المهاجرين من الأندلس وصقلية الذين حملوا معهم

[1] – محمد تحريشي : المرجع السابق، ص13.

ثقافتهم الحضرية وكان منهم العديد من العلماء الذين حملوا معهم علومهم إلى القلعة فانعكس هذا إيجابا على القلعة.

* من عوامل نمو القلعة و تطورها ازدهار الحياة الاقتصادية التي كانت عليها حيث كانت التجارة أهم العوامل التي أدت إلى تطور الحياة الفكرية والثقافية في القلعة وكذلك ساعدت الفلاحة على الاستقرار في القلعة حيث أصبحت عامل جذب فكانت القلعة أحسن منطقة فلاحية ولم يكتفي الحماديون بالزراعة بل اتخذوا أعمالا أخرى منها صناعة المعادن كالذهب والفضة والرصاص والنسيج واشتهرت بصناعة الفخار و الخزف والزجاج هذا ما أدى إلى الازدهار الثقافي والتطور العلمي فيها.

* كما عرف الحماديون فن العمارة الإسلامية واستعملوها في بناء قصورهم، وتعتبر القلعة نموذجا شاهدا على الفنون المعمارية وتطورها لدى الحماديين، وقد شجع الحكام الحماديون الحرفيين والصناع من خلال التشجيعات المادية والمعنوية المقدمة لهم، وهذا ما جعل الإقبال كبير على الصناعة وحفز على تطور الخزف والفخار والصناعات الأخرى

* و كان لاحتلال القلعة الموقع الاستراتيجي دورا بالغ الأهمية في دفع عجلة التطور و الازدهار بالقلعة فهي تقع على الطريق الرابط بين إفريقية والمغرب الأقصى.كما لا نغفل ما للتحصين الطبيعي و المعماري الذي تميزت به القلعة من أثر على تطور المدينة و توفير الاستقرار إليها، فبالإضافة إلى التحصين الطبيعي يحيط بالقلعة صور يتماشى مع الضفة الشرقية لواد فرج من جهة الشرق نحو الشمال و يكمل اتجاهه إلى أن يصل إلى جبل تقربوست ويتم الدخول إلى القلعة عبر عدة أبواب منها باب الأقواس باب الجنان وباب جراوة .

* من أهم المباني المتواجدة في القلعة المسجد ويعتبر أهم المباني، يقع هذا المسجد أسفل المدينة كما توضح ذلك الحفريات ويوجد بالقلعة قصر البحر يقع وسط المدينة وقصر المنار يقع في الطرف الشرقي بالمدينة وقصر الإسلام يقع غرب المدينة وقصر الكوكب الذي يقع شمال غرب المدينة وقصر الأمراء يقع في الجزء الشمالي الشرقي للمدينة .

* كما كان للغة العربية و انتشارها في القلعة و ما جاورها الأثر الكبير في تشجيع طلب العلم ، خاصة مع زحف القبائل العربية التي حملت معها مختلف العلوم المشرقية، و أثرت بدورها في تمكين المذهب المالكي و ترسيخه في أرض المغرب ككل و دولة بني حماد على وجه الخصوص.

الفصل الثاني :

المؤسسات التعليمية بالقلعة

1- المساجد

2- بيوت العلماء

3- الكتاتيب

4- الشريعة

5- الزوايا

6- المكتبات

تمهيد:

تميز عصر الحماديين- القلعة- بترقية مظاهر الحضارة فكانت هذه الفترة مرحلة نمو و إشعاع و إخصاب الفكر العربي الثقافي و السياسي و الاجتماعي، حيث أن الدولة الحمادية استطاعت أن تنهض بالعلوم و المعرفة، و تتيح للعلماء و للشعراء و الأدباء المناسبات التي تمكنهم من إثراء إنتاجهم الفكري، فعني- كما رأينا سابقا- الملوك أمثال حماد و القائد و غيرهم من ملوك بني حماد بالعلم و بأهله فنهضت الثقافة و الفنون على أيديهم نهضة كبيرة انطلقت منها حركات فكرية و دينية و سياسية امتد تأثيرها إلى جهات مختلفة من بلدان المشرق و المغرب الإسلامي.

لقد اهتموا بتأسيس المساجد و المدارس و المعاهد و اعتنوا بها، فأقبل عليهم العلماء و الأدباء و أهل الفن من كل جهة.[1]

و تجدر الإشارة إلى أنه في ظل الصمت الذي يميز معظم المصادر التاريخية فإنه يستحيل رسم صورة كاملة عن مظاهر الحياة الفكرية في القلعة وذلك لعدم تمكننا من الإطلاع على مصادر متخصصة[2] في هذا المجال وإن وجدت إنما هي مصادر تراجم والتي ذكر فيها تراجم بعض أعلام القلعة ضمن تراجم أعلام آخرين أو إشارة بسيطة حول المؤسسات التعليمية في كتب الموسوعات، و حاولنا جاهدين أن نبني من خلالها صورة عن الحياة الثقافية والعلمية ومن هذه المؤسسات المساجد وبيوت العلماء والزوايا والكتاتيب إضافة إلى المكتبات.

و نسنحاول في هذا الفصل التعريف:

- بأهم المراكز العلمية التي شهدتها قلعة بني حماد. و الدور الذي كانت تقوم به.

و كذا مدى تأثيرها في الحياة في القلعة و في المدن المغربية الأخرى.

[1] - أنيسة بركات : المرجع السابق،ص277.

[2] - و نقصد بها نتائج الحفريات التي قام بها كل من : " بول بلانشي سنة 1897م" و" القائد دي بيلي 1908م " و لوسيان قولفين 1951/1952/1956/1960/1962م."

1- المساجد:

المساجد منارات الهدى في الأرض لبني البشر، ويكفيها شرفاً ومنزلة أن الله سبحانه وتعالى أضافها إلى نفسه وذاته العلية، ليكتسب بنّاؤها وعمّارها عظيم ثناء الله عليهم، ويوصف من وجه آخر خرّابها و هدّامها بأشنع الصفات وأقبحها.

قال الله تعالى مادحاً الأولين :(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) [1]

وقال سبحانه و تعالى ذاماً الآخرين :(ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) [2]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المساجد بيوت الله تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض ".

وقد أولى القرآن الكريم للمساجد عناية كبيرة بالمساجد حتى تكرر ذكر المسجد أو المساجد أو المسجد الحرام بألفاظها فيه أكثر من اثنان وعشرون مرة إضافة إلى ورود الإشارة إلى البيت الحرام . وهو أبو المساجد وأولها . بلفظ سبع عشرة مرة كما وردت الإشارة إلى المساجد بلفظ البيوت مرة واحدة .

وإذا كان المسجد – من حيث الاشتقاق اللغوي – يرجع إلى مادة سجد و أيضا يطلق على مكان السجود.

فإنه من حيث الاصطلاح يعني: المكان المهيأ للصلوات الخمس و صلاة الجمعة التي يصرفها القرآن حصراً على وجه التعظيم والعبادة بالسجود لله، فالهدف الأساسي والمقصد الوحيد لخلق الإنسان كما صرح به القرآن هو عبادة الله في قوله سبحانه : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [3]

إذاً كان هذا وذاك عرفنا الارتباط الوثيق بين أعظم هدف لخلق الإنسان وأعظم مكان

---

[1] – سورة التوبة : الآية 18.

[2] – سورة البقرة : الآية 144.

[3] – سورة الذاريات : الآية 56.

لممارسة ذلك الهدف في صورته الدينية السامية الراقية. [1] فما المساجد إلا الأماكن التي بنيت لتوحيد الله والصلاة له وذكره ودعائه ودعوة الخلق إليه.[2]

قال تعالى : (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله).[3]

والمساجد هي كذلك أماكن لإقامة الوجوه لله الواحد القيوم لقوله:(قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون) .[4]

وهي وإن كانت تبنى من قبل البشر فإنهم لا يملكونها ، ولا يجوز أن تصرف في مختلف وجوه استعمالاتها إلا في ابتغاء مرضاة الله مصداقاً لقوله سبحانه : (و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)[5].

ولم يكن الحديث الشريف . وهو رديف القرآن ومفسره . بأقل اهتماماً أو عناية بالمساجد بل تضافرت الأحاديث الجمة وتوالت فيه مشيدة بالمساجد ،فدعت إلى بنائها وتعظيمها، فقد روى ابن ماجة عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من بنى لله مسجدا و لو كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة " و روي عن عائشة رضي الله عنها قالت:(أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب).

كان المسجد أول معهد للعلم في بداية ظهور الإسلام فلم تقتصر المساجد على العبادة فقط بل كانت تؤدى فيها أعمال مختلفة، و بهذا كان المسجد مكان للعبادة تقام فيه الصلاة، و تخطب فيه الخطب، و دارا القضاء، و معهدا للدراسة [6]، حيث أن الصبيان عندما ينصرفون من الدراسة في الكتاتيب يلجأ منهم يرغب في التزود بالعلم و مواصلة الدراسة بعد المرحلة الابتدائية ، إلى

---

[1] – عبد الله سالم نجيب : تاريخ المساجد الشهيرة ، ب.ط، ب.ن ، ب.ت ، ب.م، ص 6.

[2] – عبد الله سالم نجيب: المرجع السابق، ص .ص 2 ، 3.

[3] – سورة النور : الآية 36-38.

[4] – سورة الأعراف : الآية 29.

[5] – سورة الجن : الآية 18.

[6] – أحمد أمين: ضحى الإسلام–نشأة العلوم العقلية في العصر العباسي الأول، ج2، دار الكتاب العربي،لبنان، بيروت ، د.ت ، ص52.

المساجد الجامعة التي هي مقر هذا النوع من التعليم، و فيها تقام الحلقات الدراسية، التي يقوم بها شيخ متخصص في فرع من فروع العلم، و يعقد مجلسه العلمي في وقت معين من اليوم، و يحيط به الطلبة و لا يقبل منهم في حلقته إلا من اختبره ، و لمس فيه الجدية و المقدرة و الانتظام في الحلقة، و من هنا كانت المساجد أشبه بالجامعات.[1]

إن المساجد و الجوامع في العالم الإسلامي عامة و المغرب على وجه الخصوص كانت و لا تزال ذات رسالة تعبدية و علمية خالدة ، و منذ أن وضع الرسول صلى الله عليه و سلم أساس مسجده بالمدينة المنورة اضطلعت المساجد و لا تزال بهذين الدورين الأساسيين ، التعبدي و العلمي في المقام الأول ،كما أن المسجد كان في العصور الإسلامية الأولى و إلى وقت قريب المقر الذي تناقش فيه قضايا و مشكلات المسلمين السياسية و الأمنية و العسكرية وغيرها،[2] ذلك أن المسلمين يحرصون على بناء المساجد الجامعة عند إنشائهم المدن في الأمصار المفتوحة لتقوم بوظائف متعددة لعل أبرزها قيامها بدور المدرسة و الجامعة في العصور الحديثة.[3]

أما عن مساجد و جوامع المغرب الأوسط لم تختلف عن غيرها فبجانب رسالتها التعبدية، ما فتئت تعمل طوال الفترة الزمنية على الوفاء برسالاتها ووظائفها الأخرى العلمية و الثقافية و الاجتماعية و السياسية.[4] و تتجلى لنا بوضوح في مدينة القلعة التي تمثل الطور الأول من أطوار الدولة الحمادية ، و بجاية الطور الثاني، حيث تتجلى لنا هاتين العاصمتين معقل العلوم و مصدر النهضة العلمية بإشعاعاتها المختلفة في المغرب الأوسط [5]. ولقد اعتمدت هذه النهضة بالدرجة الأولى على الناحية التعليمية ممثلة في المسجد الذي كان يلعب دورا تعليميا، و لم يكن ثمة مسجد في مدينة القلعة خاليا من المدرسين[6]، حيث كانت مدينة كاملة ذات أحياء و مساجد تتوسطها قصبة.[7]

---

[1] – عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق ، ص182.

[2] – يوسف بن أحمد حواله : المرجع السابق ، ص201.

[3] – حسن خضيري احمد : علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ،ط1 ، مكتبة مدبولي ،القاهرة ،1996،ص 155.

[4] – يوسف بن أحمد حواله : المرجع السابق ، ص201.

[5] – عويس : المرجع السابق ، ص252.

[6] – نفسه ، ص253.

[7] – حسين مؤنس : المرجع السابق، ص 173.

ذلك أن المساجد أصبحت أهم المؤسسات الثقافية و التعليمية في القلعة، حيث نجد أن حماد عندما إختط القلعة استكثر فيها المساجد[1]، وعلى رأس هذه المساجد نجد الجامع الأعظم الذي كان يؤدي دورا تعليميا في مختلف العلوم لاسيما علم القراءات.[2]

إن المسجد الأعظم كان من أهم مباني القلعة، و الذي لم يبق منه إلا منارته و قصور أمراء بني حماد المتعاقبين.

يقع مسجد القلعة في أسفل المدينة و على وجه التحديد في القسم الجنوبي منها، و على الرغم من أن المؤرخين يتحدثون عن عدة مساجد في القلعة ، فإن هذا المسجد " الجامع الأعظم " هو الوحيد الذي تعرف عليه علماء الحفريات.

يمتد مبنى المسجد على مساحة من الأرض تبلغ 64 متر طولا و 56 متر عرضا، و يشتمل المبنى على مئذنة تقوم عند حائطه الشمالي يبلغ ارتفاعها 25 متر، كما يشتمل على حصن يقع فيه حوض كبير للوضوء.

و لبيت الصلاة في المسجد أحد عشرة بابا مختلفة الاتساع لم توزع توزيعا منتظما كما تمتد فيه صفوف السواري التي تحمل نصف المسجد و قد بلغ عددها 84 سارية.

و بجانب المحراب يقع المكان الذي تحتله مقصورة الأمير ، و هي مقصورة واسعة يرجح أن تكون مصلى خاصا للأمراء، و في الزاوية الشمالية الشرقية يقع المنبر الذي يشبه منبر القيروان.[3]

و كان بجامع المنار بالقلعة مكتبة مليئة بالكتب المحمولة من أقطار المغرب و المنقولة عن تدريس أساتذة الجامع.[4]

أما إذا جئنا إلى الحديث عن دور هذا المسجد فهو مركز ترابط الجماعة في الأمة المسلمة، يتلاقى المسلمون فيه للصلاة وتبادل الآراء والوقوف على أخبار الحياة، ويمتزج فيه جميع أفراد المجتمع من جميع المستويات، و يتعلمون كيفية توحيد السلوك، وفهم الأمور وإحياء التراث وشحن العواطف، وبذلك يغدو المسجد الهيكل المادي الملموس للجماعة المسلمة أياّ كانت كما يغدو ضرورة دينية وضرورة سياسية بالنسبة لكل مسلم على حدة وبالنسبة لجماعة المسلمين جملة.[5]

---

[1] – ابن خلدون: العبر ، ج6، ص202.

[2] – أبي القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج4، مؤسسة الرسالة، بيروت–المكتبة العتيقة، تونس، 1985م، ص82.

[3] – إسماعيل العربي : المرجع السابق ،ص 124.

[4] –عويس : المرجع السابق، ص 254.

[5] – عبد الله سالم نجيب: المرجع السابق، ص04.

لقد حظيت المساجد – في قلعة بني حماد– بالاهتمام الأوفر في اختيار موضعها عند بناء المدن وتخطيطها، فكان المسجد الجامع مع دار الإمارة في معظم الأحيان يشغلان بؤرة المدينة الإسلامية ومركز الحياة والحركة فيها، حيث في هذا المسجد يلتقي الأمير بالمسلمين عموماً، ليس في أوقات الصلاة فقط ولكن في العديد من المناسبات الدينية، لذا حافظ المسجد الجامع في كل بلد إسلامي على مكانته الكبيرة في النفوس، كما حافظ على توسط مركزه في المدينة الإسلامية مهما توسعت رقعتها وامتدت أطرافها خارج أسوارها.

كما اتصفت المساجد عموماً في جميع بلاد المسلمين بطابع جمالي أخاذ، رغم اختلاف أشكالها من بلد إلى بلد، ومن شعب إلى شعب، ومن عرق إلى عرق ،إلا أنها في جملتها أجمل ما تقع عليه عين الإنسان في عالم الإسلام، و يذكر سالم نجيب فيما نقله عن حسين مؤنس قوله: " فسواءً أكنت في قرية صغيرة خافية في بطن الريف، أو مستكنة خلف كثبان الرمال في الصحراء، أو راقدة في لحف جبل، أو كنت في عاصمة كبيرة مترامية الأرجاء، متدفقة الحركة، عامرة بالعمائر الشاهقة، فإن المساجد بمآذنها الدقيقة المنسرحة الذاهبة في الجو مشيرة إلى السماء، وقبابها الأنيقة، تضيف إلى المنظر عنصراً من الجلال والجمال الروحي لا يتأتى له بدونها، فهي تزيل الوحشة عن تواضع مباني القرية وصغرها وتنفي الجمود عن مباني العواصم، ويتجلى لك ذلك في أصفى صورة ساعة المغيب حيث تضفي المساجد بمآذنها وقبابها ظلالاً جميلة على الشفق الدامي من ورائها".

ورغم الطابع الأخاذ للمساجد إلا أنها اتصفت دائما بالبساطة والتواضع ،لأن طبيعتها وما بنيت له من عبادة الله بقلوب واجفة تتنافى مع الفخامة و الإسراف في الزينة.[1]

قامت المساجد– و منها مسجد الجامع بالقلعة– خلال تاريخ المسلمين الطويل بعدة أدوار حضارية، كان أهمها في :

مجال التعليم والتوعية، حتى أصبح التعليم بمختلف مناهجه ومراحله جزءاً لا يتجزأ من رسالة المسجد في كل عصر ومكان، بل نستطيع القول إن المدارس النظامية ما هي إلا ربيبة المساجد ورضيعة المحاريب. ومنذ أن تحلق الصحابة الكرام حول رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده الشريف يستمعون خطبه البليغة، ويصغون إلى أحاديثه الجامعة ويتلقون دروسه ومواعظه

[1] – عبد الله سالم نجيب: المرجع السابق، ص05.

المعبرة، منذ ذلك الحين انطلقت رسالة التعليم داخل المسجد وحملت المحاريب تلك الراية في شتى مجالات العلوم: في الفقه والأصول والحديث والتفسير واللغة والأدب والتاريخ وغير ذلك، إلى أن خرّجت تلك المساجد ألوف النابغين ومئات الأئمة وأفواج المبدعين.

ولا عجب بعد ذلك أن نقول إن عناية بني حماد خاصة بمساجدهم فاقت عناية كل الأمم بأماكن عبادتها من حيث العدد و إن لم يكن كبير للمساجد، والارتباط الشديد بها، والنظافة التامة، و الفائدة العامة ،والأثر الباقي، فالمساجد بنيت وعمرت منذ الماضي ولا زالت حتى الآن تتابع مسيرتها في ثقة وتتابع، حتى لا تكاد توجد جماعة من المسلمين- تجاراً أو طلاباً أو مهاجرين - في بقعة من بقاع الأرض وإلا وكان الهاجس الأول لهم إنشاء مسجد يضم شتاتهم ، ويوحد كلمتهم، ويشعرهم بوجودهم.[1]

هذا و قد عرفت القلعة كغيرها من مناطق المغرب مركز علمي لا يقل أهمية عن المسجد و هو المسيد- المقصود به المسجد في اللغة التركية- و هو عبارة عن ملحق كان يفرد للناحية التعليمية بالمسجد، و قد تطور هذا المسيد في القرن الخامس الهجري فاستقل بنفسه عن المسجد، و صار عالما بذاته من حيث البناء و المقصد ، هذا التطور لم يمنع المسجد من أن يبقى محل التعليم، إلا أنه ارتفع طبقة فصار بمثابة دار التعليم الثانوي و التعليم العالي.[2]

2- بيوت العلماء :

كانت بيوت العلماء والفقهاء بمثابة دور علم حيث ورد أن محمد بن عمر القلعي كان له مجلس دراسة يعلو بسقف داره يجمع إليه خواص الطلبة.[3]

3- الكتاتيب :

لا مراء في أن الكتاتيب من أقدم و أهم الوسائط الثقافية بعد المساجد و الجوامع التي أسهمت في نشر العلوم و المعارف الإسلامية على وجه الخصوص.

و الكتاتيب جمع كتاب، و هو لفظ مشتق من التكتيب، و تعليم الكتابة و قد يقال له : المكتب و هو موضع التعليم كمقعد ، و الجمع : المكاتب.[4]

---

[1] - عبد الله سالم نجيب: المرجع السابق،06.

[2] - عويس : المرجع السابق، ص 253.

[3] -: الحفناوي ، المرجع السابق ، ص 492.

[4] - يوسف بن أحمد حواله : المرجع السابق ، ص 226.

كما نقصد به المكتب أو الكتاب أي موضع تعليم الكتاب، و عند الجمع تصبح كتاتيب و مكاتب، فالمكتب هو موضع التعليم، أما الكتاب هم الصبيان و من جعل الموضع الكتاب فقد أخطأ.[1]

و مهما كان من أمر، فإن الشيء الثابت أن الكتاب من أقدم المؤسسات العلمية التي عرفتها مهنة التعليم، فدور الكتاب العلمي مذكور في العالم الإسلامي كله منذ العصور الإسلام الأولى ، فلم يخل منه شارع و لا حتى حي من الأحياء في المدن و القرى بوصفه النواة الأولى في العملية التعليمية مع المساجد و الجوامع، و عن طريقه بزغت بواكير العلم و المعرفة.

و لقد شهدت بلاد المغرب ظهور تلك الكتاتيب مبكرا فمنذ أن وطأت أقدام المسلمين أرض المغرب، و استوطنوه و بنوا دورهم و مساجدهم ، دفعتهم الظروف و الواقع إلى تثقيف أولادهم فأنشأوا الكتاتيب للقيام بتلك المهمة و قوام الكتاب : معلم ، و مكان ، و صبيان.

و لقد كان الهدف الأسمى من إيجاد تلك الكتاتيب تنشئة أولئك الصبيان تنشئة دينية قويمة عن طريق البرنامج الدراسي الذي يقدم فيها و القائم على إقرائهم لكتاب الله و تحفيظهم إياه سواء كان كلا أو جزاء منه ، بالإضافة على ضرورة الإلمام بقواعد الكتابة و القراءة و بعض المبادئ الدينية التي تتصل بالصلاة و الصوم و الحج مع شيء يسير من علوم اللغة و النحو و مبادئ الحساب، و غنى القول أنه ليس هناك ثمة ازدواجية في هذا بين دور المساجد و الجوامع و دور الكتاتيب، فالمساجد و الجوامع كان كيانها العلمي يعتمد على الحلقة و الشيخ و المريدين، بينما الكتاب كان مقتصرا على الصبيان عن طريق تقديم محصلة علمية متواضعة في حجمها توطئة للإلتحاق بالحلقة في الجامع. فالكتاب يمهد الطريق للصبي بعد بلوغه السن و التحصيل الملائمين إلى الانتظام في حلقات الشيوخ في الجوامع و المساجد التي تعد مرحلة علمية متقدمة.

و الكتاتيب كانت تنصب في المساجد، و إما في أماكن خاصة. و في المغرب عموما كانت الكتاتيب في البادية ملحقة غالبا بالمساجد، أما في المدن فقد كانت إما ملحقة بها و إما مستقلة عنها.

و قد عرفت بلاد المغرب الكتاتيب الخاصة و الكتاتيب العامة، فالخاصة هي التي كانت تنتصب في قصور الأمراء و الوزراء و علية القوم، و العامة هي التي كانت تنتشر في زوايا و أركان المدينة، و يقوم على هذه الكتاتيب و تجهيزها معلم أو مؤدب له حظ يسير من العلم الديني،

[1] – ابن منظور : لسان العرب ،ج1، ط3، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص 699.

و ليس شرطا أن يكون عالما مبرزا في العلوم الدينية و غيرها و إنما يشترط فيه حفظ كتاب الله و تجويده.[1]

و لقد كان المؤدب يلقى ترحيبا و تكريما من قبل السكان، و من قبل أولياء التلاميذ ،فهو الرجل المرغوب فيه الذي تتخاطفه القبائل البربرية ليكون المؤدب و الإمام و المرشد و الكاتب و الحكيم و العريف.[2]

و كانت الكتاتيب في المغرب في الأماكن التي يتعلم صبية المسلمين مبادئ القراءة و الكتابة وحفظ القرآن الكريم، أي أن هذه المكاتب ما تسمى الآن بالمدارس الابتدائية، و إذا كانت ليست لدينا معلومات معينة عن تلك المكاتب في قلعة بني حماد إلا أنه من المؤكد أنها كانت تشبه جميع الكتاتيب في العالم الإسلامي، بحيث لا تعدو أن تكون حانوتا أو حجرة مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه، أو غرفة في منزل مؤثث ببعض الحصر.[3]

كان التعليم في الكتاتيب يتم بتعليم الأولاد الصغار خاصة القران الكريم، و أشهر المعلمين في القلعة بهذه المؤسسة أبو حفص العديري، وبذلك تعتبر الكتاتيب من أشهر أنواع التعليم الابتدائي و كانت تتمتع بنوع من الملكية الخاصة.[4]

4- الشريعة :

كان بقلعة بني حماد ما عرف في بلدان المغرب باسم الشريعة، حيث كان يقوم أحيانا مقام الكتاب و هو عبارة عن خيمة مدرسية عند البدو إلى جانب كونه مصلى كبير تقام فيه الأعياد و ربما صلوات الجمع، و من المحتمل أن الشريعة كانت محل تعليم البدوي في مقابل المسيد الذي كان محل تعليم الحضري، و هي تنتقل بانتقال الحي وفق ضرورات الانتجاع أو دواعي تزاحم القبائل، و يتعلم فيها الأحداث من ذكور و إناث.[5]

---

[1] – يوسف بن أحمد حواله : المرجع السابق ، ص227

[2] – يوسف بن أحمد حواله : المرجع السابق ، ص 228.

[3] – محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية و تأثيراتها الأندلسية، الهيئة العامة للكتاب، مصر،1985، ص39.

[4] – عويس: المرجع السابق ، ص253.

[5] – نفسه، ص254 .

5- الزوايا :

تعتبر الزوايا من الوسائط أو المؤسسات العلمية و الثقافية في بلاد المغرب خلال الفترة موضوع المذكرة ، فعبرها انتشرت علوم و معارف دينية على وجه الخصوص أسهمت في المحصلة و الإنتاج العلمي الذي تميزت به الحياة العلمية آنذاك، و لعل من المناسب أن نتحدث عن الزوايا من حيث معناها اللغوي و الاصطلاحي، و التسلسل التاريخي لظهورها في العالم الإسلامي عامة و بلاد المغرب الإسلامي على وجه الخصوص.

لغة :

الزوايا مفردها زاوية وهي مشتقة من الفعل " انزوى، ينزوي" بمعنى اتخذ ركنا، كما أنها مأخوذة من فعل " زوى" و " أزوى" بمعنى ابتعد وانعزل، كما في كتب اللغة

و سميت كذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة هم من المتصوفة والمرابطين، اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء والسكون اللذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية، ويناسبان جو الذكر والعبادة، وهي من الوظائف الإسلامية التي من أجلها وجدت.[1]

– وفعل زوا الشيء يزويه زيا، أي جمعه وقبضه وفي الحديث " زويت في الأرض فأريت مشارقها ومغاربها "، و زوى ما بين عينه أي جمعه.

قال الأعشى:

يزيد بعض لطرف عيني كأنما ∃ زوى عيناه على المعاجم

والزاوية من البيت ركنه لأنها جمعت قطرا منه، أي جمع زاوية،[2] والزاوية في الأصل ركن البناء، كانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى، ولا يزال للكلمة هذا المعنى عند المسلمين في المشرق، واكتسب مصطلح الزاوية تغييرا في المفهوم منذ العصور الوسطى في العالم الإسلامي وتطورت من الدير إلى الخانقات أو النكة التي أصبحت تطلق بصفة خاصة من طرف الفرس على المنشآت الصوفية عند المسلمين.

---

[1]– صلاح مؤيد العقبي: الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر تاريخها ونشاطها، بيروت، لبنان، دار البراق، 2002م. ، ص301.

[2]– بحيدي حسان و محمد عبد القادر، الزوايا و دورها في حفظ المخطوطات، مذكرة ليسانس علم المكتبات و الوثائق، بإشراف: أصحى محمد، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانية وهران 2000، 2001م، ص04.

والزاوية في شمال إفريقيا أكثر شمولا، إذ تطلق على البناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني، وهي تشبه الدير أو المدرسة، وحسب محمد نسيب يقول دوماس: " إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ومجانية للضيافة، وهي بهذين الوصفين تشبه كثيرا في العصور الوسطى الدير ".[1]

والزاوية من فعل زوى أي جمع، لأن فيها تتجمع الصفوف والفقراء وطلبة العلم، ويجمع فيها المال بطرق مشروعة قصد تمويلها وتسيير نظامها.[2]

اصطلاحا:

أما اصطلاحا: فيطلق اسم الزاوية ويراد بها مأوى المتصوفين والفقراء، والمسجد الغير جامع ليس فيه منبر، كما جاء في المعجم الوسيط، وقد أطلق هذا اللفظ قديما على موقع بالبصرة، كان له الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث، وعلى بلد بالموصل وعلى قرية بالمدينة بها قصر أنس، وعلى بلد بواسط، وقرية بالأندلس، كما جاء في أساس البلاغة لجار الله الزمخشري- رحمه الله- وفي القاموس المحيط، كما سميت بها مدينة من مدن القطر الليبي.[3]

والزاوية مؤسسة دينية إسلامية ذات طبيعة اجتماعية روحية، وهي تختلف حسب وظائفها ونشاطها.[4]

كما عرّفت الزوايا على أنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية، يجتمع فيها المريدون لتلقي الأوراد والذكر، وتتخذ فيها مأوى لطلبة القرآن والعلم والزوار الذين يقصدونها للاستفتاء و الصلح بين المتخاصمين، وكثر هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن العاشر الهجري، كما لها شأن عظيم ووجودا اجتماعيا قويا.

ويقول بن مرزوق في كلامه عن الزاوية في زمانه: " من الواضح أن الزاوية عندنا في المغرب تأوي المتجولين، وتطعم المسافرين ".

---

[1] – محمد نسيب: زوايا العلم والقراءة بالجزائر، دار الفكر– سوريا، دار الفكر العربي بوزريعة، الجزائر،ب ت، ص27.

[2] – محمد باي بلعالم: أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة، الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار، أيام 1، 2، 3 ماي 2000م، ص01.

[3] – صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص301.

[4] – محمد نسيب، المرجع السابق، ص31.

كما خلفت الزاوية نظام الرباط، وأصبحت هي المجال الحيوي لتكوين المتصوفة، وتربية النفس بمنهج فكري وعقائدي خاص بكل طائفة أو طريقة دينية، وهي تعد مكانا للعبادة والزهد وتلقي الأوراد وللضيافة.

أما عن نشأتها يذهب الكثير من الباحثين والمؤرخين إلى أن الزاوية كانت في الأصل رباط تحول مع مرور الزمن لزاوية، وقد اكتظت تلك الرباطات بالنخبة من أبناء المسلمين، وأصبحت ابتداء من القرن الرابع الهجري تعرف تحولا كبيرا، فلم تعد مهمتها تقتصر على العبادة والجهاد كما كانت فيما مضى، بل أصبحت مؤسسة تعليمية يقصدها

العلماء للتدريس بها وتأليف الكتب، والرسائل القيمة في مختلف العلوم والمعارف، أي منبع ومنهل فكري وديني قائم بذاته وبعد انقضاء الجهاد تحول بعض تلك الرباطات إلى زوايا وغادرها حينئذ بعض المتصوفة لإنشاء مراكز شبيهة بها قصد نشر العلم والمعرفة، ومحاربة الجهل وإيواء المرابطين المتفرغين للعبادة، لتكون مبعثا لأنوار الشريعة والطريقة، فكان لهم ذلك كما أرادوا، ومن بين الأسباب التي أوحت بفكرة إنشاء الزاوية، رغبة الشيخ الصوفي المربي في الاجتماع بمريديه وتلاميذه وهو ما لا يتسنى له في الرباط، حيث توجد مختلف شرائح المجتمع[1].

و يذكر المؤرخون أن بعض الخلفاء المسلمين الأوائل قد بنوا للمتصوفة بيوتا ملاصقة للمساجد خصصت للذكر والعبادة، والاعتكاف والانقطاع والتأمل والتفكير والرياضة الروحية، وأطلقوا على تلك البيوت اسم " الخنقاء " وهي التي تعرف عندنا في المغرب " الزاوية " وقد كثر إقبال الناس على تلك البيوت، وعرفت بمرور الزمن تطورا كبيرا فانفصلت عن المساجد وأصبحت قائمة بذاتها تستقبل الطلاب وتقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الدينية كالفقه والتفسير والحديث والتوحيد والعلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة، كما تقدم للطلبة الطعام وتوفر لهم الإقامة مجانا كما هو الحال عندنا في المنطقة.

و لقد عرفت الزوايا انتشارا أوسع من ذي قبل، وأصبحت مؤسسات تربوية وتعليمية، تسهر على تربية المريدين وتعليمهم، كما تعمل على نشر التعليم العربي الإسلامي الصحيح بين النشء، وبث مكارم الأخلاق ومحاسنها، ومحاربة الجهل والأمية والآفات الاجتماعية التي كانت السبب المباشر في ضعف المسلمين وتناحرهم وانحطاطهم،[2] وابتداء من القرن الرابع الهجري وفي بعض

1 – صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص304.

2– محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص03.

الروايات، يذكر العلامة الجزائري "أبو عبد الله" في مقام كتبه عن الموضوع أن الملك الموحدي يعقوب بن المنصور الذي عرف بعلمه ودينه وسياسته بنى زاوية بدار الضيوف كتلك التي أسسها الملك المريني أبو عنان خارج مدينة سلا[1]، وقد تحدث عنها الرحالة المغربي ابن بطوطة والتي عرفت بزاوية "شالة".

وقد زارها لسان الدين بن الخطيب، كما نجد لفظ الزاوية قد ذكر في ترجمة للعلامة أبو الفضل قاسم ابن محمد القوشي القرطبي المتوفى سنة 661هـ ما يؤكد وجودها في ذلك التاريخ في القلعة و بجاية.[2]

أما الزوايا[3]، فقد كانت تنتشر بكثرة في دولة بني حماد لاسيما القلعة[4] ، حيث كانت تؤدي دورا تعليميا هاما إذ كانت إلى جانب المسجد المكان المخصب بازدهار العلوم كلها.[5]

5- المكتبات:

تعتبر المكتبات من المنشآت الثقافية المختلفة التي تحوي أمهات الكتب، و ليست أماكن لتدريس البرامج الدراسية الموضوعة حسب القواعد المتعارف عليها، و قد أعد يوسف إيخه دراسة عن هذه المؤسسات، و التي كانت تسمى بأسماء تشتمل على ستة ألفاظ: ثلاثة متعلقة بالموقع و المكان هي : بيت ، خزانة ، دار و الثلاثة الأخرى تتعلق بالمحتوى : حكمة ، علم ، كتب و عن طريق الجمع بين هذه الألفاظ استخرجت عدة أسماء اصطلاحية تسمى بها المكتبات : بيت الحكمة خزانة الكتب ، دار العلم ...و قد قسم إيخه تأريخ فترة هذه المؤسسات إلى فترتين : فترة بيت الحكمة، و فترة دار العلم.[6]

1- أبو عبد الله الأنصاري: فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، د-ت، المكتبة الوطنية القديمة تحت رقم 44201، ص127.

2- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص ص328-330.

3 - عبارة عن مجموعة من المباني الفاخرة الكبيرة يتوسطها ضريح الشيخ المؤسس لها و هي قبة كبيرة مفروشة بالزرابي مملوءة بالمباخر و المجامر ، عويس : المرجع السابق ، ص 253.

4 - الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 هـ و7هـ / 12م و13م ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ،2007 ،
ص 237.

5 - الغنيمي: المرجع السابق، ص339.

6 - جورج المقدسي : نشأة الكليات- معاهد العلم عند المسلمين في الغرب-، ترجمة محمد السيد محمود،ط1،مركز النشر العلمي، جدة .المملكة العربية السعودية، 1994، ص31 .32.

أما فيما يخص المكتبات في قلعة بني حماد فإنه كان هناك نوعين من المكتبات العامة والتي ستجسد بشكل جلي في مكتبة جامع المنار التي كانت عبارة عن مكتبة مليئة بالكتب المحمولة إليها من أقطار المغرب وبلاد المشرق والأندلس [1] ، وكذا المنقولة عن تدريس أئمة وفقهاء الجامع .[2]

أما النوع الثاني من المكتبات فيتمثل في المكتبات الخاصة ودليلنا على ذلك نص قيم أورده أبي عبد الله بن محمد عبد الكريم التميمي (ت603-604هـ/1206- 1207م) في عرض ترجمته لابن الرمامة (ت567هـ/ 1171م). حيث أن هذا الأخير دخل على الفقيه ابن النحوي يوما في منزله فوجد في بيت كتبه وجوانب البيت من جهاته كلها ممدودة ألواحا مرتفعة بعضها فوق بعض، وعليها الكتب، و بين يديه كرسي عليه أسفار جديدة التسفير، قال: فقلت له: ما هذه الأسفار التي بين يديك ؟ فقال لي: هذا " كتاب الأحياء " لأبي حامد الغزالي، ولو إقتنيته قبل هذه الكتب، لم أكسب كتابا منها .[3]وهذا النص القيم يرسم لنا صورة عامة من النوعية والكمية التي كانت تزخر بها المكتبات الخاصة بالقلعة، وتقودنا إلى تصور نوع المكتبات الخاصة التي كانت بلا ريب موجودة عند خاصة الفقهاء والعلماء الصوفية.

و في الأخير يمكن أن نستنتج ما يلي :

* تنوعت المؤسسات الثقافية و الفكرية في قلعة بني حماد، حيث ساهمت كل مؤسسة أو مركز علمي في رقي و ازدهار الحضارة الحمادية، خاصة في مرحلتها الأولى فترة القلعة التي كانت حاضرة زمانها و دار للعلم بالمغرب الإسلامي، و صارت بحق القاعدة الثقافية الأولى لبني حماد.

و من بين هذه المؤسسات التي عرفتها القلعة ما يلي:

* المساجد و التي تعتبر أول معهد للعلم، فهي ليست مخصصة للعبادة فقط، بل كانت تؤدي أدوارا متعددة، وتجرى فيها الأعمال المختلفة من صلاة و تشاور في قضايا السلم و الحرب، و كذا تعليم الصبية كل ما يتعلق بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، من تحفيظ القرآن الكريم وحديث و فقه.

---

[1] – الغنيمي: المرجع السابق ، ص341

[2] – عويس : المرجع السابق ، ص 254 .

[3] – أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي : المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس و ما يليها من البلاد،تحقيق محمد الشريف ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، تطوان ، 2002، ص ص 172، 173.

و قد اشتهر بقلعة بني حماد مسجدين بارزين ، كان لهما الأثر الكبير في حفظ الدين و تعليم النشء و هما :

- المسجد الجامع.
- جامع المنار.

و قد حظيت المساجد بالاهتمام من طرف أمراء بني حماد ، فعندما اختط حماد مدينة القلعة بني فيها مسجدا جامعا، و هذا إيمانا منه بأهمية هذه المؤسسة العلمية في نظر الطبقة السياسية من جهة، و عامة المجتمع الحمادي من جهة أخرى.

* ثاني مركز علمي بالقلعة هو المسيد الذي كان ملازما للمسجد، فبعد تعليم الصبية علوم الدين يأتي دور المسيد في إكمال المهمة النبيلة بتعليمهم أصول اللغة و الحساب، إذ قام هذا المعلم الحضاري رغم صغر مساحته- بالمقارنة مع المسجد- و كونه ملحقا بالمسجد، إلا انه أدى دورا هام في تثبيت معالم الثقافة العربية الإسلامية.

* كما قام بعض العلماء في القلعة بفتح بيوتهم أمام طلابهم، و لم يستنكفوا بل تواضعوا لهم ، و أبقوا أبواب منازلهم دائما مفتوحة في وجه طلبة العلم، و على سبيل المثال نجد العالم محمد بن عمر القلعي، و غيره كثير كابن النحوي أيضا.

* يضاف إلى ذلك الكتاتيب التي ما فتئت أن قامت بدور تكميلي للمسجد، فكانت هناك كتاتيب عامة و أخرى خاصة، فالأولى كانت تنتصب في الأماكن العامة من المدينة و زواياها المختلفة، و يدرس بها مختلف فئات المجتمع الحمادي، أما الثانية فكانت تنتصب في قصور الأمراء و الوزراء و علية القوم، و أشهر العلماء الذين درسوا بها أبو حفص العديري.

* كما حفلت القلعة بمؤسسات أخرى مثل الشريعة و الزوايا التي تعد مؤسسة دينية إسلامية ذات طبيعة اجتماعية روحية، و لها وظائفها و نشاطاتها. حيث كانت تنتشر بكثرة في دولة بني حماد لاسيما القلعة، و عرفت بكثرة المريدين الذين تحروا الزهد في الدنيا و التقشف في طلب الحياة و ملذاتها.

* أما المكتبات، فكانت من بين أهم المنشآت و المراكز العلمية بالقلعة، ذلك أنها كانت تحوي أمهات الكتب من كل العلوم التي وصل لها العرب المسلمين و البربر على حد سواء.

و المكتبات في القلعة على نوعين :

– المكتبات العامة و التي تتجسد بشكل جلي في مكتبة جامع المنار.

– المكتبات الخاصة و التي كانت تتواجد في بيوت العلماء و الأدباء و الشعراء، و مثلت هذا الصنف المكتبة التي كانت في بيت العالم ابن النحوي.

الفصل الثالث:

العلوم و أبرز العلماء بالقلعة

- تصنيف العلوم

أولا: العلوم النقلية

ثانيا : العلوم العقلية

ثالثا: العمران

رابعا: الفنون

خامسا: أبرز العلماء بالقلعة

تمهيد:

جاء التطور العلمي بقلعة بني حماد في فترة زمنية مهمة تميزت بوصول الحضارة العربية الإسلامية إلى قمتها في المشرق والأندلس وألقى بظلاله على قلعة بني حماد التي ازدانت بها الحياة الفكرية بنهضة كبيرة في مجال العلوم النقلية والعقلية، غير أنه يجب أن نشير في البداية إلى تصنيف العلوم قبل الحديث عن مظاهر الحياة العلمية من علوم و علماء في قلعة بني حماد.

تصنيف العلوم .

مما لا شك فيه أن العلوم تصنف إلى صنفين رئيسيين: الصنف الأول ، أطلق عليه اسم العلوم النقلية أو الشرعية، و الصنف الثاني أطلق عليه اسم العلوم العقلية أو الحكمية.

العلوم النقلية أو الشرعية هي العلوم المنقولة عن السلف، ليس فيها مجال للابتكار و الاختراع، أو هي تلك العلوم التي يرجع الأصل فيها إلى الشرعيات من الكتاب و السنة و التي هي مشرعة لنا من الله و رسوله، و ما يتبعها من علوم لازمة لتمام الإفادة منها، و مهمة الباحث فيها شرحها و تفسيرها و حسن عرضها و الكشف عن جوانب الغموض فيها.

أما العلوم العقلية أو الحكمية، ففيها الابتكار و الاختراع و التجديد و الإضافة أو هي العلوم التي يهتدي إليها الإنسان بالعلم عن طريق إعمال الفكر و التجريب.[1]

كما نجد أن علوم كل صنف من هذين الصنفين تتفرع إلى علوم أخرى فرعية، وهذه الأخيرة تتفرع في بعضها مرة أخرى إلى فروع.[2]

[1] – ابن خلدون : المقدمة،ص466.

[2] – محمد عادل عبد العزيز :الحضارة الإسلامية –عوامل الازدهار و تداعيات الانهيار–،دار غريب، القاهرة ،د .ت،ص158.

أولا: العلوم النقلية.

عرف ابن خلدون في مقدمته العلوم النقلية بأنها "العلوم المنزلة المسندة كلها إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول لأن الجزيئات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه وتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي...و أصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب و السنة...، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيئها للإفادة ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي[1].وهي ممثلة في الفقه وأصوله وعلم القراءات والحديث وعلوم اللسان العربي والشعر.

1-الفقه و أصوله:

كان مبدأ الدراسات الفقهية السنية في مدينة القلعة عقب الانقلاب الفقهي الذي حدث بعد نبذ حماد (ت419هـ/ 1028م) الدعوة للعبيديين وإعلانه الدعوة للخلافة العباسية السنية في بغداد عام 405هـ/ 1014م[2]، ومن هذا التاريخ بدأت الدراسات الفقهية تزدهر و تنتعش وكان الغالب على الفقه المذهب المالكي الذي كان أكثر انتشارا في بلاد المغرب الإسلامي[3]، وهذا لا يعني انه لم يكن هناك مذاهب فقهية أخرى بل على العكس ولكن بدرجة أقل كما سيأتي معنا.

وأول فقهاء مدينة القلعة مؤسسها حماد بن بلكين توفي (419هـ/ 1028م) الذي تعلم في القيروان و أخذ الفقه عن شيوخها، ونظر في كتب الجدل[4] ما أورده ابن الخطيب (ت779هـ/ 1374م) على تاكيد المذهب الذي كان يتبعه حماد.

ومنذ ذلك الحين أصبحت الدراسات الفقهية على المذهب المالكي تتسع في القلعة، إذ كانت إجبارية على الطلاب و الدارسين، وغدت هي التخصص الأول المفضل في دراسة العلوم النقلية[5] ومن العلماء الذين برزوا في الفقه أبو القاسم ابن أبي مالك ورد إلى القيروان قبل ابن حماد إلى المغرب (498هـ/ 1104م)[6] ولقد كان السبق في تطور الفقه المالكي

[1] – ابن خلدون: المقدمة، ص ص779-780.

[2] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص202.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، ص805.

[4] – ابن الخطيب: المصدر السابق، ج2، ص328.

[5] – عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص16.

[6] – القاضي عياض: المصدر السابق، ص779.

لأبي الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي (ت 513هـ/1119م) الذي تتلمذ على يد أبي عبد الله محمد ابن أبي الفرج المازري المعروف بالذكي[1]، وهو من أهم رواد أصول الفقه في القلعة، إذ كان متفوقا ومتميزا في الفقه المالكي عارفا بأصول الدين يميل إلى النظر والاجتهاد[2].

ومن العلماء الذين كان لهم أيضا إسهامات فقهية في القلعة أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي قرأ بمدينة القلعة، يعد من كبار الأئمة[3]، والفقيه أبو العباس احمد بن محمد ابن عبيد الله المعافري [4] وأبو عبد الله محمد بن محمد بن صمغان القلعي الفقيه القاضي.[5]والفقيه أبو عباس أحمد بن محمد بن عبيد الله المعافري. [6]

ومنهم أيضا أبو محمد عبد الله محمد بن عمر بن عبادة القلعي (ت 169هـ/1270م)، قال عنه الغبريني:(كان حافظا للخلاف العالي والمذهب المالكي، حسن النظر والتوجيه....)[7] والفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي (ت 670هـ/1271م) وكان عالما بأحكام الشروط والوثائق[8]، وأبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي، والفقيه القاضي[9]، ومحمد بن يوسف السنوسي القلعي، و من إسهامات الفقيه أسئلة تزيد على خمسين ومسألة التعريف بالقلعة[10].

---

[1] – القاضي عياض: المصدر السابق،: ص772.

[2] – بابا التمبكتي: نيل الابتهاج في تطريز الديباج، دار الكتب العلمية، بيروت، ب ت ، ص16.

[3] – محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، تعليق عبد المجيد خيالي ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2002م، ص268.

[4] – أبو العباس احمد الغبريني: عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة لبجاية،تحقيق رابح بونار، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981م، ص256.

[5] – نفسه: ص189

[6] – نفسه، ص265.

[7] – نفسه: ص93.

[8] – أبي القاسم الحفناوي: المرجع السابق.، ص ص495-496.

[9] – الغبريني: المصدر السابق، ص198.

[10] – أبو عبد الله محمد بن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ب. ت ، ص279.

وأحمد بن الطاهربن علي بن عيسى بن عبادة الأنصاري[1]، والمذهب الظاهري في القلعة كان ممثلا بابنعبد الكريم المعروف بابن يبكي القلعي، كان متقنا ومجيدا[2]، أما الحضور الشافعي فيها كان ممثلا بالفقيه علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي (ت 551هـ/1156م)[3] ، ومحمد بن علي بن جعفر المعروف بابن الرمامة (478-567هـ/1085-1171م)[4] ، ألف كتاب " تسهيل المطلب في تحصيل المذهب " ، وكتاب " التبيين في شرح التلقين " واختصر كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي، وكان من الفقهاء البارعين[5].

2-علم القراءات:

هو اختلاف رواية الصحابة للقرآن والسنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغ مختلفة في بعض ألفاظه وكيفية الحروف في أدائها وتناقل ذلك، واشتهر إلى أن استقرت عنها سبع طرق معينة، تواتر نقلها وانتسبت إلى من اشتهر بها، وهناك قراءات تعرف بالعشر وكذا الأربع عشر[6]، أما في القلعة وسائر بلاد المغرب الإسلامي قد انتشرت قراءة أبي عمر الداني[7]، ومما شجع علي انتشار هذا العلم بالقلعة والمغرب، أن أمراء البربر كانوا يحيون ليلهم ويقضون نهارهم في قراءة القرآن في محارب قصورهم، وأشهر من برع في علم القراءات في القلعة أبو العباس أحمد بن عبد الله المعافري الذي وصفه صاحب عنوان الدراية بالنعوت التالية : الشيخ الفقيه المقرئ المتقن الأستاذ النحوي المحصل المقدم في القراءات[8]، اختصر كتاب التيسر لعمر الداني اختصارا بليغاً، قيل عنه أنه لا يتساهل في الإجازة بأي وجه ولا يمكن منها الطلبة إلا بعد تحصيل وكل من ظهر من الطلبة بإجازاته فقد ظفر بالغاية القصوى ووصل إلى المرتبة الأولى[9]، والمقرئ أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد المعروف بابن عفراء، كان حسن التلاوة صادق القراءة،

---

[1] – ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص59.

[2]– الغبريني: المصدر السابق، ص188-189.

[3]– محمد بن عميرة: القلعة قلعة بني حماد الثقافية الأولى،ص110.

[4]– عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص306.

[5]– التميمي الفاسي: المصدر السابق: ص502.

[6] – ابن خلدون: المقدمة، ص782.

[7] – نفسه ، ص488.

[8]– الغبريني: المصدر السابق ، ص104.

[9] – الحنفاوي:المرجع السابق ، ص80.

إذا أحي ليلته السابعة والعشرون من رمضان يرغب الناس القيام خلفه لصدق قراءته[1]، ومحمد بن مزي القلعي اعتزل أهله وسكن القلعة في مكان منعزل ووعر في الجبل[2]، بني في هذا المكان المساجد ، وكان هناك المسجد الجامع الكبير[3]،الذي كان يدرس به أحمد بن الطاهر الأنصاري، وأبي مروان الحمداني.[4]

3-علم الحديث:

هو إسناد السنة إلى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم، وكذلك لينفع الوثوق بأخبارهم ويعمل ما يجب العمل بمقتضاها[5]، ومن أعلام هذا العلم أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي، كان مجيدا في علم الحديث قال عنه الغبريني "كان له علم بالحديث والفقه والوثيقة وأكثر تخاطيطه تحدث"[6]، وأبو عبد الله محمد بن أحمد القلعي[7]، ونلاحظ نقص الاهتمام بهذا العلم في قلعة بني حماد ربما يعود السبب في ذلك إلى الاهتمام بالدراسات الفقهية الأصولية والفرعية.

4-التصوف:

يعد التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة (أي التي دخلت على الإسلام بعد عهد النبوة والصحابة)، ومبدأ هذا العلم الإعتكاف والانقطاع لعبادة الله تعالى، والابتعاد عن الدنيا وزخرفها ونبذ هوى النفس والانفراد في خلوة للعبادة وكان هذا حال عامة السلف الصالح، فتركوا متاع الدنيا والإقبال عليها في القرن الثاني هجري وما بعده، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة[8]، وقد ولج هذا العلم إلى المغرب الأوسط وحواضره و على رأسها القلعة في النصف الأول من القرن السادس هجري و ذلك بدخول جملة من المصنفات الصوفية في المغرب الأوسط على شاكلة كتاب رعاية المحاسبي أواخر القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي،

1- الغبريني: المصدر السابق، ص140.

2 - ابو القاسم الحنفاوي: المرجع السابق ، ص ص513-514.

3- رابح بونار: المرجع السابق، ص273.

4 - نفسه، ص273.

5- ابن خلدون: المقدمة، ص780.

6- الغبريني: المصدر السابق، ص189.

7- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص242.

8- ابن خلدون: المقدمة، ص868.

وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي[1]، في القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، والرسالة القشيرية[2] في النصف الثاني منه .

عرفت القلعة بنوع من التصوف يعرف بالتصوف السني[3] ومن متصوفي القلعة أبو القاسم الذي قال عنه القاضي عياض: " صاحب فيه ورع و زهد ومروءة وخير"[4]، حتى أنه لما بعث في سفارة إلى القيروان عام 438هـ/1046م كما أسلفنا لم ينفق طوال إقامته في القيروان إلا من ماله الخاص[5]، وهذا دليل على زهد وعفة نفسه، والشيخ أبو عبد الله بن محمد بن أبي الفرج المازري المعروف بالذكي شيخ ابن النحوي.

وأشهر الزهاد والمتصوفين القلعيين ابن النحوي الذي حاول التمكين لهذا العلم من خلال نشره نظرية الغزالي في التصوف بالقلعة[6]، وبدأ في تطبيقها على نفسه، كان يلازم القيام والصيام والتهجد حتى أنه لا يشعر بما حوله وهذا ما يؤكده ابن مريم في قوله: "كان يصلي أكثر في داره اللغط وارتفعت الأصوات فقال ضيف لابنه أما تشغلون خاطر الشيخ فقال: إذ دخل في الصلاة لم يشعر من ذلك ثم أدنى السراج من عينه فلم يشعر لحضوره مع غيبته مع الخلق"[7]، وكان لشدة زهده لا يقبل من أحد شيء ولا يأكل إلا ما يأتيه من بلده الأصلي، لبس خشن الصوف وقصر جانبيه حتى وصلت إلى ركبتيه[8]، وزهده هذا كان يجلب له نقد الآخرين حيث انتقده قاضي الجماعة بالقلعة أبو عبد الله بن عصمة وقال له "صفرت وجهك ورققت ساقيك"[9].

لقد أشيع أنه كان مجاب الدعوة حتى قيل نعوذ بالله من دعوة ابن النحوي[10] وهو مناصر لكتاب الإحياء للغزالي، حيث عارض إحراقه بشدة وكان يرى أن حلف الناس بالإيمان المغلظة

---

[1]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص46.

[2]- نفسه، ص35.

[3] - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص ص ، 82 ، 83..

[4] - القاضي عياض: المصدر السابق، ص779.

[5]- ابن عميرة: القلعة قلعة بني حماد الثقافية الأولى ، ص78.

[6] - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص117.

[7] - ابن مريم: المصدر السابق، ص301.

[8]- التمبكتي: المصدر السابق، ص305.

[9] - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص211.

[10]- التمبكتي: المصدر السابق، ص351.

على أن كتاب الإحياء ليس عندهم وليست ملزمة لهم[1]، واستنسخ الإحياء في ثلاثين جزء[2].

جاء في كتاب الفاسي:" أنه دخل عليه يوما تلميذه ابن الرمامة وهو في مكتبة بيته فوجد عنده أسفار جديدة التسفير (الكتابة)، فسأله عنها، فقال له هي كتاب الإحياء للغزالي ولو اقتنيته قبل هذه الكتب لم أكتب كتابا منها "[3] ولقد كان ابن النحوي في بلده بمنزلة أبي حامد الغزالي في العراق علما وعملا[4].

5-العلوم اللسانية:

هي أربعة علوم النحو واللغة والبيان والأدب، حيث اتخذ بنو حماد العربية لسان الدولة الرسمي ذلك لأنهم استفادوا من أنظمة الحكم العربي الإسلامي الذي ساد شمال افريقية في ذلك الوقت، حيث نجد أن حماد مؤسس الدولة قد نشأ بالقيروان نشأة عربية إسلامية ودرس الفقه وعلوم العربية ولما استقل عن ابن أخيه باديس (405هـ/1014م) أنشأ ديوان للكتاب وقد ازدهرت العلوم اللسانية بكامل حواضر بلاد المغرب الإسلامي لا سيما في قلعة بني حماد.

أ- النحو واللغة:

اشتهر هذا العلم في القلعة على يد أبي الفرج المازري الذي كان متقدما في علم اللسان[5] وأبو الفضل يوسف ابن النحوي وأبي عبد الله محمد بن محمد المعافري المعروف بابن الخراط، وصفه الغبريني بالشيخ الفقيه النحوي[6].

ب- الأدب:

عرفه ابن خلدون بالإجادة في فني المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطبقة وسجع متساوي في الإجادة...[7] ، ومن العلماء الذين أجادوا في هذا الفن ابن النحوي والحسن بن الرشيق (390هـ-

---

[1]- علي بن أبي الزرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، طبعة1، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م، ص41.

[2]- التمبكتي: المصدر السابق، ص350.

[3]- أبي عبد الله محمد التميمي الفاسي: المصدر السابق، ص350.

[4]- عبد الحميد الخالدي: نبذة مختصرة لبعض علماء الجزائر في العهد الحمادي، مجلة الثقافة، ع112، وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، 1999م، ص ص158-159.

[5]- القاضي عياض: المصدر السابق، ص772.

[6]- الغبريني: المصدر السابق، ص429.

[7]- نفسه، ص429.

363هـ/1071م) ولد بالمسيلة وتعلم صناعة الصياغة على يد والده رشيق ثم مال إلى علوم الأدب والتاريخ فأخذ عن علماء بلده[1]، ثم رحل إلى القيروان أين تلقى تكوينه النهائي الذي لقي بها كبار العلماء و الأدباء فلزمهم وأخذ عنهم ومدح أميرها المعز بن باديس الصنهاجي وقربه إليه، مما جعله يقيم في المدينة إلى غاية الحملة الهلالية وانتقل إلى جزيرة صقلية التي أقام بها إلى ان توفي.

و من الذين برعوا في الأدب ابن البذوخ (ت 576هـ/1180م) ولد بالقلعة أو ضواحيها[2]، ولقد كانت له ميولات في الكتابة والشعر إضافة إلى أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن زكريا القلعي الأصم وعلي بن إسماعيل القلعي المعروف بالطميش وله كتاب " ذخائر الواعظين وسراسر العاملين."

ج- الشعر:

اتسم الشعر في العصر الحمادي وخاصة في القلعة بالوزن والقافية واستخدام البحور الشعرية التقليدية واتسم بالاحتشام والوقار[3] والحياء[4] وتعددت أغراضه من توسلات وابتهالات ومدح ورثاء[5].

- شعر التوسلات والابتهالات:

يقوم هذا النوع على الابتهال والتوسل إلى الله عز وجل لتفريج الهموم ورفع الضيق والحرج، ويظهر هذا النوع ممثلا من خلال قصيدة "المنفرجة" لابن النحوي التي اخترنا منها هذه الأبيات من بحر المتدارك على شكل تخميس:

يا من يشكو ألم الحرج # ويرى عسرا قرب الفرج
أبشر بشذا فرج أرج # اشتدي أزمة تنفرج
قد أذن ليلك ببلج[6]

- شعر المدح:

---

[1]- رشيد بوردية وآخرون: المرجع السابق، ص245.

[2]- رشيد بوريبية وآخرون: المرجع السابق ، ص252.

[3]- أحمد بن محمد أبو زراق: المرجع السابق، ص ص148-149.

[4]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص289.

[5]- نفسه، ص289.

[6]- محمد البلنسي العبدري: الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، نشر كلية الأداب ، الجزائر، ب ت، ص47.

يقوم على ذكر خصال ومحاسن الممدوح ومن أمثلته هاته الأبيات من البحر الطويل لأحد العلماء القلعيين و هو الأصم في مدح كرامة ابن المنصور ابن الناصر بن علناس منها:

وحاكيه بالماء لوى اضطرابه # قواما وحسنا حين يبدو ويوبص

قضيب لجين ألمع الصقل متنه # وأخلصه من السك مخلص[1]

- شعر الزهد:

يقوم على نبذ شهوات النفس والتعفف عن ملاهي الدنيا وزخرفها ومنها هاته الأبيات لعلي بن إسماعيل القلعي:

أغضبت ربي على علماً بسطوته # على العصاة وما أغضبت شيطاني

أثرت نفسي على ديني لشقوتها # يا ويح نفسي لقد فازت بخسران[2]

- شعر الرثاء:

يقوم على ذكر مناقب ومحاسن المرثى ويظهر هذا النوع من خلال رثاء ابن حماد الصنهاجي لمدينة القلعة بعد خرابها:

إن العروسين لا رسم وطلل # فانظر ترى ليس إلا السهل والجبل

وقد عفى قصر حماد فليس له # رسم ولا أثر باقي ولا طلل[3]

- شعر التذكير بالموت:

يقوم على وعظ النفس وتذكير نهاية مآلها إلى القبر ومنه إلى الجنة أو النار منها أبيات لابن البذوخ الطيب:

يا خالق الخلق يا من لا شريك له # قد جئت ضيفا لتقريب بالغفران

مولاي مالي سوى التوحيد # من عمل فاختم به منعما يا خير من نام[4]

و من هنا نستنتج أنه رغم اختلاف الشعر إلا انه اتسم بالعفة و لم يخرج عن تعاليم الإسلام بحيث لم نجد بين أنواع هذا الشعر ما يدعو للمجون و الترف مما يعكس الروح الدينية العالية التي كانت تميز سكان المدينة.

---

[1]- عبد الحليم عويس ،المرجع السابق، ص ص41-42.

[2]- رشيد بوريبة وآخرون: المرجع السابق، ص254.

[3]- ابن الخطيب: المصدر السابق، ص332.

4- رشيد بوريبة وآخرون: المرجع السابق، ص252.

ثانيا: العلوم العقلية .

يعرفها ابن خلدون بقوله : " بأنها العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإسلام بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براعمها ووجه تعليمها، حتى يقن موقفه نظره وبحثه على الصواب ومن الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر"[1]، فالعلوم العقلية بقلعة بني حماد كانت موجودة إلى حد ما على الرغم من قصر مدة بقائها كعاصمة للحماديين وكمدينة تابعة لهم إلا أنها بلغت مكانة مرموقة جعلت العلماء يتقاطرون عليها من مختلف الأنحاء، ومن ضمن العلوم العقلية العلوم العددية والتي تعرف بها خواص الأعداد من حيث التأليف إما على التوالي أو بالتضعيف ومن فروعها علم الحساب[2] وعلم الجبر والفرائض والتي تعرف بالرياضيات اليوم[3].

1-علم الحساب:

برز عدة علماء في الرياضيات خاصة في علم الحساب الذي يدرس في مساجد ومعاهد القلعة [4]، ومن أعلام الحساب علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي ولد (489هـ/994م)، نشأ وتعلم بقلعة بني حماد ثم رحل إلى المشرق حيث استوطن العراق واخذ من فقهائها ثم انتقل إلى خراسان، كان بحرا في الحساب توفي بمدينة قرين وهي مشهورة بكثرة العلماء المنسوبين إليها عام (551هـ/1056م)[5].

2-علم الفرائض:

يعتبر علم الفرائض أحد الركائز التي تقوم عليها مصالح المسلمين حيث أوليت له عناية كبيرة في كل أنحاء العالم الإسلامي ولاسيما مغربه حيث ازدهرت به مختلف حواضره بما في ذلك قلعة بني حماد، وعرفه ابن خلدون بقوله: "بأنه يختص بمعرفة فروض الوراثة ويجمع بين المعقول والمنقول من أجل الوصول به إلى الحقوق في المواريث بوجه صحيحة يقينية"[6] ومن الذين نبغوا

1- ابن خلدون: المقدمة، ص779.

2- ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص897-899.

3- محمد قويسم: علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد، الملتقى الدولي، مدينة قلعة بني حماد 1000 سنة من التأسيس، أيام 09-10-11 أفريل، قسم التاريخ بجامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2007م. ص ص1-2.

4- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق ، ص17.

5- محمد بن عميرة: القلعة قلعة بني حماد الثقافية الأولى ، ص110.

6- ابن خلدون: المقدمة، ص ص472-473.

في هذا العلم محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي له مؤلف بعنوان إيضاح الغوا مض في علم الفرائض[1]، كما له مصنفات كثيرة مشهورة انتفع بها الكثيرون، رحل إلى اليمن وتوفي بها[2]، ويلا حظ الارتباط الوثيق بين علم الفرائض وعلم الحساب باعتبار أن الفقيه المتمكن من علم الفرائض يحتاج في تقسيمه إلى الإجادة في علم الحساب حتى يستطيع تقسيم التركة كما ينبغي دون إجحاف أو خطأ.

3-التاريخ و الجغرافيا:

يعرف ابن خلدون علم التاريخ بقوله : " هو ما يوقعنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم و سياساتهم" [3] ولقد عرفت القلعة نخبة من المؤرخين نذكر منهم أبو عبد الله محمد بن علي بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي له مؤلفات مشهورة في هذا المجال أشهرها كتاب **النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة** وكتاب أخبار **ملوك بنو عبيد و سيرتهم** وبرنامج في ذكر شيوخه و قراءته من الكتب[4].و كتاب **الإعلام بفوائد الأحكام.**

أما علم الجغرافيا فإننا لم نقع على ما يؤكد نشاط الحماديين في مجال الجغرافيا، إلا أن هناك أكثر من قرينة تؤكد ضرورة اهتمام الحماديين بهذا العلم، فلقد كان كثير من المغاربة يرحلون إلى المشرق في رحلات علمية، فضلا عن رحلة الحج و عن صلاتهم التجارية بالأندلس و المشرق، ما يوجب ضرورة الاهتمام بالجغرافيا.

و كما هو معلوم أن معز الدين الفاطمي فتح مصر بجيش مغربي، و من الثابت أن هذا الجيش قد استقر بمصر و كون معطيات جغرافية موجودة بالمجتمع المصري.[5]

4-الطب والصيدلة:

إن هاتين الصنعتين كانتا متلازمتين في العهد الإسلامي، إذ لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى وبطبيعة الحال لا يخلو مجتمع من المجتمعات في القديم أو الحديث منها، وذلك لأهميتها

---

[1]- أحمد نوار: أعلام وأعمال علماء الرياضيات والفلك بالمغرب العربي من القرن9م إلى القرن19م، سلسلة الرياضيات بجامعة قسنطينة، الجزائر، 2004م، ص24.

2- محمد قويسم: علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد ، ص5.

3- ابن خلدون: المقدمة، ص12.

4- الغبريني: المصدر السابق، ص192

[5] - عويس : المرجع السابق،ص269.

في حياة الناس ولقد شهدت قلعة بني حماد تطورا في مجال الطب ومن مظاهر تطور الطب في القلعة بروز أطباء كبار منهم: أبو جعفر بن علي البذوخ (ت575هـ/1079م) المعروف بابن البذوخ القلعي الطبيب. كان خبيراً بمعرفة الأدوية المفردة والمركبة إلى جانب حسن نظره في الإطلاع على الأمراض وعلاجها إذ أنه جمع بين الطب والصيدلة[1]، رحل إلى المشرق واستقر بدمشق وأنشأ دكانا عطر بمنطقة اللبادين حيث كان يجلس فيه ويعالج من يأتي إليه ويصف له الدواء إلا أنه كان يقوم بتهيئة الأدوية المركبة التي كان يصنعها من سائر المعاجن والأقراص والسفوفات و يقوم ببيعها لينتفع الناس بها[2].

ترك ابن البذوخ كتاب يزال مخطوط منها "حواشي على كتب قانون ابن سينا"، و"شرح الفضول لأبي قراط" وكتاب "ذخيرة الألباب أو الباء في الباء" و"لطائف الأنوار في الطب"[3]،

أما الطبيب الثاني فهو ابن أبي المليح، كان طبيبا مشهورا[4]. حاذقاً في صناعة الطب[5]، ويوجد طبيب آخر يظهر من اسمه أنه من أسرة البذوخ وهو أبو حفص عمر بن علي ابن خليفة ابن البذوخ القلعي، كان طبيبا بالإسكندرية، ويبدوا من خلال اسمه أن يكون له علاقة بابن البذوخ و ربما يكون من أبناء عمومته ، خاصة إذا اعتبرنا أبا جعفر وأبو عمر بن علي وأبو حفص هو عمر بن علي أن جدهم هو الخليفة ابن البذوخ[6].

وعن تطور الأدوية والطب في قلعة بني حماد ما يشير إلى ذلك في كتاب الادريسي حيث قال « بهذه المدينة عقارب كثيرة سود، تقتل في الحال وأهل القلعة يتحرزون منها و يتحصنون من ضررها، ويشربون لها نبات الفليون الحراني[7]، ويزعمون أنه ينفع، و يشترى قدر بدرهمين منه لعام كامل... وحكى عن هذه الحشيشة أنه شربها وقد لسبته العقرب فسكن الوجع سريعا، ثم أنه لسبته العقارب في سائر العام ثلاث مرات، فما وجد لذلك اللسب ألما وهذا النبات ببلد القلعة كثير»[8].

---

[1]- محمد بن عميرة: القلعة قلعة بني حماد الثقافية الأولى ، ص109.

[2]- محمد قويسم: الطب في قلعة بني حماد، الملتقى الوطني الأول للدولة المركزية لقلعة بني حماد والإشعاع الثقافي والفكري، يومي 26-27أفريل، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، بجامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2005م، ص02.

[3]- محمد قويسم ، الطب في قلعة بني حماد، ص02.

[4]- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص270- رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، ص199.

[5]- محمد قويسم: الطب في قلعة بني حماد، ص03.

[6]- نفسه، ص02.

[7]- محمد قويسم: الطب في قلعة بني حماد ، ص04.

[8] - الإدريسي: نزهة المشتاق، ص109.

فمن خلال ما أورده الإدريسي يتضح مدى تطور وازدهار الطب في القلعة، حيث يتضح من النص أنهم قد عرفوا المداواة بالأعشاب وهو ما يعرف عندنا بالطب البديل، إلى جانب معرفتهم المداواة بسم العقارب، في حين أن العلم الحديث لم يتوصل حتى اليوم لدواء مضاد للسعتها سوى مصل من سمها، إضافة إلى شيء يبهر العقل ويؤكد المستوى العلمي الرفيع الذي بلغه الطب عند الحماديين هو تقنين الدواء بجرعات محدودة خلال العام تكون كافية لوقاية من سمها وهو دليل أيضا على أن هناك تجارب أجريت على الدواء قبل أن يستعمل ويقنن.

رابعا: العمران .

رغم قصر العمر الزمني الذي حكمت فيه دولة بني حماد في القلعة إلا أنها شهدت الكثير من المهام العمرانية كالبناء والعمارة والهندسة، فقد اعتنى الحماديون بالفن المعماري اعتناء كبيرا، و قد أشار ابن خلدون إلى ذلك في معرض حديثه عن القلعة: " وتم بناؤها وتمصيرها على رأس المائة الرابعة وشيد بناياتها وأسوارها، واستكثر فيها من المساجد والفنادق، فاستبحرت في العمارة واتسعت بالتمدن ورحل إليها من الثغور القاسية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع "[1]، فهذا النص يدل على ما وصلت إليه القلعة من رقي ونمو حضاري و عمراني.

فحماد قد عمل على إنشاء حضارة من أرقى الحضارات ببنائه القصور والأبراج وقد سار على نهجه أمراء الدولة الحمادية خاصة الناصر[2]، ومن هذا المنظور يذكر بونابي:" يكون أنشاء قلعة حماد على جبل تاقربوست، فقد كانت فاتحة خروج البربر من الخيام و الظواعن و القياطن من الشروع في حركة العمران، والتي بلغت مداها في عهد المنصور بن الناصر بن علناس، الذي كان مولعا بالبناء، حضر ملك بن حماد وتأنق في اختطاط المباني وتشييد المصابغ و بنى القصور وأجرى المياه "[3].

فمن خلال الحفريات التي قام بها كل من بلانشي ودي بيلي في القلعة تبين مدى التقدم الذي أحرزه الحماديون في هذا الفن، فقد كانت الهندسة المعمارية من أشهر ما عرف من نواحي التقدم

[1] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص202.

[2] – الغنيمي: المرجع السابق، ص223.

[3]– الطاهر بونابي :المرجع السابق، ص50.

الحمادي، و ذلك من خلال الإبداع في تشييد الأسوار والقصور والمساجد وغيرها من البنايات[1]، حيث قاموا بإحضار الهندسيين من افريقية ومن المشرق لتشييد هذه البنايات المختلفة[2].

1) الأسوار:

أحيطت قلعة بني حماد بسور[3] كله من الحجارة[4] ويتبع السور الضفة الغربية لواد فرج من جهة الشرق ثم يتجه نحو الشمال إلى أن يصل إلى جبل تاقربوست، ثم ينحدر نحو جبل قرين ثم يتجه نحو الشمال ويعبر واديا ويتبع ضفته الشرقية[5] وتنفتح من هذه السور ثلاثة أبواب رئيسية منها:

باب الأقواس ، باب الجنان والذي يفضي إلى المسيلة ويتصل بطريق القيروان، أما الباب الثالث فهو باب جراوة والذي يتجه إلى جسر سيد عيسى والذي يمتد على نهر فرج[6].

فهاته الأبواب الثلاثة المنفتحة على السور تدل على ما بلغته الهندسة المعمارية للطرق في العصر الحمادي في القلعة من التقدم والرقي، غير أنه لم يبق لهذه الأبواب أثر.

2) المساجد:

شيد الحماديون الكثير من المساجد في القلعة والتي من أهمها مسجد الجامع الأعظم الذي يعد من أهم مبانيها، ولا تزال آثاره ماثلة للعيان، فقد كان كثير الشبه في تخطيطه بمسجد القيروان[7]، ويقول عنه شارل أندري جوليان أنه لم يبق من الجامع الأعظم سوى صومعة علوها 25م .

ومسجد القلعة هذا يقع في أسفل المدينة في القسم الجنوبي، وعلى الرغم من وجود عدة مساجد في القلعة إلا أن هذا المسجد هو الوحيد الذي تحدث عنه الكثير من العلماء والمؤرخين وذلك بفضل الميزات التي يتمتع بها، حيث يعد من أعظم المساجد المغربية.

---

[1]- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص276.

[2]- محمد الطمار: المرجع السابق، ص153.

[3]- رشيد بوروبية، الدولة الحمادية، ص202.

[4]- عثمان الكعاك: المرجع السابق ، ص187.

[5]- رشيد بوروبية، الدولة الحمادية، ص202.

[6]- نفسه: ص ص123-133.

[7]- محمد طمار: المرجع السابق، ص153.

وللمسجد محراب، وهو عبارة عن تجويف الجدار كما يشتمل على صحن يبلغ طوله 53,20م وعرضه 26,90م هو مفصول بيت الصلاة بجدار ذي أبواب كما كان مفروشا ببلاط أبيض ومحاط برواق وفي وسطه جب يبلغ طوله 11,15م وعرضه 5.40م[1].

وله مئذنة يبلغ ارتفاعها 25م[2]، وهذا الارتفاع ليس بالارتفاع الحقيقي لمئذنة بل تزيد أكثر من ذلك حيث يقال أنها كانت من شدة طولها ذاهبة إلى السماء وهي شكل برج مربع مبنية من الحجر ولها باب عرضه 2,40م ويؤدي إلى سلم يدور حول نواة مركزية مربعة وعدد أدراج السلم 127 درج، وعرضه 1,10م[3].

وتمتاز هذه المئذنة بعدة زخارف تزين واجهتها الجنوبية، حيث بحث الأثريون عن أصل هذه الزخرفة فوجدوا أن هذه الأعمدة كانت مزينة بالخط العربي الجميل بالإضافة إلى قطع ولوحات ذات الخط الكوفي، وآثار الأجر المطلي عليه خط لامع[4]، كل هذه الأوصاف توحي لناأن المئذنة كانت آية من آيات الجمال وذلك من خلال جمال وروعة الزخرفة التي تمتعت بها.

3) القصور:

عثر الأثريون على عدد كبير من القصور فقد بنى الحماديون قصورا كثيرة في القلعة أهمها قصر المنار، قصر البحر، قصر الكوكب، ولهذه القصور عدة ميزات فكل قصر يختلف عن الآخر من حيث المساحة والشكل وعدد المباني التي يشتمل عليها والتي كانت تخصص معظمها للعلماء.

*** قصر المنار:**

يعد قصر المنار من أبرز معالم الإبداع الهندسي الحمادي في القلعة، وحول الشخص الذي بنى هذا القصر يقول ابن خلدون: " وكان المنصور مولعا بالبناء فهو الذي حضر بني حماد وتأنق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين، فبنى في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام"[5].

---

[1]- رشيد بوروبية، الدولة الحمادية، ص212.

[2]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص124.

[3]- رشيد بوروبية، الدولة الحمادية، ص212.

[4]- محمد طمار: المرجع السابق، ص154.

[5]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص206-207.

ويشمل القصر على عدة مباني متلاصقة بعضها في بعض منها جنوبية ومنها شمالية[1]، كما يتكون من بهو فسيح وقاعات وتحت البهو سرداب يخزن فيه الأسلحة[2]، وهو يمثل بدائع الزخرف الفني الإسلامي القديم، قد لاحظ بعض مؤرخي الفن الإسلامي تشابه ما بين قاعات قصر المنار وقصر القبة العزيز العربيين في صقلية ومن ثَمَّ فإنه من الممكن الافتراض بأن يكون مهندسو هذين القصرين قد استوحوا نماذجهم من قصر المنار[3]، ومن مشهد هذا القصر الحصين يعطينا فكرة عن مدى رقي بني حماد وإعطائهم للفن المعماري أهمية بالغة في القلعة وهذا القصر يعلوه منار والذي لقب بعدة تسميات منها برج المنار أو سرح المنار، ويذكر المؤرخون بأن بني حماد قد عهدوا إلى المهندس بونياش المسيحي إقامة هذا الصرح[4]، ولهذا البرج قاعدة مربعة يبلغ ضلعها 20م، كما يشمل على قاعدتين موضوعتين إحداهما فوق الأخرى فالقاعة السفلى مربعة ومسقفة بقبة والقاعة العليا صليبية الشكل وكان ممر الحراس يحيط بالقاعتين ويرتفع إلى أعلى البرج حيث نجد آلة بمرايا[5].

*** قصر البحر:**

يعد هذا القصر من أعظم القصور الحمادية بالقلعة حيث امتاز بتخطيط أصبح مثالا يحتذي به المعماريون في صقلية وغرناطة والذي يسمى أيضا بدار البحر وقد وصفه صاحب الاستبصار عند وصفه لمدينة القلعة بقوله: « بنى حماد بالقلعة مباني عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء عالية السناء منها قصر يسمى بدار البحر وقد وضع وسطه صهريج عظيم تلعب فيه الزوارق بداخله ماء كثير مجلوب على بعد وهذا القصر مشرف على نهر كبير وفيه الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف وفيه قصور غير هذا ومباني عجيبة وفيه آثار للأوائل عجيبة»[6].

---

[1]- رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، ص ص251-252.

[2]- حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن 6م إلى القرن 19م، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص690.

[3]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص127.

[4]- رابح بونار: المرجع السابق، ص210.

[5]- رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، ص268.

[6]- مؤلف مجهول، الاستبصار، ص168. عبد الرحمان الجيلالي: ج1، ص262.

وقصر البحر يقع وسط المدينة شمال المسجد و يشمل على عدد كبير من المباني[1]، والبناية الرئيسية هي قصر الأمير كما كانت هناك بنايات أخرى للاستقبالات الرسمية والتي بدورها تشتمل على قاعات[2].

أما داخل القصر فتقع البحيرة التي أخذ القصر إسمه منها و قد كان هناك اختلاف في تحديد مساحة وعمق هاته البحيرة فمنه من يقول أنها على امتداد مساحة لا تقل عن 67م طولا و47م عرضا وعمقها 60م[3]، والبعض الآخر يقول أنها بركة كبرى لها من طولها ما يناهز 60م وفي عرضها 45م، بحيث تلعب فيها الزوارق كما يحيط بالبركة القاعات والرواقات المزينة بنقوش جميلة بالفسيفساء بحيث حضي دار البحر بعناية خاصة من الأمراء غير أنه لم يبق منه إلا الأطلال والصومعة التي لا تزال قائمة.

*** قصر السلام:**

يعتبر قصر السلام من أهم البنايات التي كان لها أثر عظيم في الفن المعماري عند بني حماد، فقد قام بالبحث عنه أثناء الحفريات بالقلعة الأستاذ لوسيان قولفان و ذلك سنة 1952م و تتجلى لنا معالم القصر المعمارية في كونه ينقسم إلى قسمين: قسم سفلي و قسم علوي. فالقسم العلوي له سور من الحجر مربع في زواياه بروج و هي تشبه في تشييدها قصور الأمويين بالشام والأردن و له باب و واجهة مزينة والمدخل يؤدي إلى قاعة يبلغ طولها 17.75م و عرضها 2.75م أما القسم السفلي فيوجد به صحن عرضه 15م بالإضافة إلى غرف مختلفة الشكل.

*** قصر الكوكب:**

يعتبر قصر الكوكب من بين القصور التي احتفظ لنا التاريخ بإسمها و بصفاتها، و يوجد في القصرين قصر السلام وقصر البحر[4]، وهو من القصور النادرة التي أسسها المنصور بعد قصر السلام و المنار كما أتى معنا[5].

---

[1]- هناك اختلاف في تحديد مساحة هذه المباني والتي تمتد على مساحة طولها 70م في عرض 67م ويبلغ ارتفاع القصر 10امتار. إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص125

[2]- نفسه: ص125.

[3]- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص ص276-277.

[4]- رشيد بوروبية، الدولة الحمادية، ص270.

[5]- رابح بونار: المرجع السابق ، ص217، عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص187.

[6] - عبد الحليم عويس: المرجع السابق ، ص273.

غير أن هذا القصر لم تتناول المصادر معلومات كثيرة عنه نظرا لأنه لم تجرى فيه حفريات ومن المحتمل أن قصورا عديدة قد أقيمت بالقلعة غير أن الحفريات لم تصلها.

خامسا: الفنون.

لقد اهتم الحماديون بفن الهندسة المعمارية الزخرفية اهتماما كبيرا بحيث أن أشتهر بنو حماد بالقلعة التي ذاع صيتها حتى بلغ الأندلس إذ كان الخط والحفر والرسم والنحت و الفنون الزخرفية التي اعتنى بها الحماديون حيث تطورت بتطور الدولة[4].

وقد برز فن الزخرفة الحمادي في عدة أشكال مختلفة واعتبر كفن متقدم بملامح عربية إسلامية وبربرية أيضا يدل على ذلك على تقدم كبير في هذا الفن وغيره من الفنون كالرسم والنقش[1]، وقد عثر في القلعة على عدة أنماط من الخطوط اكتشفت أثناء الحفريات منفذة على شواهد القبور وعلى أقواس الأبواب وكلها خطوط كوفية[2]، كما عثر على لوحة جميلة لباب منقوش عليها خطوط كوفية[3].

كما كانت نماذج متعددة من فنونهم الصناعية (كالخزف والفخار والخشب والزجاج والجص)، قد بلغت مكانة رفيعة من التصنيع مما أدى إلى ذيوع صيتها في الأقطار ويقول المؤرخ جورج مارسيه في هذا السياق: "حوالي عام 575هـ/ 1065م صارت القلعة مدينة تجارية عظيمة وافرة الخيرات، قصدها أرباب الصنائع من الشرق وافريقية ويبدوا أن صناعة الفخار يومها بلغت مبلغا عظيما"[4].

فقد عثر الأثريون على قطع عديدة وأنواع مختلفة من الخزف والفخار ذي البريق المعدني والصيني الأزرق والأبيض المنمق بالصليب والنجوم ذو الثمانية أضلاع، فكلها كانت ذوات موجودة في قصور القلعة قبل أن تظهر في كل من قصور الحمراء والأندلس[5].

فالأواني المطلية، ذات البريق المعدني[1] كانت مختلفة بإختلاف مصانعها[2]، كما اكتشفت أصحاب المنطقة بالقلعة جرة بمسجدها[3]، فكل هاته الآثار الزخرفية شبيهة بمعاصرتها الفاطمية

---

[1] – إسماعيل العربي :المرجع السابق ، ص127.

[2]– عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص274.

[3]– محمد الطمار: المرجع السابق ، ص185.

4– الغنيمي: المرجع السابق، ج4، ص326.

5 –إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص127.

حيث يقول جورج مارسيه: يظهر أن صناعة الفخار يومها بلغت مبلغا عظيما ويظهر عليها تأثير الفرس ومصر فنا وعملا[4]، فالتيارات الفنية كانت تذهب من الشرق إلى الأندلس عن طريق مصر وافريقية والمغرب الأوسط حيث كان التأثير يشمل الخزف والزجاج والجص...الخ. وإلى جانب هذه الآثار عثر على مجموعة من "النقوذ" وهي عبارة عن قطع برونزية ودراهم فاطمية وأخرى عباسية، فالسكة الحمادية كان لها علاقة بالخلافتين الفاطمية والعباسية[5].

فمما لاشك فيه أن الحماديين إلى عهد يحي ابن العزيز لم تكن لديهم نقود تحمل طابع دولتهم، حيث أن معظم المصادر التاريخية بالإضافة إلى التقنيات الأثرية التي جرت بالقلعة لم تطلعنا على نماذج من نقودهم حيث أن العملات التي كانوا يتعاملون ويتبادلون بها نقود فاطمية وعباسية[6]، ولكن عندما تقلد الأمير الحمادي يحي بن العزيز الحكم استحدث السكة وضربها باسم الخليفة العباسي، و في ذلك يقول ابن خلدون : "واستحدث السكة ولم يحدثها أحد في قومه أدبا و تأدبا مع خلفائهم العبيديين"[7].

ومن هذه الحقيقة التاريخية فقد كانت النقود تشتمل على ثلاثة أنواع:

الدينار الذهبي والدرهم الفضي ثم الفلس النحاسي أو البرونزي و السكة الفاطمية كانت تحمل شعارات فالوجه كان يتناول شعار "محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون" وكذلك "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" أما بالنسبة للظهر ففيه باسم الله ضرب هذا الدينار بالمهدية وفي المركز "الحكم بأمر الله أمير المؤمنين"[8].

و الحماديون عاشوا في قصورهم حياة مترفة حيث كانوا محفوفين بالعلماء و الفنانين و الموسقيين، و قد كانت هذه الموسيقى متأثرة بالموسيقى الإفريقية الشرقية و الأندلسية فكانت آلاتهم

---

[1]– هنا الخزف أصله من الصلصال المحروق ثم أضيفت إليه بعض المواد التي أكسبته بريقاً معدنيا يجعله صالحا لأن يكون بديلا لأواني الذهب، إسماعيل العربي: المرجع السابق ، ص168.

[2]– محمد الطمار: المرجع السابق، ص159.

[3]– رشيد بوروبية، الدولة الحمادية، ص178.

[4]– محمد الطمار: المرجع السابق، ص159.

[5] – صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص504.

[6]– صالح بن قربة: المرجع السابق، ص505..

[7]– نفسه: ص507.

[8]– نفسه : ص، ص، 507،508.

تتمثل في الناي والعود و الغائطة و الزرنة و الزمارة والدف فكان الملوك والأمراء يتخذون في مجالسهم المغنين والمغنيات إلى جانب الراقصات فكن يقبضن المناديل ويحركنها[1]

و إلى هنا يمكننا أن نقول أن دولة الحماديين كانت صفحة من ألمع صفحات الحضارة الإسلامية فهذه الدولة كانت لها مكانة جديرة بالاحترام و ذلك من خلال تاريخ الخزف الصيني و الإسلامي بالمغرب، وهذا خلال حديث دي بيلي عن حفرياته بالقلعة فقد كانت القصور روائع هندسية وفنية احتذت بها كثير من البلدان الشرقية منها والغربية.

سادسا: أبرز العلماء بالقلعة .

سجلت المصادر التاريخية تراجم مجموعة من العلماء، تبحروا في مختلف العلوم منهم من ولد بالقلعة و تلقى علومه بها ، و منهم من قصدها من أجل التحصيل العلمي و انتهى به المطاف إلى الاستقرار، و منهم من نشأ بها و درس فيها و رحل إلى مناطق أخرى إما نشرا للعلم أو لتلقي المزيد من العلم أو هربا من بطش الغزاة الهلاليين مثل ما حدث لغيرها من مراكز الحضارية في الشرق، فقرب أمراء بني حماد هؤلاء العلماء و قلدوهم مناصب رفيعة تتلائم و مكانتهم العلمية نذكر من هؤلاء العلماء[2]:

* **علي بن معصوم القلعي** : يعرف بأبي ذر ولد في قلعة بني حماد عام (489هـ/1096م) نشأ و تعلم بها ثم رحل إلى بلاد المشرق و استوطن العراق و تفقه على يد الفرنج الخريني [3] ثم انتقل لغلى خراسان [4] و كان إماما فاضلا من كبار فقهاء الشافعية عالما بالمذهب، و بحرا في الحساب توفي في سفراين[5] شهر شعبان عام (551هـ/1156م) أو (555هـ/1160م) و ذكر له المستشرق الشهير روزنفلد وماتيفيا فسكايا كتاب بعنوان " حاشية على درة التاج " و هو عبارة عن مخطوط موجود في طهران ، و ذلك الجزء الخاص بالعلماء الذين تجهل فترات حياتهم من كتابه الهام

---

[1]– محمد الطمار: المرجع السابق، ص161.

[2] – الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط،ص ص 95. 96.

[3]– ذكره الحنبلي هكذا لكن الأصح بن عبد الله أبو الروح ، أنظر : الأسنوي : طبقات الشافعية ، ج1 ، كمال يوسف الحوت مركز الخدمات و الأبحاث الثقافية، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1987م ص 434.

[4] – خراسان : منطقة واسعة تشمل على كور عظام و أعمال جسام يحدها شرقا سجستان و بلد الهند ، انظر : ابن حوقل أبي القاسم النصيبي: كتاب صورة الأرض ، ليدن ، هولندا 1939م ، ص – ص 226 – 258.

[5] – سفراين : هي مدينة كبيرة فيها أسواق و مياه جارية في أخر عمل نيسابور من خراسان و بينهما خمس مراحل و قيل إثنان و ثلاثون فرسخا أي حوالي 130 كلم و هي مشهورة بكثرة العلماء المنسوبين إليها ، عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس،ط2،مكتبة لبنان ، بيروت، 1984م،ص 291.

علماء الرياضيات و الفلك في القرون الوسطى و أعمالهم من القرن الثامن إلى القرن السابع عشر الميلاديين [1]

* **إبراهيم بن حماد أبو إسحاق القلعي** :و هو فقيه مالكي من أهل قلعة بني حماد و ورد ذكره في كتاب التكملة لابن الأبار عاش في القرن السادس هجري الثاني عشر الميلادي.

* **أحمد بن محمد بن أحمد المسيلي** : نشأ بالمسيلة حيث تلقى تعليمه الأولي ثم سافر إلى تونس و درس بها عن ابن عرفة و أبي عيسى الغبريني كانت له اهتمامات كثيرة بالعلوم النقلية كالفقه و التفسير.[2]

* **علي بن أبي بكر القلعي** : هو محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي أبو عبد الله، لا يعرف تاريخ ميلاده لكنه توفي عام 660هـ/1262م أو عام 1266م، و هو فقيه مالكي عالم بالفرائض و الحساب علما و عملا سبق فيه الأوائل،نشأ بمدينة قلعة بني حماد و اشتغل ببجاية ، حيث أقام إلى أن توفي ، له طريقة في الفرائض ملخصة في كتاب " نهاية القرب " و لعله ينسب إليه لأن البعض يقول أنه لم يترك آثار مكتوبة.و ذكره الغبريني أنه كان له علم بالحساب سبق فيه الأوائل لو لقيه الحصار ابن وهيب و غيرهما ما أمكنهم إلا الأخذ عنه و الاستماع منه و لم يكن في بجاية في وقته أحد يريد قراءة هذا العلم إلا قرأه عليه، و كان يقصد من البلاد لقراءة هذا العلم عليه،حيث كان له مجلس يقرأ عليه فيه التهذيب ، و كان أحد العدول المرضيين، و كان من موثقي الوقت.[3]

* **حسن بن علي بن محمد المسيلي أبو علي** : يعود أصله إلى مدينة المسيلة رحل إلى مدينة بجاية و توفي بها سنة 580هـ/1185م، كان فقيها مالكيا، حافظا و متكلما، تولى القضاء ببجاية إلى ان دخلها بنو غانية سنة 581هـ و احتلوها و أكرهوه على مبايعتهم فرفض و اعتزل القضاء و اهتم بالتدريس في مساجدها، ترك مؤلفات كثيرة ذكرها الغبريني و علق عليها منها : التذكرة في أصول الدين، النبراس في الرد على منكر القياس، و التفكير فيما تشتمل عليه السور و الآيات من المبادئ و الغايات،و هو كتاب اتبع فيه منهج أبي حامد الغزالي في كتابه الإحياء في طريق عرض القضايا و تحليلها حتى لقب بابي حامد الصغير و قد قال فيه الغبريني : " و كلامه فيه

[1] – محمد قويسم: علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد، ص03

[2] – الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص96.

[3] – محمد قويسم: علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد، ص ص ، 03 .04

أحسن من كلام أبي حامد و أسلم، و دل كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول و المنقول، و علم الظاهر و الباطن، و من تأمل كلامه أدرك ذلك بالعلم اليقين، و لم يفتقر فيه إلى تبيين و هو كثير الوجود بين أيدي الناس،و كثرة وجود الكتاب دليل على اعتناء الناس به و إيثارهم له."[1]

و كان أبو علي حسن من أهل النسك و الدين، حيث كان يأتي إلى الجامع الأعظم في الثلث الأخير من الليل للتهجد.

و يذكر الغبريني : " أن الفقيه أبا علي المسيلي، عرض له في ولايته مرض اقتضى أن يستنيب من ينوب عنه في الأحكام الشرعية، فاستناب حفيده، و كان له نبل فتحاكمت عنده يوما إمرأتان ادعت إحداهما على الأخرى إنها اعارتها حليا و إنها لم تعده إليها و أجابتها الأخرى بالإنكار فشدد على المنكرة و أوهمها حتى اعترفت ، و أعادت الحلي إليها.

و كان من سيرته إذا انفصل عن مجلس الحكم يدخل لجده أبي علي، و يعرض عليه ما يليق عرضه من المسائل، فدخل عليه فرحا ، و عرض عليه هذه المسألة فاشتد نكير الفقيه رحمه الله و جعل يعتب نفسه و قال له : إنما قال النبي صلى الله عليه و سلم " البينة على المدعي و اليمين على من أنكر."[2]

* **محمد القلعي** :هو محمد بن الحسين بن علي بن أبي علي القلعي لا يعرف تاريخ ولادته لكنه توفي سنة 611هـ/1214م ، له مؤلف بعنوان" إيضاح الغوامض في علم الفرائض" ، كما ذكره الخزرجي بأنه أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي القلعي و أنه فقيها عالما كبيرا عاملا له مصنفات كثيرة مشهورة أنتفع بها الناس

منها :

- قواعد المهذب : ذكره الأسنوي له في الاحترزات المهذب و مشهور مستعذب.
- إيضاح الغوامض في علم الفرائض: و هو مجلدات جيدات جمع فيه بين مذهب الشافعي و غيره و أورد فيه طرفا من الجبر و المقابلة و الوصايا.
- إحتراز المذهب.
- لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأبرار.
- كنز الحافظ في غرائب الألفاظ : يعني ألفاظ المهذب.

---

[1] – الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص96.

[2] – الغبريني : المصدر السابق ، ص ص 66، 70.

– تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة.

– أحكام القضاة.[1]

***يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل المعروف بالنحوي المتوفي سنة " 513هـ" :**

ابن النحوي, توزري الأصل, عكف على طلب العلم في صغره بافريقية حتى نبغ فيه قال ابن الآبار عنه: " إنه أخذ صحيح البخاري عن اللخمي, ويحكى أنه لما لقيه طالب علم سأله: ما جاء بك؟ فقال له: جئت لأنسخ تأليف " التبصرة " فقال له: إنما تريد أن تحملني في كفك إلى المغرب, أو كلاماً هذا معناه" , وقد أشار بذلك إلى أن عمله كله في هذا الكتاب, وأخذ أيضا عنده أعلام ذلك العصر كالمازري صاحب الصيت البعيد وأبي زكريا الشقراطسي وعبد الجليل الربعي, وكان أبو الفضل بن النحوي عارفا بأصول الدين والفقه وأحد أعلام القرآن العاملين بحلاله وحرامه, ويميل إلى النظر والاجتهاد, وقد ترك تأليف حسنة .

أخذ عنه جماعة من علماء ذلك العصر, أشهرهم: أبو عمران موسى ابن حماد الصنهاجي الذي كان معجباً به كثيراً حتى قال عنه: إنه في بلادنا بمنزلة الغزالي في العلم والعمل .

وقد امتاز ابن النحوي عن كثير من معاصريه بالأسفار الكثيرة التي قام بها في أنحاء المغرب, وعاصر الدولة الحمادية بالقلعة و بجاية و الزيرية بالمهدية و المرابطية بمراكش, ودخل سلجماسة وأقرأ بها الأصلين: أصول الدين وأصول الفقه, فتضايق منه أحد رؤساء البلد, وهو ابن بسام, فقال: هذا يريد أن يدخل علينا علوماً لا نعرفها, يعني بذلك أبحاث العقائد على طريقة الغزالي, فأمر بإخراجه من المسجد, فقال له أبو الفضل: أمتَّ العلم أماتك الله هنا, فجلس في اليوم الثاني لعقد نكاح سحراً, فقتله جماعة من صنهاجة .

ثم أنتقل إلى فاس وانتصب بها للإقراء والتعليم فضايقه قاضيها ابن دبوس, فدعى عليه, فأصابته أكلة في رأسه فوصلت إلى حلقه فمات منها, وفي صبيحة يوم وفاته خرج أبو الفضل من فاس وجاء ولد ابن دبوس لتوديعه, فقال له الشيخ: أرجع لتحضر جنازة والدك, فرجع فوجده ميتاً, وكان خروج الشيخ من فاس حوالي سنة 494هـ[2]

[1] – محمد قويسم: علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد، ص ص 04 ، 05.

[2] – رابح بونار: المرجع السابق، ص186.

كان أبو الفضل متأثراً كثيراً بالغزالي في أبحاثه في العقائد والتصوُّف وغيرهما, ولذلك كان ينتصر له ويبث كتبه أينما حل, ولما أفتى فقهاء الأندلس كابن حمدين ومن شايعه من علماء المغرب بإحراق الأحياء للغزالي وأحرق في صحن مراكش وغيرها.[1]

ووصل كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ) وفيه تحليف الناس بمغلظ الإيمان, أن ليس عندهم كتاب الأحياء انتصر الشيخ للغزالي وأحيائه, وكتب إلى السلطان برأيه, وأفتى بعدم لزوم تلك الإيمان, ونسخ الأحياء ثلاثين جزءاً, يقوم كل يوم في رمضان بنسخ جزء منها وهو يقول: **((وَدَدْتُ أَنَّنِي لَمْ أَنْظُرْ فِي عُمْرِي سِوَاهُ))**

وهكذا كان موقفه من الأحياء نصراً كبيراً له ولمبادئ الغزالي عامة .

عاد أبو الفضل بعد أسفاره بالمغرب إلى قلعة بني حماد, وأخذ نفسه فيها بالتقشف ولبس الصوف, وقصّر جبنّه حتى كانت لا تزيد عن ركبتيه. ومرّ يوماً بالفقيه أبي عبد الله بن عصمة المفتي فلم يسلّم عليه لانشغال خاطره, فعظم عليه ذلك, فلما رجع ناداه محقراً: يا يوسف, فجاءه ثم قال له: يا توزري, سفرت وجهك, ورققت ساقيك وسرت تمرّ ولا تسلّم؛ فأعتذر له فلم يقبل عذره وأغلظ له, فقال له أبو الفضل: غفر الله لك يا فقيه, يا أبا محمد, ثم أنصرف مغضباً عنه.

ولما استقر به المقام بقلعة بني حماد أخذ في التدريس و الإقراء، وأفاد أهلها كثيرا، وتخرج على يديه جماعة من أعلام القرن السادس في هذه الفترة التي استقر بها بالقلعة، فمنهم القاضي أبو عمران موسى الصنهاجي السابق الذكر، ومنهم أبو عبد الله محمد الرمامي الفقيه رئيس الإفتاء بفاس، ومنهم الفقيهان أبو بكر بن مخلوف بن خلف الله ومحمد ابن مخلوف بن خلف الله وغيرهم .

لقد ضرب أبو الفضل المثل في تقواه وزهده، فكان شديد الخوف من الله، دائم الإستحضار لجلاله، كثير الورع، لا يقبل من أحد شيئا إنما يأكل ما يأتيه من توزر، وقد كان لتشدده في تعبده وزهده يقول:

أَصْبَحْتُ فِيمَنْ لَهُمْ دِينٌ بلاَ أَدبٍ ∃ ومَنْ لَهُ أَدَبٌ عَارٍ منَ الدِّينِ

أَصْبَحْتُ فِيهِمْ غَرِيبَ الشِّكْلِ مُنْفَرِدًا ∃ كَبَيْتِ حسَّانَ فِي دِيوَانِ سَحْنُون

ويعني ببيت حسان قوله:

وهان على سراة بني لؤيٍّ ∃ حريقٌ بالبُوَيرَةِ مستطيرُ [1]

[1] – رابح بونار : المرجع السابق، ص186.

ومن أدعيته الإنشادية التي كان يقرأها ليدفع بها كربًا أو شِدّة قوله :

لبستُ ثوب الرجاء والناس قد رقدوا ∃ وقمتُ أشكو إلى مولاي ما أجِدُ

وقلت يا سيدي يا منتهى أملي ∃ يا مَن عليه بكشف الضرّ اعتمد

أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ∃ مالي على حَملها صبرٌ ولا جَلَد

وقد مددتُ يدي للضرِّ مشتكياً ∃ إليك يا خيرَ مَن مُدّة إليه يَد

أجاد ابن النحوي قرض الشعر كما أجاد علوم الدين والفقه والكلام وغيرها, وقد برع في نوع منه وقلّده فيه من أتى بعده وهو شعر التوسُّلات و الابتهالات. وأشهر القصائد التي وصلتنا عنه قصيدة جيمية دُعيت بالمنفرجة, من انفراج الأزمة, وقد نالت من معاصريه وممن أتى بعدهم عناية كبيرة, كما نالته قصيدة شيخه الشقراطسي التي دُعيت بالشقراطسية.

وعاش ابن النحوي درساً متعبِّداً بقلعة بني حماد أكثر من ثلاث عشر سنة كانت عاملاً قوياً على ازدهار الدراسات الفقهية والكلامية على عهد الموحدين, وتوفي كما يقول أبو العباس النقاوسي بالقلعة سنة 513هـ وقبره بها مشهور.[2]

و ينتمي أبي الفضل المعروف بابن النحوي إلى الفكر الجديد الذي سينفتح على كل ما هو جديد ، و يرجع ذلك إلى وفائه لمبادئ الغزالي، و سوف يثأر له في المستقبل ، و ما يزال ضريحه يقام على القلعة التي خربت عن آخرها.[3]

*** محمد بن محمد بن أبي بكر المصور القلعي أبو عبد الله :**

فقيه مالكي من أهل قلعة بني حماد ، أخذ عن مشيخة بلاده ثم انتقل إلى بجاية و استوطنها إلى أن توفي نحو 665هـ/1270م.

*** المعافري** :هو أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري، أبو العباس، نشأ بقلعة بني حماد و درس فيها عن أبيه في نهاية القرن السادس الهجري و على يد الأستاذين أبو الحسن علي بن محمد بن عثمان التميمي ، و أبو الحسن علي بن الشكر بن عمر القلعي و أخذ أيضا عن الخطيب المقري النحوي أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد المعروف بابن عفراء، و الفقيه الفاضل الزاهد أبي عبد الله محمد بن المعطي المعروف بابن الرماح و غيرهم.

---

[1] – رابح بونار: المرجع السابق، ص.ص186، 187.

[2] – رابح بونار: المرجع السابق ، ص ص 187، 188.

[3]– جورج مارسيه: بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى،ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ،منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1991 ، ص 220.

اهتم بالفقه و علم القراءات و علوم اللغة ثم انتقل إلى بجاية و استوطنها فأخذ العلم فيها عن أبي زكرياء الزواوي حيث ولي الخطابة بجامع القصبة و أقرأ بها و اشتهر بحسن التلاوة حتى إذا كانت ليلة السابع و العشرون من رمضان امتلأ المسجد بالمصلين لسماعه و مكث بها إلى أن وافته المنية بها، له مختصر كتاب التسيير في القراءات السبع لأبي عمرو و عثمان ابن سعيد الداني .[1]

* **ابن رشيق القيرواني** : هو الحسن بن رشيق أبو علي الشهير بالقيرواني، لقب بهذا الاسم لطول مكوثه بالقيروان، ولد بالمسيلة سنة 385هـ/995م ، اهتم بالأدب و التاريخ فدرسها عن علماء بلده ثم رحل على القيروان، حيث لازم كبار علمائها وأخذ عنهم العلم،مدح أميرها المعز فقربه إليه و جعله كاتبا فذاع صيته بالقيروان إلى أن غزا الهلاليون افريقية ، فلجأ إلى صقلية و أقام بها إلى أن توفي سنة 463هـ/1071م.

و خلف مجموعة من الكتب منها:

- العمدة في صناعة الشعر و نقده.
- أنموذج الزمان في شعراء القيروان.
- قراضة الذهب في نقد أشعار العرب.
- ميزان العمل في تاريخ الدول.
-تاريخ القيروان.

و كلها كتب جمع فيها بين التاريخ و الآداب.

* **الأصم** : هو محمد بن عبد الله بن زكريا أبو عبد الله القلعي الشهير بالأصم شاعر من أهل قلعة بني حماد ورد ذكره في بعض المصادر التاريخية و أثنت على شعره، سافر إلى بلاد المشرق و انتهى به المطاف في مدينتي الإسكندرية و القاهرة، و مكث بهما مدة زمنية غير أنه لم ينل المكانة التي ينشدها لدرجة بلغت به عجزه عن تحصيل قوت يومه فقفل راجعا و في طريقه مر بقوم يدعون بني الأشقر من بلاد طرابلس الغرب فامتدحهم بقصيدة جميلة فأحسنوا إليه و أجزلوا له العطاء، ثم سكتت المصادر عن ذكره بعد ذلك.[2]

[1] – الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص97.

[2] – نفسه، ص97.

و من خلال ما سبق نخلص إلى ما يلي :

صنفت العلوم بقلعة بني حماد إلى صنفين رئيسيين أولهما العلوم النقلية التي يرجع أصلها إلى القرآن و السنة و المتمثلة في الفقه و أصوله الذي كان مبدأ الدراسات الفقهية السنية في مدينة القلعة عقب الانقلاب الفقهي الذي حدث بعد نبذ حماد للدعوة للعبيديين و إعلانه للخلافة العباسية السنية في بغداد، و كان الغالب الفقه على المذهب المالكي الذي كان منتشرا في المغرب الإسلامي ككل، و يعود الفضل في ذلك إلى أبو القاسم يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي و أستاذه أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري المعروف بالذكي، كما كان للمذهب الظاهري نصيب في القلعة الذي كان ممثلا في الفقيه ابن عبد الكريم المعروف بابن يبكي القلعي، أما الحضور الشافعي فيها كان ممثلا في الفقيه علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي.

أما علم القراءات انتشر في القلعة و اشتهرت بقراءة أبي عمر الداني ، و من الذين برعوا في هذا العلم أبي العباس أحمد بن عبد الله المعافري، كما نجد علم الحديث فنلاحظ نقص الاهتمام به في القلعة و يعزى ذلك إلى الاهتمام البالغ بالفقه و دراساته، بيد أنه برع فيه بعضهم منهم أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي

وكذلك وجدنا شغف بعلوم اللسان العربي من نحو و لغة و بيان و أدب، و هذا راجع لحماد مؤسس الدولة الذي قد نشأ بالقيروان نشأة عربية إسلامية، و أشهر علماء هذه العلوم أبي الفرج المازري و إسماعيل القلعي و ابن الأصم و ابن النحوي و غيرهم.

ثانيها العلوم العقلية التي كانت موجودة و تتجلى في العلوم العددية مثل علم الحساب حيث برز في القلعة عدة علماء في الرياضيات من بينهم علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي، أما علم الفرائض نجده حاضرا في القلعة باعتباره أهم ركائز حياة المسلمين ، و اشتهر في هذا العلم محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي

أما علم التاريخ فقد كان هناك اهتمام كبير به و ما نخبة المؤرخين الذين عرفوا بالقلعة منهم أبو عبد الله محمد بن علي بن عيسى بن أبي الصنهاجي.

أما عن علوم الطب و الصيدلة فإنهما كانتا متلازمتين في العهد الإسلامي، ولقد شهدت قلعة بني حماد تطور في مجال الطب ومن مظاهر تطور الطب في القلعة بروز أطباء كبار منهم: أبو جعفر بن علي البذوخ (ت575هـ/1079م) أما الطبيب الثاني هو ابن أبي المليح وكذلك أبو حفص عمر بن علي ابن خليفة ابن البذوخ القلعي.

كما شهدت القلعة نهضة عمرانية رغم قصر العمر الزمني الذي حكمت فيه دولة بني حماد في القلعة إلا أنها شهدت الكثير من المهام العمرانية كالبناء والعمارة والهندسة، فقد اعتنى الحماديون بالفن المعماري اعتناء كبيرا كبناء الأسوار المساجد " كالمسجد الأعظم" و تشييد القصور" كقصر المنار و قصر البحر و قصر السلام و قصر الكوكب "

كما كان هناك اهتمام بالفنون خاصة فن الهندسة المعمارية الزخرفية اهتماما كبيرا حتى أشتهر بنى حماد و ذاع صيتهم الأندلس ، و كذلك فنونهم الصناعية " كالخزف والفخار والخشب والزجاج والجص "

ومهما يكن من أمر فإن يمكننا القول أن دولة الحماديين كانت صفحة من ألمع صفحات الحضارة الإسلامية فهذه الدولة كانت لها مكانة جديرة بالاحترام و ذلك من خلال تاريخ الخزف الصيني و الإسلامي بالمغرب، وهذا خلال حديث دي بيلي عن حفرياته بالقلعة فقد كانت القصور روائع هندسية وفنية احتذت بها كثير من البلدان الشرقية منها والغربية.

هذا الازدهار الثقافي و الحضاري لم يأت من فراغ بل بفضل جهود علماء أسسوا معالم حضارية في القلعة من بينهم نذكر: علي بن معصوم القلعي ، إبراهيم بن حماد أبو إسحاق القلعي ،أحمد بن محمد بن أحمد المسيلي ،علي بن أبي بكر القلعي، حسن بن علي بن محمد المسيلي أبو علي محمد القلعي، يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل المعروف بالنحوي، محمد بن محمد بن أبي بكر المصور القلعي أبو عبد الله، المعافري،ابن رشيق القيرواني، الأصم.

و من هنا نلاحظ أن هؤلاء العلماء أسهموا أيما إسهام في النهضة الفكرية التي عرفتها مدينة القلعة خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، إلى جانب علماء آخرين وفدوا عليها من بيئات مختلفة، بالإضافة إلى مجهودات العلماء القلعيين. وشجع موقع المدينة الجغرافي، و ظروفها على تلاقح الأفكار و ثرائها. كما نشير إلى أن مدينة القلعة ظلت خزانا للعلماء و الفقهاء، رغم تراجع دورها السياسي فيما بعد ، و لقد تحكم هؤلاء العلماء الذين أشرنا إليهم في علوم عصرهم، و ساهموا في بثها بين أجيال من الطلبة و المتعلمين، أثروا باجتهاداتهم من خلال مؤلفاتهم.و لم يكن هؤلاء العلماء بمعزل عن مجتمعهم، بل ساهموا في تطويره و خدمته، و من خلال الوظائف التي شغلوها. و المهام التي أوكلت لهم.

الفصل الرابع:

العلاقات الثقافية الخارجية للقلعة

1- العلاقات مع الزيريين
2- العلاقات مع الفاطميين
3- العلاقات مع المرابطين
4- العلاقات مع صقلية
5- العلاقات مع الأندلس

تمهيد:

مما لا شك فيه أن العلاقات الثقافية بين الدول، من العوامل التي تغذي الحياة الفكرية، و تبعث فيها النشاط و التنوع و هي من الأمور التي تلجأ إليها الدولة بقصد منها، أو تحدث بعوامل أخرى لا دخل للدولة فيها إذ لا يمكن لأي دولة، مهما كانت، الاستقلال بفكر معين لديها دون أن تتأثر بالفكر الخارجي المحيط بها أو تؤثر فيه. فعملية التأثير و التأثر بارزة، و أبرز ما تكون في الدول العربية الإسلامية مشرقها و مغربها.[1]

و قد ساهم احتكاك الحماديين بالأندلسيين و الأفارقة و الصقليين و غيرهم إلى تفاعل الثقافات، مما ساعد في تشكيل الملامح الأساسية للشخصية الثقافية و ازدهارها و رقيها.

كما إن أهم ظاهرة يلحظها الباحث في دراسته للحياة الفكرية هي ظاهرة التنافس الثقافي بين المشرق الإسلامي و المغرب الإسلامي و الأندلس خاصة بين عواصمها، و اشتهار إن لم نقل تخصص كل حاضرة بلون معين من العلوم، و كان سبب نجاح هذا التنافس – كما رأينا في الفصل الأول– بالنسبة للحماديين رعاية أئمتهم للعلماء و المفكرين و تشجيعهم و إغداق الأموال عليهم.

و مما زاد في إشعاع الحركة الفكرية في الدولة الحمادية – بمركزيها القلعة و بجاية فيما بعد– إشعاعا فكريا هو تنقل طلاب العلم و المشائخ بين الحواضر الإسلامية في شكل بعثات و رحلات علمية.[2] حيث كانت للدولة الحمادية علاقات ثقافية وطيدة بعديد من الدول بالمغرب الإسلامي و المشرق و المدن الايطالية. ذلك أن دولة بني حماد كانت صفحة من ألمع صفحات الحضارة الجزائرية الإسلامية.[3] و لعل السؤال الذي يطرح نفسه:

– فما هي العلاقات الثقافية التي ربطت الدولة الحمادية – في مرحلة القلعة– بغيرها من الإمارات ؟ و ما مدى مساهمتها في الحياة العلمية تأثيرا و تأثرا؟

---

[1] – بحاز إبراهيم بكير:الدولة الرستمية – دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية،ط2،نشر جمعية التراث القرارة الجزائر،1993، ص382.

[2] – الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، المرجع السابق ، ص 141.

[3] – عويس: المرجع السابق، ص 281.

1- العلاقات مع الزيريين :

رغم العداوة التي ميزت طبيعة العلاقات بين بني زيري و بني حماد، إلا أنه في أثناء الفترات التي كان يسود فيها السلام و التصالح بين الدولتين، كانت العلاقات الثقافية تنتعش بين الطرفين.

فقد فضل عدد كبير من العلماء و الفقهاء و الأدباء و الشعراء و المفكرين الأفارقة البقاء في ديار بني حماد، خاصة بعد أن فتح لهم الأمراء الحماديون المجال و أجزلوا لهم العطاء، و استدعوهم إلى مجالسهم و مناظراتهم. [1]

و من هؤلاء نذكر ما يلي :

- ابن الكفاة القيرواني :

و هو الذي مدح الأمير الناصر بن علناس الحمادي، حيث قال :

قالت سعاد و قد زمت ركائبها # مهلا عليك فأنت الرائح الغادي

فقلت تا الله لا أنفك ذا سفر # تجري بي الفلك أو يحدو بي الحادي حتى أقبل ترب العز منتصرا # بالناصر بن علناس بن حماد[2]

- أبو الفضل النحوي التوزري:

و أصله من توزر، تعلم بإفريقية على أئمة كبار مثل " اللخمي " و " المازري" ثم قصد المغرب الأقصى، و كان متأثرا بآراء الغزالي، ثم انتقل إلى القلعة عام 494هـ/1100م و استقر بها و مارس مهنة التدريس في هذه المدينة، وكان شاعرا فاضلا و زاهدا قضى ثلاثة عشر عاما كلها في العبادة و التدريس، و توفي عام 513هـ/1119م.[3]

لقد ساعد هؤلاء العلماء و الفقهاء القادمون من افريقية على النهوض بالحركة العلمية و الثقافية في بجاية و الجزائر،و تلمسان و القلعة و مدينة المسيلة و غير ذلك من المدن الحمادية.

كذلك شجع بنو حماد في أشير و القلعة رحيل الطلاب و أبناء دولتهم إلى القيروان للتزود بالعلوم، و ذلك قبل الهجرات الهلالية و لاسيما بعد أن تم الصلح مع المعز بن باديس عام 408هـ/1080م.و من بين الشعراء الذين هاجروا إلى القيروان نجد :

---

[1] – الغنيمي : المرجع السابق ، ص365.

[2] – محمد الطمار: المرجع السابق، ص 142.

[3] – نفسه: ص141.

- أبو علي الحسن بن رشيق:

و هو من شعراء الدولة الزيرية ، و من أحد الفضلاء و البلغاء، ولد بالمهدية سنة (390هـ/1000م) و توفي سنة (463هـ -1071م) دخل القيروان و مازال بها حتى هجم عليها قبائل بني هلال.[1]

و اتصل بالأمير الزيري المعز بن باديس، و أصبح من شعرائه، ثم انتقل مع المعز إلى المهدية أثناء حصار بني هلال للقيروان.و يوجد لابن رشيق ديوان شعري يشتمل على مائتين و أربعة عشرة قصيدة .[2]

2- العلاقات مع الفاطميين:

استفاد الحماديون من الأوضاع التي كانت مواتية، فعندما انفصل المعز بن باديس عن الخلافة الفاطمية و اجتاحت القبائل الهلالية ملكه في افريقية[3]، أظهروا الطاعة للفاطميين التي أعلنها القائد، لكنها لم تكن بنية خالصة، و إنما هي مدارة سياسية فرضتها الظروف للمحافظة على دولته، هذا ما أثبتته إحدى الوثائق الفاطمية المعاصرة لهذه الأحداث ، مما يبرهن على الحنكة السياسة لبني حماد. فكانت هذه الطاعة للفاطميين تمثل حلقة في لعبة التوازن و تغيير المعسكرات، طبقا لتغيير الخصوم، و الاستفادة من وضع أبناء عمومتهم ، فضلا عن تجنب عقاب محتمل وقوعه على يد بني هلال.

و مهما يكن من أمر فقد استفاد الحماديون من هذا كله ليقيموا علاقات طيبة مع الفاطميين، مما أتاح لمدينة القلعة و بجاية فيما بعد احتلال مكانة القيروان التجارية و الفكرية في المغرب. خاصة بعد أن هاجر الناس إلى بلاد بني حماد بسبب الغزو الهلالي.[4]

و رغم ذلك لم تكن العلاقات الثقافية و الفكرية متصلة بين الفاطميين و الحماديين إلا نادرا ، و ذلك نظرا لاختلاف المذهبين الشيعي الإسماعيلي و المذهب السني المالكي.

---

[1] – محمد بن محمد الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، مج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985، ص72،73.

[2] – أحمد بن الخطيب(القنفد القسنطيني): معجم زمن الصحابة و أعلام المحدثين و الفقهاء و المؤلفين، ب ن ، بيروت، 1982، ص 268.

[3] – ابن خلدون : العبر ،ج6،ص 352.

[4] – أحمد حسن خضيري: المرجع السابق، ص .ص، 78، 79.

و بالتالي لم تشهد العلاقات الثقافية نموا و ازدهارا كبيرين إلا أن ذلك لم يمنع من تنقل العلماء، و الطلاب الذين كانوا يدرسون العلوم غير الشرعية مثل الطب و الفلك و الكيمياء و الرياضيات، فهذه العلوم لا تتصل بالمذهب الشيعي الإسماعيلي.[1]

و من بين العلماء الذين هاجروا إلى مصر نجد منهم :

- أبو عبد الله محمد القلعي الأصم:

خرج من قلعة بني حماد مهاجرا ، و أخذ ينتقل حتى وصل إلى الإسكندرية و أقام بها مدة زمنية ثم رجع إلى المغرب و عاش به زاهدا.

- أبو محمد عبد الله بن سلامة:

و هو فقيه و أديب، هاجر إلى القلعة ثم بجاية ثم إلى الديار المصرية ، و استقر به الحال بها .[2]

- أبو الحسن بن اليدوخ:

ولد بالقلعة و التحق ببجاية و كان طبيبا بارعا بالمغرب غادر المغرب الأوسط قاصدا المشرق، فجال في ربوعه و استقر في دمشق و بقي يعالج الناس حتى مات بها سنة (575هـ/1180م).

و خلف كتبا مهمة في الطب منها " حواشي على كتاب القانون لابن سينا " و كتاب " ذخيرة الألباب في الباءة ".[3]

و يرجع هذا الاحتكاك الثقافي إلى سياسة الفاطميين في مصر التي كانت تشجع أبناء المغرب للدراسة بالجامع الأزهر، أين كان يدرس المذهب الشيعي، و الذي كانوا يسعون لنشره لكن المغاربة لم يقبلوا على دراسة هذا المذهب.

3- العلاقات مع المرابطين:

لم تكن العلاقات بين بني حماد بالمرابطين ودية تماما، و إنما كانت تتخللها بعض المناوشات و الحروب الصغيرة، نتيجة اصطدام الحماديين بسياسة المرابطين التوسعية، فمن

---

[1] – الغنيمي: المرجع السابق، ص 371،372.

[2] – أحمد بن محمد أبو رزاق: المرجع السابق ،ص 215.

[3] – محمد الطمار: المرجع السابق، ص 162.

المعروف أن المرابطين بعد أن أقاموا دولتهم في المغرب الأقصى ، آثروا الانقضاض على المغرب الأوسط للقضاء على بقايا الزناتيين[1] لينصرفوا بعد ذلك لفتح السهول الشمالية باطمئنان.

و هكذا ساد العلاقات بين المرابطين و الحماديين توتر واضح المعالم، و لكنه لم يؤد إلى صدام مسلح بين الطرفين، و لعل ذلك يرجع إلى حد كبير إلى تماسك المرابطين بصلة القربى التي تجمع بينهما، و كان في وسع المرابطين أن يفرضوا سيادتهم الكاملة على دولة بني حماد.[2]

و رغم هذا فإن العلاقات الثقافية بين الحماديين و المرابطين كانت قوية و مرتبطة ارتباطا وثيقا ، ذلك أن العلماء كانوا يتحركون على طول المحور من الشرق إلى الغرب ، أي من القيروان إلى القلعة ثم فيما بعد من بجاية إلى فاس و مراكش ، أي من المدن الحمادية إلى مدن المغرب الأقصى طلبا للتدريس بعد أن غادروا القيروان.

بل أن كثير من العلماء استقروا بالمغرب الأوسط، ثم رحلوا مرة ثانية إلى المغرب الأقصى، و من بين هؤلاء ما يلي :

- محمد بن أصبغ بن أبي الدوس المكنى بأبي بكر:

ولد بمرسية و درس بها، ثم استقر في اشبيلية و عين مدرسا لأبناء المعتمد محمد بن عباد و من ألمرية انتقل إلى أغمات ثم تلمسان و مات بمراكش عام 511هـ/1117م.

- الشاعر و المؤرخ محمد بن حماد الصنهاجي:

ولد ببرج حمزة عام(478هـ/1058م) و قد ولي القضاء بالجزيرة الخضراء، و بالمغرب الأقصى.[3]

كذلك رحل الطلاب من بلاد بني حماد إلى بلاد المرابطين، حيث احتلت فاس مكانة القيروان، و كانت ذات شأن في الحياة الثقافية فذهب إليها المغاربة و المشارقة و نهلوا من علومها ما تسنى لهم.

و الواقع أن الصلات و الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط و المغرب الأقصى ظلت متماسكة، بدليل أن العلماء و الطلاب كانوا على اتصال دائم بينهم.[1]

---

[1] – نسبة إلى قبيلة زناتة أكبر القبائل الأمازيغية التي لعبت دورا هاما في بناء صرح تاريخ المغرب العربي أنظر : محمد بن عميرة : دور زناتة في الحركة المذهبية، ص15.

[2] – حمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر،1997م،ص ص ، 232،229.

[3] – ابن الخطيب: المصدر السابق ،ص 375.

4- العلاقات مع صقلية[2]:

من صور العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و صقلية استقرار بعض العلماء القلعيين الذين رحلوا من القلعة باتجاه افريقية، من أمثال علي بن عبد المعطي القلعي.

و من جهة ثانية زار بعض الأدباء و الشعراء الصقليين بلاد بني حماد من أمثال

- أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي.[3]:

الذي ولد بسرقوسة بجزيرة صقلية عام " 447هـ/1055م "، سافر على الأندلس عام 471هـ1079م ، ثم استقر ببجاية، حيث أصبح شاعر بلاط بني حماد.

بحيث كانت القلعة و بجاية مرفأ آمنا تتلقى الباحثين عن المعرفة، و فيها لقي ابن حمديس الصقلي كل الترحيب و التكريم.[4]

و من بين العلماء الذين قدموا إلى المغرب الأوسط أيضا من صقلية نجد :

- أبو عبد الله محمد بن ابي الفرج المازري المعروف بالذكي :

و هو صقلي الأصل، سكن قلعة بني حماد ، و تعلم بها الفقه و الأدب و علوم القرآن، كما درس على يد أبي الفضل النحوي و القاضي عبد الله بن داود ، ثم انتقل إلى المشرق.[5]

و هذا ما يعطينا صورة كافية للتدليل على وجود علاقات كانت بين علماء صقلية الإسلامية و وعلماء بلاد المغرب على وجه العموم.

5- العلاقات مع الأندلس :

انتقل علماء الأندلس إلى الدولة الحمادية، و شجع أهل المغرب الأوسط أبنائهم على تلقي العلوم على أيدي هؤلاء العلماء، مما أشاع جوا حضاريا و علميا لم تشهده البلاد من قبل خاصة بعد أن فسح المجال أمام هؤلاء العلماء لكي يشاركوا في حلقات الدروس في المساجد، و المدارس و لا سيما في جامعة سيدي التواتي التي كانت تضم حوالي ثلاثة ألاف طالب ، و كان يدرس بها

---

[1] – الغنيمي: المرجع السابق، ص 375.

[2] – هي عبارة عن جزيرة تقع في حوض البحر الأبيض المتوسط- بحر الروم- و هي أكبر جزر ذلك البحر، و تقع إلى الجنوب من إيطاليا و لا يفصلها عنها إلا مضيق صغير، و تبعد عن شمال إفريقيا بحوالي 165 كيلا و هي مثلثة الأضلاع تقريبا ، و تبلغ مساحتها 25815 كلم مربع ؛ محمد بن علي بن محمد الزهراني: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية 447/412هـ-1091/826م ، مركز بحوث العلوم الاجتماعية-جامعة أم القرى،السعودية،1996م،ص 31.

[3] – نفسه: ص 530.

[4] – عويس: المرجع السابق، ص284.

[5] – أحمد بن محمد أبو رزاق: المرجع السابق ،ص 265.

ما لا يقل عن عشرة من علماء الأندلس في مختلف العلوم كالطب و الهندسة .[1]و من العلماء الذين هاجروا من الأندلس إلى المغرب الأوسط نجد صنفين من العلماء :

منهم من هاجروا بغير إرادتهم كالنفي، و منهم الذين هاجروا بمحض إرادتهم و لم يختاروا الإقامة لا بالمغرب الأقصى و لا بالمغرب الأدنى لأسباب سياسية أو دينية متعلقة بالمذهب و العقيدة.

و من العلماء الذين قدموا إلى المغرب نذكر ما يلي :

- **أحمد بن عبد الله بن ذاكون المكنى بأبي العباس:** و هو أحد أبرز العلماء و كان يشتغل قاض قضاة الأندلس.

- **عمر بن عبيد الله بن زاهر.**

- **أحمد بن طاهر بن علي** و المكنى بأبي حفص القطبي.

- **عبد الملك بن مروان بن علي القطان:** الأندلسي الأصل ، و هو من مدينة قرطبة سكن بونة و درس بها الفقه و الحديث ، و ألف في شرح الموطأ.[2]

- **أحمد بن حصين بن احمد الأنصاري** : ولد بدانية عام (467هـ/1075م) ، و درس بهذه المدينة، انتقل إلى مدينة بلنسية و منها إلى ألمرية و عبر البحر إلى بجاية و منها إلى القلعة ، حيث درس على يد أبي مروان الحمداني و على المازري، ثم اتجه من القلعة إلى بجاية و درس بها على يد أبي محمد المقري ثم عاد إلى الأندلس و استقر بمسقط رأسه دانية حتى مماته (532هـ/1138م).

- **الشاعر محمد بن عيسى المكنى بأبي بكر المعروف بابن اللبانة** : تمتع بقدر عال من الموهبة خاصة في الشعر و الموشحات و الأزجال و الأدب ، فاتسعت ثقافته بفضل هذا الاحتكاك مع شخصيات مهمة منهم الأمراء.

و بعد التغيرات السياسية التي عرفتها الأندلس ضاعت شهرته، و قلت موارده و مداخيله المادية، و تجول في الأندلس و اتجه إلى المغرب الأوسط.[3]

---

[1] – أبو القاسم درارجة: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الاندلس، بحوث جامعة الجزائر، العدد21 ، 1994م ، ص170.

[2] – أحمد بن محمد أبو رزاق : المرجع السابق ، ص260.

[3] – أبو القاسم درارجة : المرجع السابق ،ص 174 ، 175.

بالمقابل نجد مجموعة من علماء القلعة و المغرب الأوسط ككل قد هاجروا إلى الأندلس إما للدراسة أو التدريس و نذكر منهم ما يلي :

- **حسن بن محمد بن سلمون المسيلي المكنى بأبي علي** : حيث سافر هذا العالم إلى قرطبة لمواصلة دراسته و تبحره في العلم.

- **عبد الله بن حمو المكنى بأبي محمد** : اتجه هذا العالم إلى المرية للتدريس، و بقي هناك مدة طويلة نقل خلالها كل معارفه و علومه إلى أبناء الأندلس حتى توفي عام(473هـ/1080م).

- **أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن ابراهيم الأزدي الإشبيلي** : و هو الفقيه و المحدث الحافظ، العابد ، الزاهد و القاضي ، من اشبيلية ، رحل إلى بجاية و اتخذها موطنا له ، وولي القضاء، و صلاة الجمعة بجامعها الأعظم و له كتاب في علم التذكير و ألف العديد من الكتب خاصة في علم الحديث.[1]

- **أحمد بن عبد السلام بن عبد الملك ابن موسى الغافقي المكنى بأبي العباس:** قدم إلى الأندلس و استقر بمدينة غافق التي انتسب إليها.[2]

- **ابن النباش أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خالد البجائي:** كان بارعا في الطب، و مواظبا على علاج المرضى و له معرفة بالعلوم الطبيعية، و له مشاركات في الفلسفة، ارتحل إلى مرسية و بها نفي مدة طويلة.[3]

و بعد هذه الرحلات المتبادلة من العلماء بين البلدين ظهر التأثير الأندلسي في المغرب الأوسط لاسيما في الشعر الصوفي و الغنائي مثل الموشحات ، و كذلك طرق التدريس و الإجازات العلمية، و أيضا في الخط العربي، خاصة الخط الكوفي الذي اعتنى به.[4]

و في الأخير يمكن القول أنه إذا كانت القلعة قد تبوأت مكانة حضارية عالية على وجه العموم، فإنها أيضا قامت بدور بالغ الأهمية في الميدان العلمي و الثقافي على وجه الخصوص، وذلك منذ الأيام الأولى لنشأتها، و بقيت كذلك تؤدي رسالتها العلمية حتى بعد نقل العاصمة إلى بجاية بفترة طويلة، و لم تفقد مكانتها العلمية بين سائر المدن الإسلامية آنذاك.

---

[1] – الغبريني : المصدر السابق ، ص 55.

[2] – أبو القاسم درارجة: المرجع السابق ، ص 180.

[3] – محمد الطمار : المرجع السابق ، ص 162.

[4] – أبو القاسم درارجة: المرجع السابق ، ص 186.

و لعل أصدق دليل على ذلك ما ورد في كتب المؤرخين من إشارات إلى بقاء بعض العلماء بها لمدة زمنية بلغت الأربعين سنة بعد نقل العاصمة الحمادية إلى بجاية مما يدل على أن القلعة لم تفقد مكانتها العلمية إلا بعد مرور فترة زمنية طويلة من تأسيس مدينة بجاية.ربما كان السبب في ذلك هو خراب المدينة نهائيا، و إلا لما فقدت مكانتها و استمرت في نشر العلم و المعرفة.[1]

و من هنا يمكننا أن نستنتج من خلال هذا الفصل ما يلي :

* ثبت أن قلعة بني حماد قد ربطت علاقات مع مختلف الشعوب و الأمم، ذلك أن أهلاها أيقنوا بقيمة و حقيقة التفاعل فنسجوا علاقات تفيدهم في تطوير الثقافة و المعرفة بها.

* تأثرت القلعة و أثرت بفكرها و فكر غيرها و هذا ما جعل منها بحق القاعدة الأولى لبني حماد و بلا منازع.

* ساعد الموقع الاستراتيجي للقلعة الرابط بين افريقية و المغرب الأقصى من جهة و الأندلس من جهة أخرى في ربط علاقات مع الأسر و الأمم المجاورة لها.

* ثبت أن الحماديين بالقلعة قد تأثروا بفكر بني عمومتهم بني زيري ، إن لم نقل أن الأرضية الخصبة التي انطلق منها بني حماد لبناء حضارتهم هو ما ورثوه من ثقافة و فكر زيري، بحكم القرب الجغرافي من جهة و بحكم هجرة العلماء بني زيري من القيروان إلى القلعة لحصانتها العسكرية و طلبا للأمن و الاستقرار، و هربا من زحف القبائل الهلالية.

* على وجه النقيض لم يحقق بني حماد بالقلعة اتصالا فكريا و ثقافيا كبيرا مع الفاطميين، بحيث لم تشهد العلاقات بينهم نموا كبيرا و هذا راجع للاختلاف المذهبي بين مذهب سكان القلعة المالكي السني و مذهب الفاطميين الشيعي الاسماعيلي.

* تمكنت القلعة من بناء علاقات مع المرابطين نتيجة قوة الاحتكاك الكبير، باعتبار أن القلعة كانت على محور و طريق هام يجوبه العلماء و طلاب العلم عند ارتحالهم من فاس و مراكش باتجاه القيروان.

* كما نسجت القلعة علاقات مع جزيرة صقلية الإسلامية رغم البعد الجغرافي بطريقة أو أخرى، من خلال هجرة علماء صقليين إليها و صاروا يتصدرون مجالس علمها و حتى بلاطات أمرائها، كما ارتحل علماء قلعيين إلى افريقية و منها إلى صقلية و ساهموا في حضارتها.

[1] – الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، المرجع السابق ، ص 95.

* أما مع الأندلس فكان حظ القلعة و بجاية أكثر، فقد أثر علماء الأندلس بشكل ملفت للانتباه في فكر و ثقافة المغرب الأوسط، و يظهر جليا في هجرة العشرات منهم إلى القلعة و بجاية فأشاعوا بذلك جوا حضاريا و علميا لم تشهده بلاد المغرب من قبل.

الفصل الخامس:

اضمحلال القلعة و انتقال الدولة إلى بجاية

1- اضمحلال دور القلعة

2- انتقال الدولة لمدينة بجاية

3- ملوك بني حماد ببجاية

4- وزراء بني حماد ببجاية

1- اضمحلال دور القلعة:

لقد بقيت حدود الدولة الحمادية في فترة القلعة في حدود التي غلبت على فترة الدولة كلها، بعد إعلان الصلح بين المعز و حماد سنة (408 هـ / 1017 م) لكن في حدود اليقظة ضد الأعداء الكثر الذين لا يسمحون للدولة إلا بهذه الحماية كزناتة والمرابطين في المغرب و الزيريين في الشرق، و القبائل العربية التي في المغربين الأوسط و الأدنى معا .

و في هذه الفترة يمكن القول بأن الحد الشرقي للساحل الجزائري هو بونة و الحد الغربي الساحلي كان عند السيق و في الجنوب ورقلة .

لكن في منطقة الغرب الممتد بين الساحل و الجنوب و التي تقع فيها عمالة وهران و لم تكن محاولات السيطرة على بعض أجزاء من تونس إلا محاولات عقيمة لأن مشاكل الدولة كانت كثيرة.[1]

و قد تعرضت القلعة لبعض الهزات ، فقد حاصرها المعز بن باديس لمدة عامين حين إختلف مع القائد بن حماد سنة (432 هـ / 1040 م) ثم تصالحا وانصرف المعز عنها.[2]

و في سنة (457 هـ /1064 م) على عهد الناصر بن علناس تعرضت لغارات بني هلال المتعاونين مع تميم بن المعز حاكم تونس الزيرية .

و رأى الناصر أن القلعة قد أصبحت مدينة منهوكة القوى مكشوفة للمغيرين فابتنى بجاية وانتقل إليها سنة (461 هـ / 1069 م).[3]

2 – انتقال الدولة لمدينة بجاية:

تمثل مرحلة بجاية في تاريخ الدولة مرحلة التحضر و الانفتاح و الهدوء والاتساع كما أنها تمثل الشوط الأخير الذي انتهى بسقوط الدولة ذلك الشوط الذي امتد سبعة وثمانين عاما .

و يرجع التفكير في بناء بجاية لدى الناصر إلى عدة أسباب إختلف حولها المؤرخون لكن الطابع العام هو أنها أسباب ترجع إلى ظروف طارئة و ليست أسباب خاضعة لتخطيط مسبق(1).[4]

و يرى الرأي الأول في سبب بناء بجاية أن النتائج التي أسفرت عنها موقعة سبيبة التي هزم فيها الناصر بن علناس سنة (457 هـ /1064 م) أمام أبناء عمومته أصحاب تونس ، و نتيجة

---

[1] –عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 96.

[2] –ابن الأثير، المصدر السابق ، ص 492.

[3] –رابح بونار ، المرجع السابق ، ص 210.

[4] -عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 99.

خيانة القبائل العربية له كانت السبب في التفكير في بناء بجاية و يذهب إلى هذا الرأي ابن الأثير[1] و بعض المتأخرين.[2]

و يضيف ابن الأثير و ياقوت إلى هذا السبب رأيهما في أن بناء بجاية مرتبط بقصة الصلح بين الناصر الحمادي و تميم بن المعز بعد موقعه سبيبة، أو بقصة خيانة ابن البعبع أحد رجال تميم له، فإن الناصر كان قد ندم على تورطه في الحرب ضد بني عمومته، و مال إلى الصلح معهم وقد قابل المعز بن تميم عرض الصلح بموقف إيجابي، فأرسل أحد رجاله يدعى ابن البعبع إلى ابن عمه الناصر بن علناس و معه شروط الصلح، لكن المرسول خان تميم وإنضم إلى الناصر، و وعده بمساعدته في إمتلاك أملاك تميم وأظهر له نقاط ضعف دولة ابن عمه واقترح عليه بناء بجاية.[3]

و يرى الرأي الثالث، أن الناصر بن علناس، الذي تولى الحكم بعد قتله للأمير السابق له، بلكين بن حماد، لذلك كره مجاورة بني حماد الذين يميلون إلى بلكين في القلعة، التي كان يسكنها حوالي اثنا عشرة ألف فارس صنهاجي.[4]

وهناك آراء أخرى يرى البعض أن بناء بجاية يرجع إلى مجرد الخوف من الهلاليين، كما يرى البعض أن بناء العاصمة الثانية يرجع إلى الصدفة إذ أن الناصر كان يمر في طريقه إلى القلعة فأعجبته ضيعة صغيرة لصنهاجة تدعى بجاية. [5]

و الرأي الأنسب و الأكثر ترجيحا لنقل العاصمة من القلعة إلى بجاية هو خراب القلعة كنتيجة لموقعة سببية، لأنها كانت باعثا قويا في التفكير في بناء عاصمة جديدة يمكن أن تلعب دورا جديدا تتطلبه ظروف الدولة، إذ أن هذا الرأي له صلة بالتعليلات التي وردت بعد ذلك، و لا يوجد ثمة تنافر بينهما ففي فترة التفكير في موقع العاصمة الجديدة، يمكن أن تكون قصة البعبع قد حدثت، و نحن نرجح صحة حدوثها، و يمكن أن يكون الناصر قد شارك ابن البعبع الرأي و تفقد

[1] –ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 46.

[2] –عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، بيروت ، دار منشورات الحياة ،ط2 ، 1314 هـ ،1965 م ،ج1 ، ص 369،370.

[3] –عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 100.

[4] –ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 94 .

[5] –نفسه ، ص 94 .

المكان بنفسه، كما أنه لا شك أن من أهداف العاصمة الجديدة حماية الدولة الحمادية من غارات الهلاليين، و إتاحة مكان أفضل بالنسبة لمنافسيها في تونس.[1]

كان المكان الذي تقع فيه بجاية موقعا لمدينة أسسها الفينيقيون تعرف باسم صلدة ثم إنتقلت إلى الرومانيون و عرفت باسم صلداي، أما في العصر الإسلامي لم يكن لها شأن و ربما كانت عبارة عن قرية صغيرة تسكنها قبيلة تسمى بجاية (بوجي).

و من الواضح أن الناصر إختار بناء بجاية في هذا المكان لم يكن إلا نتيجة لما تتمتع به المنطقة من مناخ، فهي على شكل مثلث قاعدته الميناء أو البحر على ساحله وكل الطرق المؤدية إليها وعرة إلا الطريق الغربي فهو سهل المسلك و تقع بين مدينتين مهمتين هما قسنطينة والجزائر وتطل على خليج يحميها من ثوران البحر كما تتمتع المدينة بنهر كبير يسمى الواد الكبير.[2]

وعندما شرع الناصر في بنائها سنة (460 هـ / 1067 م) إجتذب إليها عددا كبيرا من المساكن إذ كان يعفي جميع سكانها الجدد من الضرائب، و كان يجبر الأهالي على بناء المساكن، كما كان يفرض على كل من يدخل هذه المدينة أن يجلب معه حجرا أو يدفع قطعة ذهب[3]، و لما تم بناؤها أطلق عليها الناصر اسمه فأصبح اسمها الناصرية لكن الاسم الذي غلب هو الاسم القديم بجاية المسند إلى قبيلة سكنها هي قبيلة بجاية.[4]

و في العام الثاني (461 هـ /1068 م) إنتقل الناصر إليها و بدأ يقوم بعملية تحضير شاملة لها، فأنشأ بها دار للصناعة و الأساطيل و المراكب و أنشأ السفن حتى صارت عين بلاد بني حماد، و نسقها تنسيقا بديعا.[5]

و في عهد خليفة الناصر (المنصور بن الناصر) إستمرت عملية تحضير المدينة[6] ونقل إليها كثيرا ما كان في القلعة[7] و ما زاد من أهمية المدينة هو وفد الكثير من الهاربين من إفريقية ، بعد خراب القيروان و هزيمة المعز بن باديس أمام هجمة الهلاليين[8].

---

[1] –إسماعيل العربي ، المرجع السابق، ص189

[2] –عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 102 ، 103.

[3] –اريتريا أكدرية ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مركز الشارقة الإبداع الفكري ،ط1 ، 1418 هـ ،1918م، ج3، ص 351.

[4] –ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ط2 ، 1995 م ، ج2 ، ص 62.

[5] –عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 104.

[6] –اريتريا – أكدرية ،المرجع السابق ، ص 151.

[7] –أحمد توفيق المدني ، عباب الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 م ، ص 24.

[8] –عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 104.

و لما كانت سنة 538 هـ إقتلع يحيى الحمادي من القلعة كل ما كان بها من أدوات الزخرف و نقلها إلى بجاية فزينها بها، و يعتبر عهد يحيى الحمادي (515 هـ -548 هـ / 1121م - 1152م) قمة ما وصلت إليه بجاية من تطور حضاري.

ومع كل الظروف التي سادت آنذاك فقد كانت حدود الحماديين في عهد بجاية هي أكبر حدود وصلت إليها الدولة لاسيما من الناحية الشرقية إذ قدر لها أن يصل نفوذها إلى القيروان وتونس، كما أنها قد أوقفت المرابطين عند تلمسان، واضطروا إلى التراجع عن وهران وتنس بعد أن وقفوا على مشارف مدينة الجزائر، و تم عقد سلام أدبي بين المرابطين والحماديين لاسيما بعد إضمحلال المرابطين سنة (500 هـ / 1106 م) وموت يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين .

وانتهى ذلك كله بظهور الموحدين الذين قضوا على كل القوى التي تحكم المغرب[1].

3- ملوك بني حماد ببجاية:

3-1- الناصر بن علناس : (454 هـ - 481 هـ / 1062 م - 1089 م)

يعد الناصر خامس ملوك بني حماد و أعظمهم ملكا و أبعدهم صيتا ، كان حازما جوادا ، عالي الهمة، مرهوب الصولة، قهر الثوار في مختلف الجهات، و بلغ نفوذه إلى وركلان[2] (ورقلة) و كان يقول عنه لسان الدين الخطيب جريئا على سفك الدماء، شديد الغيرة على النساء و له في ذلك أخبار مشهورة و هو الذي بنى بجاية[3].

قال عنه ابن خلدون: بلغت جنوده إلى وركلان و ولى عليها، و أخضع بسكرة ونواحيها، وأسس بجاية سنة460 هـ، و بنى بها قصر اللؤلؤة و كان من أعجب قصور الدنيا و نقل الناس إلى بجاية، و أسقط الخراج عنهم[4]و في أيام حكمه هذا عظمت دولة الحماديين وبلغت أوج عظمتها و في ذلك يقول ابن خلدون أيضا و في أيام الناصر هذا كان إستفحال ملكهم وشغوفه على ملك ابن باديس إخوانهم بالمهدية لما أضرع منه الدهر بفتنة العرب الهلاليين وبفتنة النورمان[5] حتى اضطرب عليهم أمرهم، وكثر الثوار منهم عليهم، فاعتزل آل حماد هؤلاء أيام

---

[1] -عبد الحليم عويس، المرجع السابق ، ص 106.

[2] -وركلان : واحة ومدينة تقع في جنوب بسكرة .

[3] -ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 96 .

[4] -ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 205 .

[5] -النورمان : امة جرمانية قديمة كانت بالسويد و النرويج ثم هجمت على أوربا الشمالية و الغربية ، واستطاعت أن تأخذ صقلية في ق 5 م .

الناصر هذا وعظم شأنه فبنى الموثقة، وشيد المدائن العظيمة، ورد الغزوات إلى المغرب و توغل فيه إلى أن هلك سنة (481هـ / 1089 م)، و كان نفوذه واسعا وحدود مملكته تشمل صفاقس وقسنطينة و القيروان و تونس وغيرها[1] .

وطد الناصر سلطانه شيئا فشيئا، وجذب إليه حلفاء لهم شأنهم، ودان له بالولاء ملك صفاقس الصغير، حمو بن مليل، و مقدم قسنطينة، و طلب منه وفد من الشيوخ التونسيين أن يقيم واليا، فكان هذا الوالي هو عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان أول أمير خراساني يحكم تونس هو مجلس من الشيوخ، و غزا الناصر إفريقية على رأس حلف جليل الشأن ضم الأثبج، و لكن قبيلتي تميم و رياح أبليا في الدفاع بلاء تسبب في أن تلحق عند سبيبة (بين القيروان و تبسة) هزيمة لا تقل فداحة عن تلك التي مني بها المعز بن باديس في حيدران، وانتشرت الفوضى والدمار في المغرب الأوسط من أقصاه إلى أقصاه، فذاق وقتذاك من الشروط ما لقيته افريقية لسنوات وانتهت الهزيمة الساحقة لقبيلة صنهاجة في سبيبة سنة (457 هـ / 1065 م) بتولي الهلاليين الحكم في جميع أنحاء بلاد البربر الشرقية، في حين بقي سلطان قبيلة رياح في إفريقية و سلطان الأثبج في المغرب الأوسط، و كما اضطر بنو زيري إلى تسليم القيروان، و التقهقر إلى المهدية ، فكذلك فقد بنو حماد سيطرتهم على القلعة و تقهقروا إلى بجاية و سموها الناصرية باسم مؤسسها الناصر الذي مكن لنفسه فيها بعد فترة وجيزة من سنة (461 هـ/ 1068 م – 1069م).[2]

إنتعش سلطان بني زيري و بني رياح حين إستوليا على تونس الخراسنية سنة (459 هـ– 460 هـ /1067 م) و أراد إحباط هذه المحاولة فسير الأثبج للهجوم على إفريقية سنة (460هـ /1067م – 1068م) فاستولى على لربة، ثم كان للناصر على وجه التأكيد بعض الشأن في بيع القيروان على يد قبيلة زغبة حوالي سنة (470 هـ / 1077م – 1078م) وهي السنة التي عقد فيها حلف بين بني زيري و بني حماد، و تزوج الناصر ابنة تميم، واسمها بلارة.[3]

و قدر لهذا للسلام أن يبقى حتى نهاية حكم تميم سنة (501هـ/ 1108 م) و هو يعد ذروة ما بلغه بنو حماد من سلطان على أبناء عمومتهم البادسية، الذين قهرهم الغزو الهلالي وقاد الناصر عددا من الحملات إلى المغرب، و عقد أحلافا مع شيوخ لقبيلة ذات الشأن، وهو بنو ماخوخ،

[1] –ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 206 .

[2] –عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 128 .

[3] –بلارة : هي ابنة تميم بن المعز ، و قد تزوجها الناصر بن علناس سنة 470 هـ .

واضطر في مناسبات كثيرة إلى أخذ قبيلة زناتة بالشدة حين إنضمت إلى العرب في غارات لقطع الطريق[1].

و أمضى الناصر آخر حياته ينعم بانتظام مملكته بعض الإنتظام ، و يشاهد إحتلال مملكة بني عمومته بإفريقية إلى أن وافته المنية بظاهر بجاية يوم الجمعة 7 جمادى الأولى سنة (481 هـ / 1089 م) فحمل إليها و دفن بها[2].

3 – 2 – المنصور بن الناصر (481 هـ – 498هـ / 1089 م – 1105 م) :

جلس على عرش المملكة الحمادية، بعد وفاة أبيه رغم حداثة سنه لكنه اتبع خطوات أبيه بحزم .

صفاته: كان فاضل الأخلاق كريم الشيم، عزيز النفس، حازما، ساس أمور الدولة سياسة رشيدة ن و صالح المرابطين و صاهرهم فحمدوا سياسته[3].

قال لسان الدين الخطيب انه كان على أمره، حميد الخصال، ضابطا لأموره، يكتب ويشعر، و يذهب في أموره مذهب أبي جعفر المنصور، من رقع الثياب والمحافظة على القليل من الأشياء، و قدم عليه معز الدولة ابن حماد فارا من المرابطين لما أخذوا المرية منه، فأكرمه وأقطعه تدلس و أسكنه بهما[4].

و أما ابن خلدون فانه قال عنه: إنه كان مولعا بالبناء و تشييد المصانع، وإتخاذ القصور و إجراء المياه في الرياض و البساتين، فبنى في القلعة اللؤلؤة و قصر أميمون[5] وتقدم أن الذي بنى قصر اللؤلؤة إنما هو الناصر، و لعل المنصور بنى هذا القصر في القلعة و الناصر بناه في بجاية .

كما يرى ابن خلدون أيضا انه كان أول من أمراء دولته في إصدار السكة وكان هو الذي مدن مملكة بني حماد، التي كانت حتى الحين شبه بدوية تفتقر إلى ما بلغه بنو باديس أصحاب القيروان من تمدين و تهذيب[6].

---

[1] –اريتريا أكدرية ، المرجع السابق ، ص 4291 .

[2] –رابح بونار ، المرجع السابق ص 212 .

[3] –نفسه ، ص 212 .

[4] –ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 97 .

[5] –ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 206 ، 207 .

[6] –نفسه ، ص 207

و ثار عليه عمه بلباز والي قسنطينة فحاربه و قهره، كما غار عليه أبو يكنى ابن محسن من أسرته سنة (487 هـ / 1094 م)، فحاربه و قضى على ثورته، و ثار عليها أعراب بني هلال فحاربهم و أخضعهم، و طمع المرابطون في تلمسان فهاجموها وإحتلوها وزحف إليهم ليخرجهم منها، و حاصرهم حتى توسطت في الصلح بينه وبينهم زوجة ابن تاشفين الذي تربطه بها رابطة الرحم و النسب،فضل الصلح وجنح للسلم.

وما لبث المرابطون أن خرجوا على هذا السلام، وأجبروا مرة أخرى على الإنسحاب ولكن المنصور مني من بعد بالهزيمة على يد قبيلة زناتة، وبني ماخوخ واضطر إلى الإنتقال إلى بجاية ولم يقنع بقتل أخت ماخوخ، بل أنزل بهم إنتقاما آخر إذ نهب تلمسان سنة (496 هـ / 1103 م)[1] و شهدت السنة التالية نهاية العداوة بين بني حماد و المرابطين ، فقد أبرموا فيما بينهم معاهدة السلام ، وأتاحت هذه المعاهدة للمنصور أن ينصرف إلى قمع قبيلة زناتة صاحبة المغرب الأوسط[2] التي خاض ضدها معارك كان فيها رجلا مضفرا و عاش هذا الملك عظيما في سلطانه إلى أن توفي سنة (498 هـ / 1105 م)[3].

3 – 3 – باديس بن المنصور (498 هـ – 498 هـ / 1105 م – 1105 م) :

كان باديس هذا ذا سطوة شديدة، شجاعا متهورا، قتل وزير أبيه قائد بجاية[4] و توعد أمه بالقتل، و لم تطل مدته لينجز هذه الجريمة فتوفي في 13 ذي القعدة سنة (498 هـ / 1105 م) و يقال أن أمه هي التي سممته لأنه كان يتوعدها و يتهددها[5] وأين كانت أسباب موته فهو لحسن الحظ أن طغيانه الدموي لم يستمر سوى أقل من سنة واحدة.

3 – 4 – العزيز بن المنصور (498 هـ – 515 هـ / 1105 م – 1125 م):

كان العزيز بجيجل عند وفات أبيه وقدم إلى بجاية واستقل بالمملكة، لم يكن مثل أخيه باديس، فقد نعم بفترة طويلة سادها السلام أظهر فيها من العزم و الحزم، و حسن السياسة، و بعد النظر، و كان يسره الاستماع و الاستمتاع بصحبة رجال القانون[6].

---

[1] –نفسه ، ص 207 ، 208 .

[2] –رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها ، ص77 .

[3] –زهير إحدادن ، شخصيات و مواقف تاريخية ، الجزائر ، دار التراث للنشر و التوزيع ، 2002 م ، ص54 .

[4] –إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 204 .

[5] –ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 208 .

[6] –رابح بونار ، المرجع السابق ، ص 213 .

قال ابن خلدون مادحا سياسته: صالح زناتة و أصهر إلى ماخوخ فأنكحه ابنته وطال ملكه في هدوء و أمن، و كان العلماء يتناظرون في مجلسه، وغزت أساطيله جربة، فنزلوا على حكمه و أخذوا بطاعته ونازل تونس حتى أخضع أحمد بن عبد العزيز الخراساني لنفوذه[1]، و بلغت دولة بني حماد على عهده منزلة سامية في رقيها العلمي والحضاري، وهاجم الأعراب القلعة على عهده فحاربهم وأخضعهم ولكن القلعة أخذت في التدهور والإنحلال بعد ذلك[2] و في عهده وصل المهدي بن تومرت إلى بجاية قافلا من المشرق سنة (512 هـ / 1122 م).

واحتسب بها فسعى به إليه ، وائتمر به فخرج إلى بني ورياكل من صنهاجة و نزل عليهم بملالة، و أقام بها يدرس العلم و طلبه العزيز فمنعوه و قاتلوا دونه و هناك إلتقى بعبد المؤمن وارتحل معه إلى المغرب و دام العزيز في حكمه حتى توفي سنة (515 هـ / 1125 م)[3].

3 – 5 – يحيى بن عبد العزيز (515 هـ – 547 هـ / 1125 م – 1156 م):

كانت جيوش هذا الملك قوية، وأسطوله البحري عظيما، وقد حاول أن يفتح به المهدية فأخفق لحصانتها، وهاجم تونس فاحتلها، وإعتقل صاحبها أحمد بن عبد العزيز، ونقله إلى بجاية وولى عليها من قبله عمه كرامة بن المنصور وفي سنة (543 هـ / 1152 م)[4] وإستطاع النورمان أن يفتحوا المهدية لخلوها من الحامية، فانفصل الحسن الزيري الصنهاجي عنها، و توجه إلى بجاية فاستقبله القائد ابن العزيز بالترحيب، ثم ذهب إلى الجزائر تحت الرقابة حتى لا يلتحق بعبد المؤمن الموحدي ذاع صيته، و إتسع نفوذه[5] .

و لبثت دولة بني حماد قوية بعض القوة حتى هاجمها عبد المؤمن وإحتل عاصمتها بجاية (547 هـ / 1125 م) كما ملك مدن أخرى كانت بأيديهم مثل بونة والجزائر بني مزغنة، وقسنطينة، وأخذ يحي صاحبها إلى مراكش[6].

---

[1] –ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 208 ، 209 .

[2] –رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 81 .

[3] –رابح بونار ، المرجع السابق ، ص 213 .

[4] –إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 218 .

[5] –رابح بونار ، المرجع السابق ، ص 214 .

[6] –ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ، بيروت ، دار المسيرة للصحافة و الطباعة و النشر ، ط 3 ، 1993 م ، ص 138 .

و كان يحيى كما قال عنه لسان الدين الخطيب: فاضلا، حليما، فصيح اللسان والقلم، مليح العبارة، بديع الإشارة، وكان مولعا بالصيد مغرما به كما كان يحب اللهو والمضحكات في مجالسه[1] وعاش تحت كنف عبد المؤمن بعد سقوط دولته[2] إلى أن توفي بمراكش سنة (558 هـ / 1167 م)[3].

و أما ابن خلدون فإنه قال فيه أنه طالت أيامه مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد على حين انقراض الدولة، وذهاب الأيام بقبائل صنهاجة وإستحدث السكة ولم يستحدثها أحد من قومه، تأدبا مع خلفائهم العبيديين، وكانت سكته ثلاثة اسطر، وفي الوجه الآخر بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة (543 هـ / 1152 م)، و كان من أشهر قادته مطرف بن علي بن حمدون وهو الذي فتح له تونس، ولما هاجم الموحدون مملكته وعاصمته بجاية سنة (547 هـ / 1156 م) تغلبوا عليه وقضوا على دولته ونقلوه معهم إلى مراكش[4].

بعد نقله إلى مراكش توفر ليحيى من الفراغ ما أنفقه في الصيد الذي كان هوايته المفضلة ، و تبع عبد المؤمن إلى تسالة سنة (548 هـ / 1153 م – 1154 م) و قضى آخر أيام حياته فيها و توفي سنة (557 هـ / 1161 م – 1162 م)[5].

4- وزراء بني حماد ببجاية :

لقد تولى جهاز الدولة أو شؤون الحكم (الخارجية والداخلية) العامة مجموعة من الوزراء و يبدوا أن هؤلاء كانوا يختارون لكفاءتهم بالدرجة الأولى ولإرتباط مصير الدولة بهم، و لذا فأكثر هؤلاء من غير الحماديين[6] .

إن أول وزير حمادي ذكره المؤرخون هو وزير محسن بن القائد الذي قتل عندما إعتلى بلكين بن محمد العرش ، و لكن يجهل اسمه بينما نعرف أن وزير بلكين بن محمد كان يسمى خلف بن أبي حيدرة فكان من دون شك وزير سيف حيث قمع ثورة أهل بسكرة، فقتله الناصر عندما تولى

---

[1] –ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 99 .

[2] –عبد الواحد بن علي المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1419 هـ ، 1998 م ، ص 145 .

[3] –ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 210 .

[4] –ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 209 ، 210 .

[5] –اريتريا أكدرية ، المرجع السابق ، ص 4295 .

[6] –عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 206 .

الحكم[1] وعين مكانه أبا بكر بن أبي الفتوح[2] الذي كان وزير قلم لأنه عهد إليه بالمراسلة بين الناصر وتميم بن المعز، فقتله الناصر[3] كما قتل باديس وزير أبيه المنصور عبد الكريم بن سليمان[4].

و لم يذكر المؤرخون وزير للأمير العزيز، و لكن القائد علي بن ميمون الذي نصبه على العرش ربما كان هو الذي قام مقام وزير[5].

و لعل أبرز هؤلاء الوزراء على الإطلاق "بنو حمدون"[6] الذين إستبدوا بالدولة طيلة عهد يحيى و كان لهم دور كبير في سقوطها[7] لأن سلطتهم آنذاك كانت مطلقة وذلك لأن الملك يحيى[8] و حسب تعبير لسان الدين الخطيب كان مولعا بالصيد مغرما به، كلفا بالملهمين فكان يستلقي في بيته على العرش، و يستدعي المضحكين و جوارح الصيد فلا يزال كذلك إلى أن ينام ثم يغتدي إلى الصيد[9].

و إلى جانب هؤلاء كانت بعض الأسر تحكم بعض الولايات في ظل الحكم الحمادي ومن هؤلاء " بنورمان "[10] و كانوا يتوارثون حكم الجنوب في عاصمتهم بسكرة قاعدة الزاب تحت النفوذ الحمادي كما خضع لهم " بنو خراسان " في مدينة تونس و ضواحيها في فترات متقطعة[11] والجدير بالذكر أن شؤون وزراء هذه المملكة و دواليب الحكم فيها غامضة للغاية.

و إلى هنا يمكننا أن نستنتج:

إننا لا نستطيع أن نزعم أن ثمة حدود مادية أو زمنية تفصل بين أطوار حياة الدولة الحمادية، فالإنتقال من طور التحضر الذي برز منذ الناصر ليس من السهل فصله عن مرحلة

---

[1] –رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 221 .

[2] –ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 204 .

[3] –رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 221 .

[4] –مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 198 ، 199 .

[5] –رشيد بورويبة و آخرون، المرجع السابق ، ص 121 .

[6] –ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 209 .

[7] –عبد الحليم عويسي ، المرجع السابق ، ص 206 .

[8] –رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 212 .

[9] –ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 99 .

[10] –بنو رمان : و يمكن أن نقرأها "رمان " من ذرية السكان اللاتنيين الذين مكثوا في إفريقية .

[11] –عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 206 ، 207 .

الصراع مع الأعداء المحيطين بالدولة، ومحاولة البناء الداخلي، إذ أن مرحلة الصراع كانت التمهيد الطبيعي لإبراز الدور الحضاري، كما أنه لا يمكن القول بأن مرحلة الصراع السياسي قد خلت من كل خصائص مرحلة الإتجاه إلى التحضر أو أن مرحلة التحضر قد خلت من كل خصائص مرحلة الصراع و الأمر نفسه بالنسبة لمرحلة القابلية للإنهيار.

الخاتـــــمة

الخاتمة :

من خلال استعراضنا لموضوع الحياة العلمية في قلعة بني حماد، و بعد اطلاعنا على المصادر و المراجع المتخصصة، استطعنا الوصول إلى الاستنتاجات التالية:

* أن حضارة مدينة القلعة كانت و لا تزال من أرقى الحضارات المغربية في القرن الخامس الهجري و حتى النصف الأول من القرن السادس الهجري، كما أنها جزء لا يتجزأ من الحضارة الحمادية.

* كان للأوضاع العامة التي سبقت ميلاد الدولة بالقلعة الأثر الكبير في بعث الحياة العلمية الممثلة في النشاط الفكري، ذلك أنها كانت بمثابة الأرضية الخصبة لتشييد صرح الحضارة الحمادية، و الذي تجلى في استفادة الحماديين من التراث الفكري للدولة الزيرية أبناء عمومتهم من جهة، و ما حمله الفاطميون لبلاد المغرب من جهة ثانية.

* ثبت أن الفترة التي ظهرت فيها دولة بني حماد بالقلعة عرفت بعصر الازدهار الثقافي و الوعي السياسي الكبير لقبيلة صنهاجة البربرية التي ستؤدي أدوارا متعددة في بناء صرح الحضارة و كتابة تاريخ المغرب بأحرف من ذهب.

* ساهمت شخصية حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي و أمراء بني حماد الذين خلفوه ، في بناء دولة محبة للعلم ، تشجع و تحفز العلماء و أهل الفكر و تستقطبهم نحوها.

* عرفت قلعة بني حماد ازدهارا ثقافيا كبيرا، فقد تظافرت مجموعة من العوامل مكنت القلعة من أن توفر مناخا ثقافيا يشجع على التطور الفكري و النهوض الحضاري في تلك الفترة، حيث استخلصنا عدة أسس ساهمت في ذلك منها :

العامل الديني الممثل في الإسلام الذي يعتبر أكبر محفز على طلب العلم، كما كان للجهود السياسية من استقرار سياسي و استتباب الأمن بالقلعة، و دور الأمراء الحماديين الذين أجزلوا العطاء للعلم و أهله ، كما شجعوا العلماء و قربوهم من بلاطات حكمهم أثره على التطور الثقافي و العلمي بالقلعة.

كما يرد الفضل الكبير لحالة الانتعاش الفكري للتركيبة البشرية لسكان القلعة التي طعمت بعناصر من الأندلس و القيروان و حتى صقلية، هذا التمازج و الاحتكاك ولد حيوية ثقافية بالقلعة.

كما لا ننكر دور الموقع الاستراتيجي للقلعة بين حواضر المغرب و توسطها، و مرور طرق التجارة بها، كما كان لزحف القبائل الهلالية أثارا ثقافية على القلعة من نشر اللغة العربية و تعريب البربر.

* تمكنت قلعة بني حماد من أن تتبوأ مكانة كبيرة ، حيث أصبحت تضاهي عواصم الفكر و الثقافة مشرقا و مغربا، بحيث صارت مركزا علميا هاما آنذاك ، بفضل المؤسسات العلمية التي ظهرت بها حيث كثرت المساجد و الكتاتيب و الزوايا و المكتبات، هذه المراكز و دور العلم غذت العقول و أنتجت العلوم و أثمرت عددا لا بأس به من العلماء القلعيين.

* صاحب تعدد مراكز العلم بالقلعة إنتاج علمي وفير من خلال ما خلفه و أنتجه علماؤها أو العلماء الذين وفدوا إليها و استقروا بها، من علوم نقلية و عقلية نافسوا بها غيرهم من علماء المغرب و المشرق.

* اشتهر بالقلعة و عرف بها جمع كبير من العلماء و الأدباء و الشعراء و الرياضيين، كان لهم الفضل في رقي الحضارة الحمادية بالقلعة أولا ثم ببجاية ثانيا.

* كما نلاحظ أن الثقافة الحمادية بالقلعة لم تنغلق على نفسها، بل كان أهلها مدركين لأهمية و حقيقة التفاعل الثقافي مع غيرهم من الشعوب و الأمم، فربطوا علاقات و أثروا بفكرهم و تأثروا بفكر غيرهم، و ساهموا في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية من جهة و المتوسطية و العالمية من جهة ثانية.

في الختام نأمل أن نكون قد وفقنا إلى إضافة لبنة جديدة في التاريخ الوطني و لو بالشيء اليسير بإماطة اللثام عن البوادر الأولى للرقي الحضاري و الازدهار العلمي لقلعة بني حماد في العصر الوسيط.

الملاحـــــق

الملحق رقم 01: موقع قلعة بني حماد.[1]

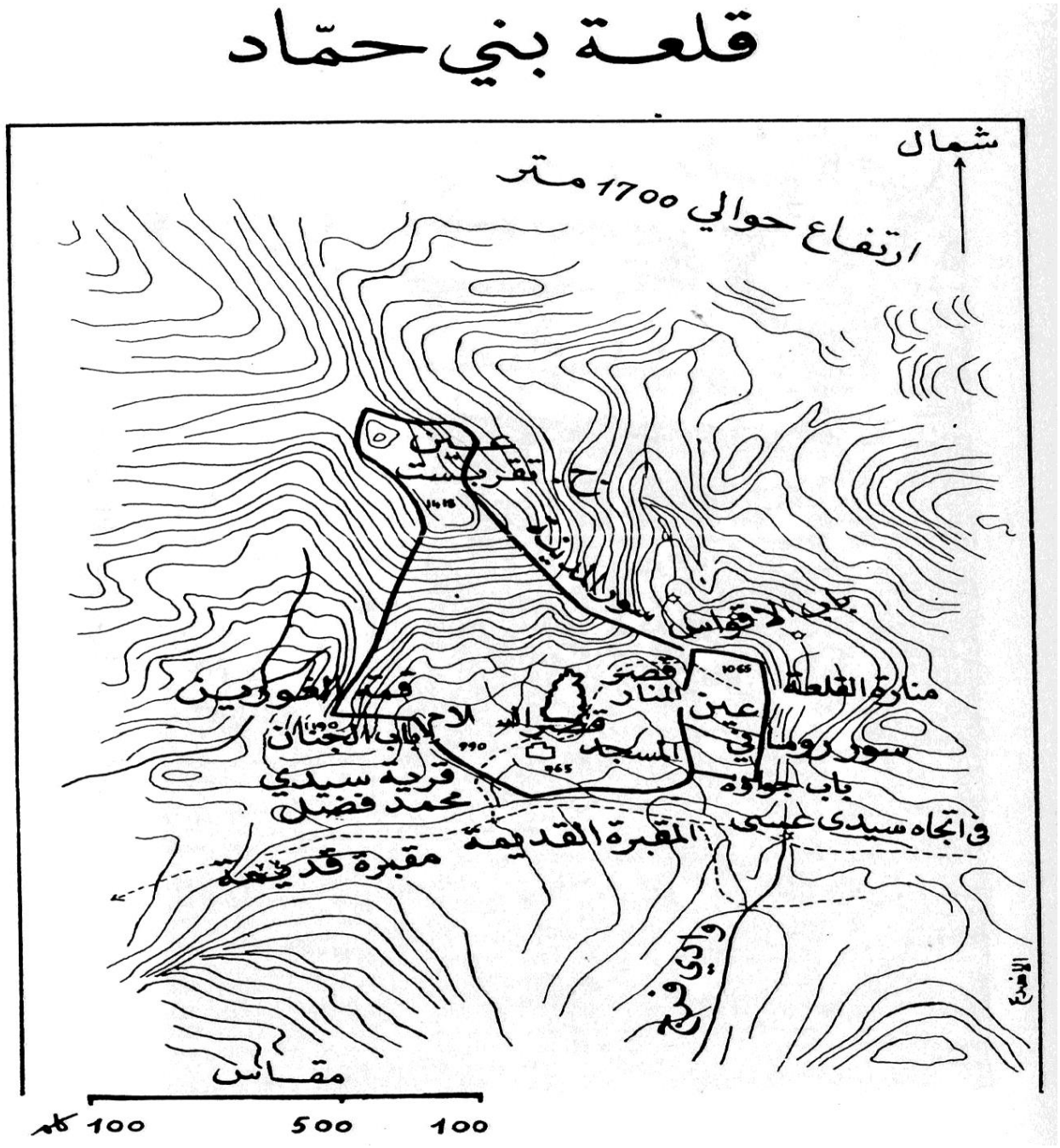

[1] – إسماعيل العربي : المرجع السابق. ص49.

الملحق رقم 02 : موقع القلعة بالنسبة لمدن المغرب الإسلامي.[1]

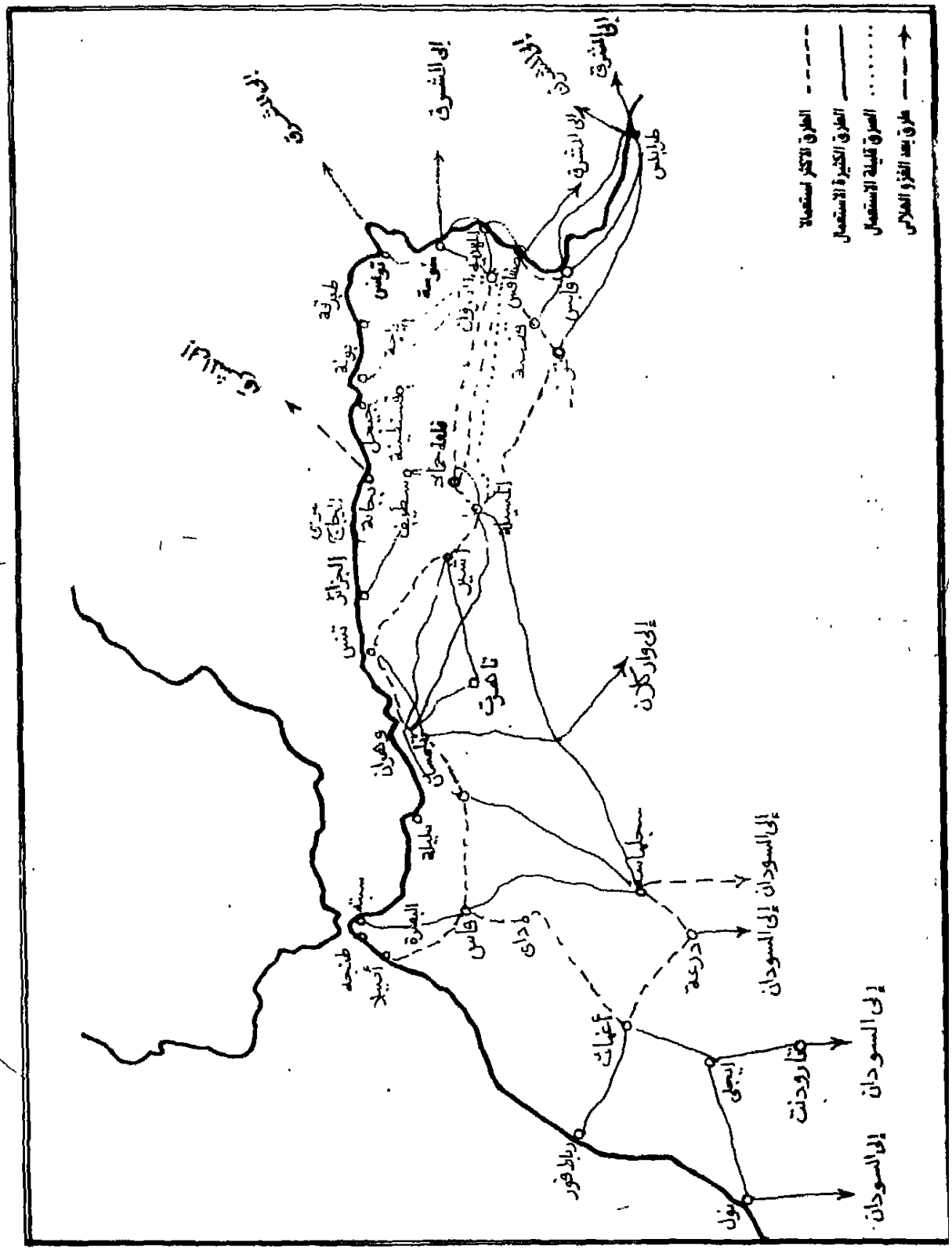

[1] – حسن خضيري أحمد : علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ص 206.

الملحق رقم 03: شجرة نسب بني حماد[1]

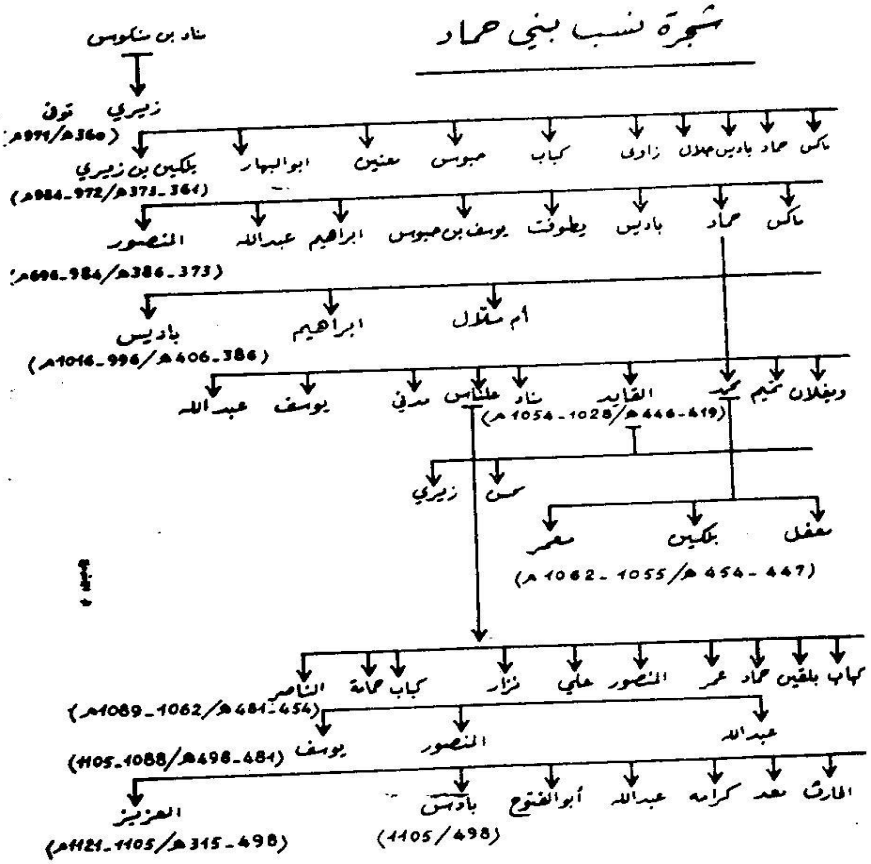

[1] – إسماعيل العربي : المرجع السابق،ص271.

الملحق رقم 04: ملامح شخصية حماد.1

قصة حماد ابن بلكين مع ابنة صاحبه :

" ويذكر أنه قال: ما تداهى عليا أحد قط ولا خدعني غير امرأة وكعاء من البربر,قيل له وكيف كان ذلك؟ قال: لي صاحب من البربر نشأت معه بالقيروان ولم يفرق بيننا ريب الزمان، و كنت خالطته بنية نفسي وجعلنه محل أنسي، فلما صرت إلى ما أنا فيه من الرياسة فقدته فجعلت أطلبه فلا أقدر عليه، فلما نزلت على مدينة باغية و دخلتها عنوة و استبحت جميع ما فيها فإذا أنا في صبيحة ذلك اليوم بصائح يصيح " أنا بالله و بالأمير"، فقلت" مالك وما أنت" فقال أنا فلان فإذا بصاحب الذي كنت أطلب مع أهل بغاية قد حبسه عن نسكه، و غلب على هواه وورعه فأظهرت البشر لمكانه و الجزل بشأنه و لو شفع إليا في أهل بقاية لشفعته فجعلت أوانسه وهو كالولد فسألته عن أمره فقال: إنه فقد بنتا كانت له فيمن فقد من النساء فقلت له: والله لو خرجت إليا بالأمس لحقنت دم أهل بلدك لحرمتك عندي، فقال القدر غالب والمحروم خالب، قال حماد ثم أمرت القواد فأحضروا جميع ما كان في أخبئهم من النساء، فعرف الرجل أن ابنته فيهن قال حماد فأمرت بسترها وترفيهها وحملها مع أبيها في أحسن حال، قال فرفعت صوتها قائلة: والله يا حماد لأرجعت مع أبي ولا مع من غصبني، قال فقلت لها: فما الذي تريدين؟ قالت: إني لا أصلح إلا للملوك فلا حاجة لي بسواهم، فلما سمع ذلك أبوها ما كان في نفسه لها من الإشفاق و ضنى أنها قد فتنت وفسدت، قال حماد: ومن أين تقولين أنك تصلحين لملوك؟ قالت: لأن عندي علما لا أشارك فيه ولا يدعيه غيري، فقلت لها: ألا أريتنا شيئا من علمك؟ قالت نعم تأمر بقتل إنسان وتحضر أمضي سيف عندك، أتكلم عليه بكلمات تمنع من تأثيره في أحد ويعود في كف حامله أكل من قلبه .

قال حماد فقلت: إن الذي يجوب هذا فيه لمغرور, فقالت لي: آويتهم أحد في قتل نفسه؟ قلت لها لا، فقالت: إني أريد أن تجرب ذلك حتى نرو عجبا، قال: فأتى بسيف ماض فتكلمت عليه وأشارت إلى السماء مرارا ومدت عنقها، فضربها السياف ضربة أبان رأسها من جسدها، فاستيقظت من غفلتي وعلمت أنها تداهت علي، وكرهت العيش بعد الذي جرى عليها فاستبان لأبيها ذلك فجعل يلقي نفسه عليها، وتبرع في دمها اغتباط مما رأى من عظيم أنفاسها، إذ اختارت الموت على ما نزل بها وقال: لاشك أن إشارتها إلى السماء إنما كان ذكر للشهادة والدعاء لله تعالى أن يغفر لها ".

---

[1]– مجهول : **الاستبصار في عجائب الأمصار** ، تعليق ؛ سعد زغلول عبد الحميد،ط2،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986م، ص 169، 170.

الملحق رقم 05: النزوح الهلالي و السليمي و المعيقلي على عهد بني حماد.[1]

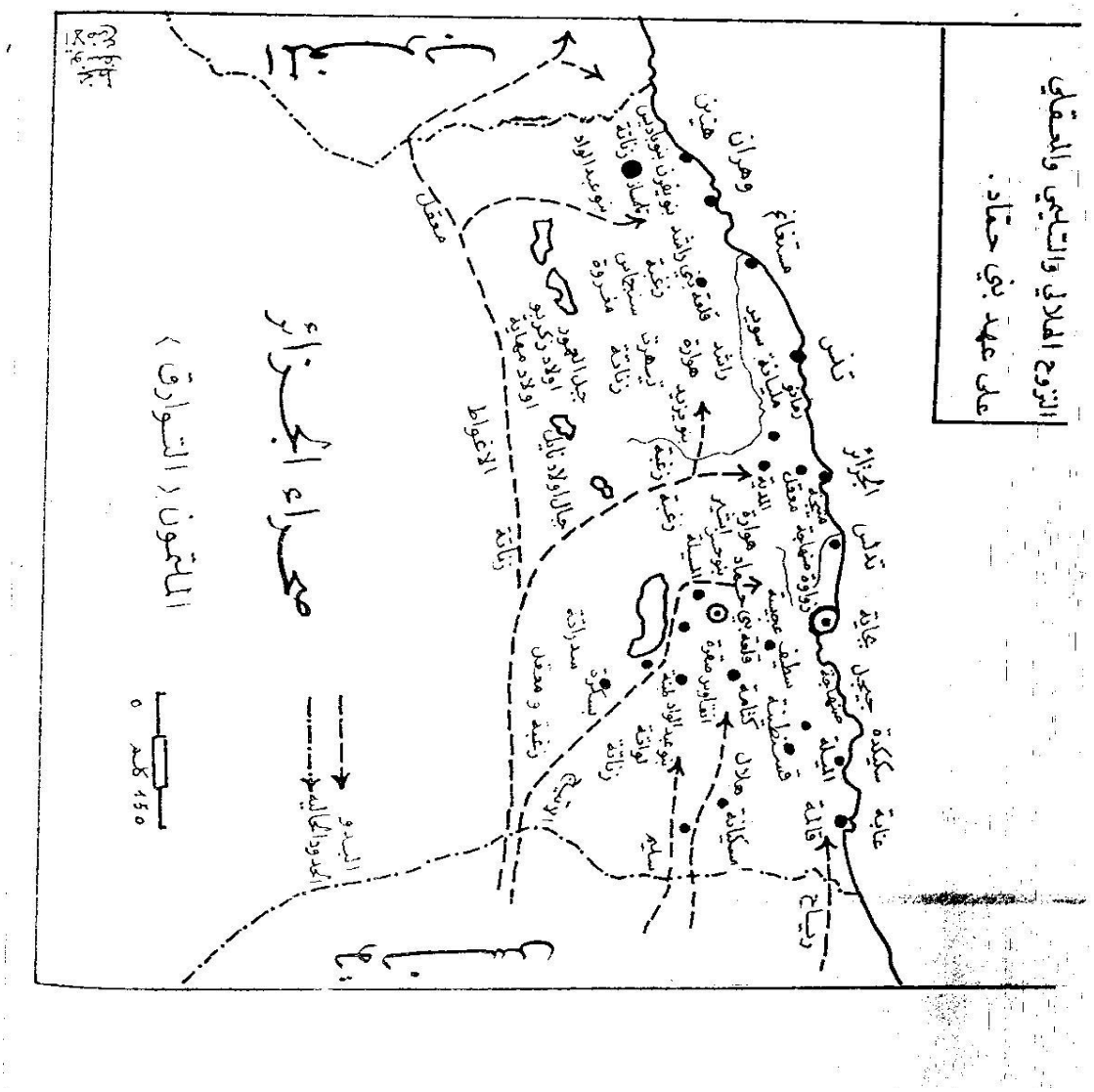

[1] – محمد الطمار : المرجع السابق ، ص 135.

الملحق رقم 06: مئذنة القلعة كما تشاهد اليوم.[1]

[1] – صورة إلتقطت يوم: 2010/07/21م

الملحق رقم 07: خرائب القلعة عند جبل المعاديد " المعاضيد".[1]

[1] – صورة التقطت يوم: 2010/03/23م

الملحق رقم 08: أثار القلعة في جبل المعاديد " المعاضيد ".[1]

[1] – صورة التقطت يوم: 2010/03/23م

الملحق رقم 09: قصر السلام.[1]

احدى قاعات قصر السلام

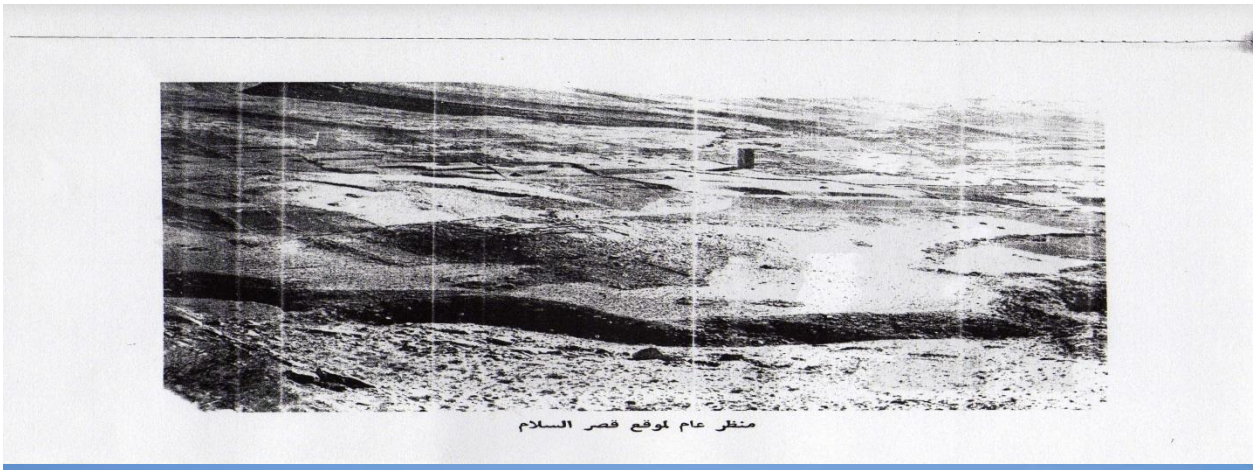

منظر عام لموقع قصر السلام

منظر من أعلى قصر السلام[1]

[1] – إسماعيل العربي : المرجع السابق.

الملحق رقم 10: منظر من قصر المنار.[2]

منظر من عدة زوايا للقسم الأعلى من قصر المنار

[1] – صورة مأخوذة من أرشيف صور القلعة بالمركز الثقافي المعاضيد.

[2] – إسماعيل العربي : المرجع السابق.

الملحق رقم 11: بعض المخلفات من القلعة.[1]

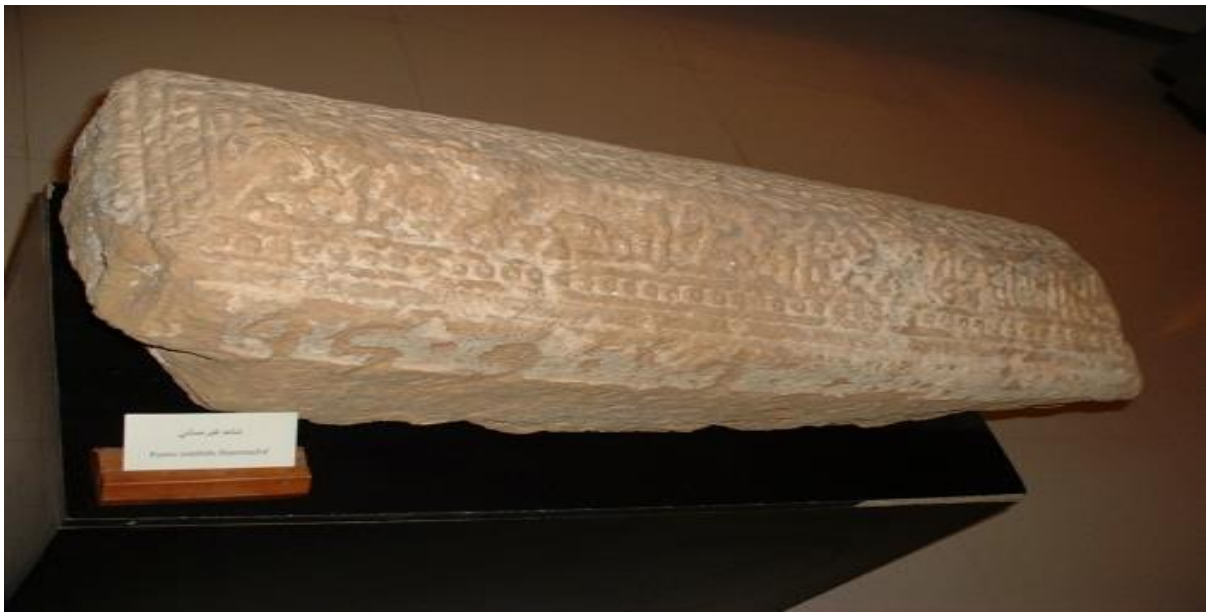

من شواهد القلعة[2]

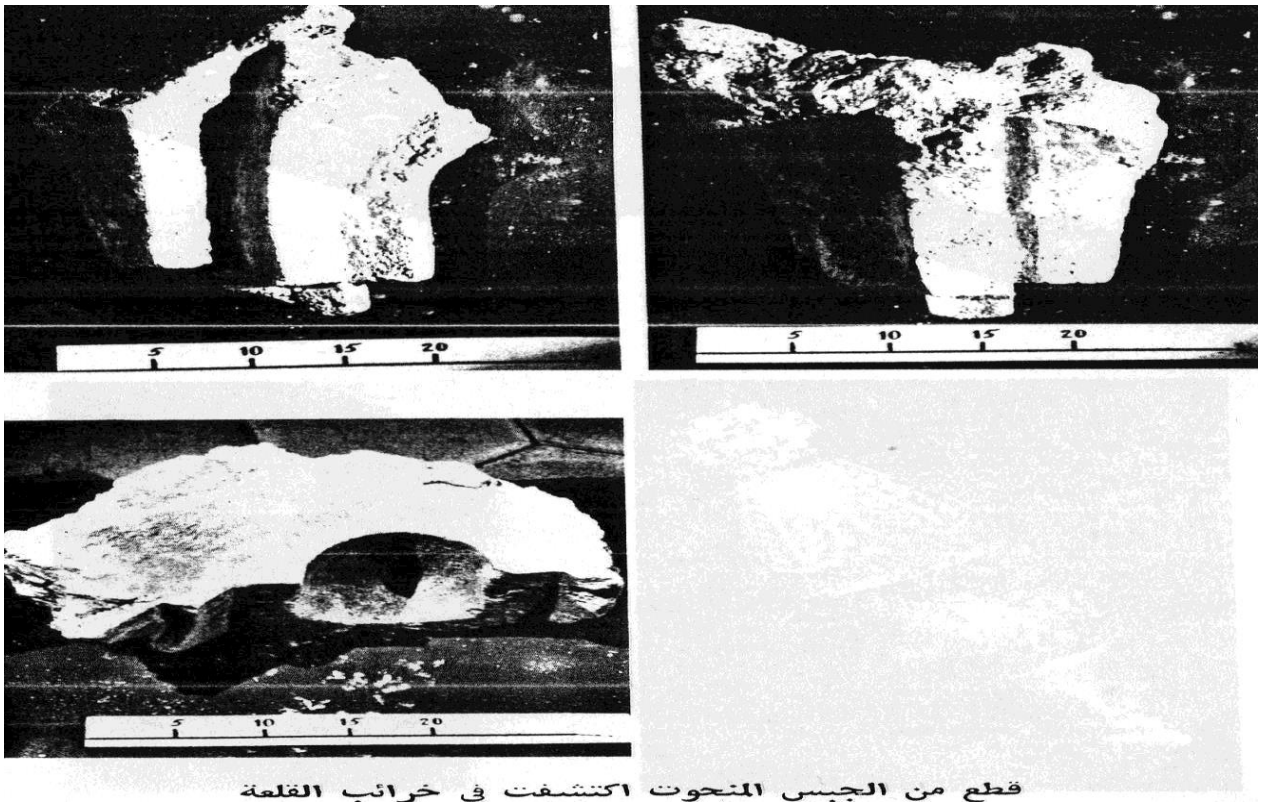

قطع من الجبس المنحوت اكتشفت في خرائب القلعة

[1] – صورة مأخوذة من متحف القلعة

[2] – إسماعيل العربي : المرجع السابق.

الملحق رقم 12: بعض الزخارف و الرسوم و النقوش الكتابية بالقلعة.[1]

زخرف نجمي منحوت في الجبس

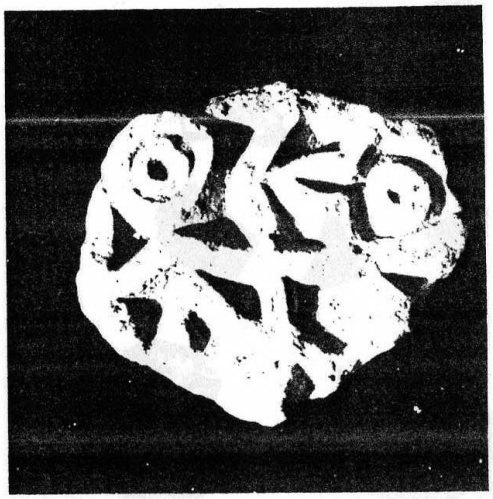

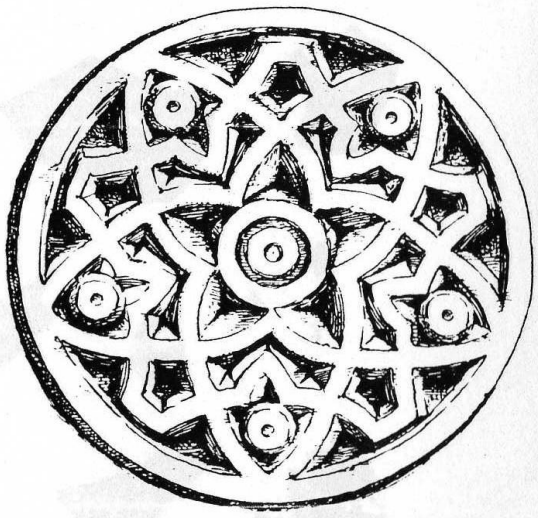

رسم نجمي مستدير من عناصر الزخرف القلعي

نقوش كتابية منحوتة في الجبس

[1] – إسماعيل العربي : المرجع السابق.

الملحق رقم 13: بعض القطع من البرونز و المعدن بالقلعة.[1]

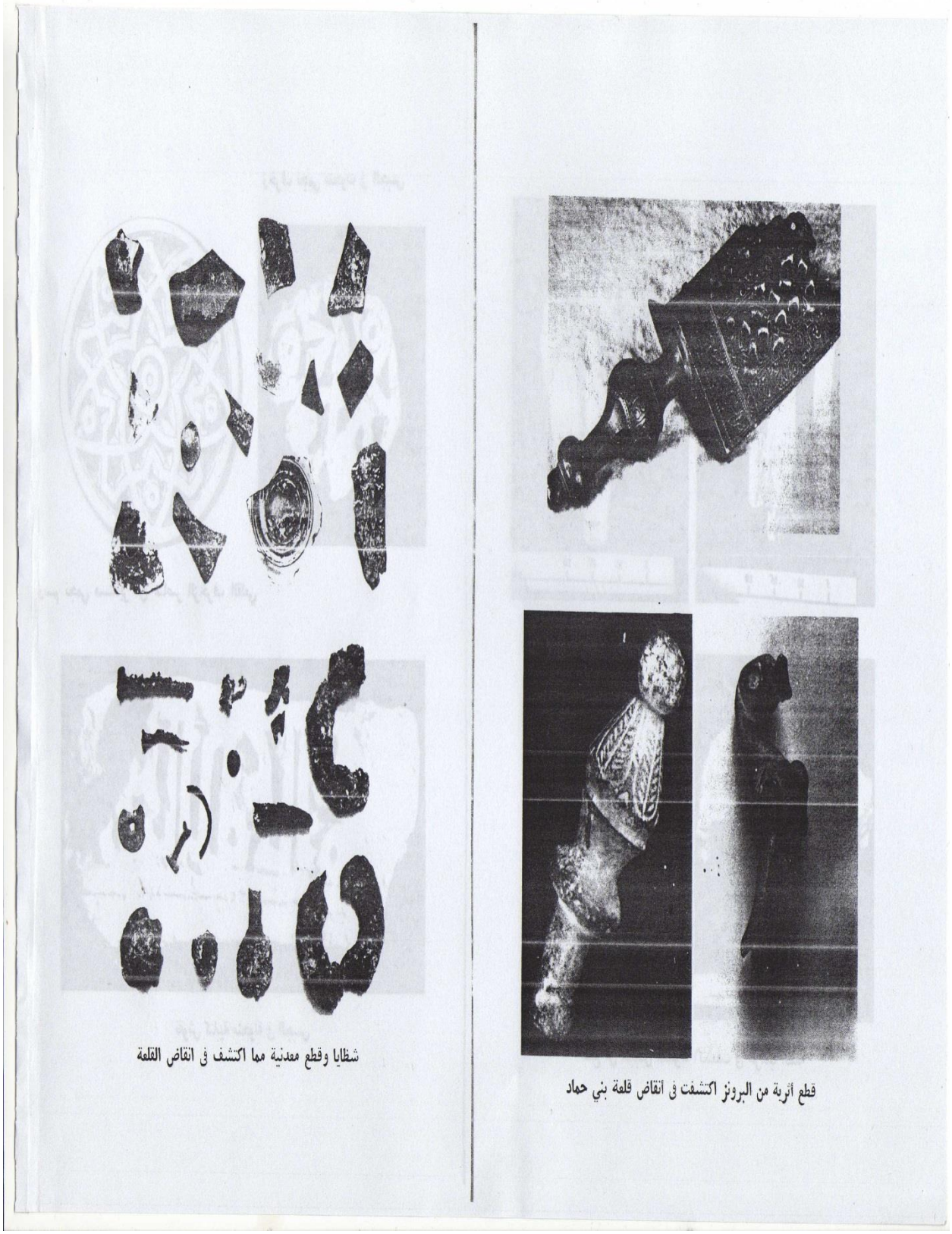

قطع أثرية من البرونز اكتشفت في أنقاض قلعة بني حماد

شظايا وقطع معدنية مما اكتشف في انقاض القلعة

[1]– إسماعيل العربي : المرجع السابق.

الملحق رقم 14: زخارف على الفخر بالقلعة.[1]

عناصر زخرفية وبشرية

رسم على الفخار الحمادي

[1] – إسماعيل العربي : المرجع السابق.

الملحق رقم 15: نقوش بالحروف العربية على الصخر بالقلعة.[1]

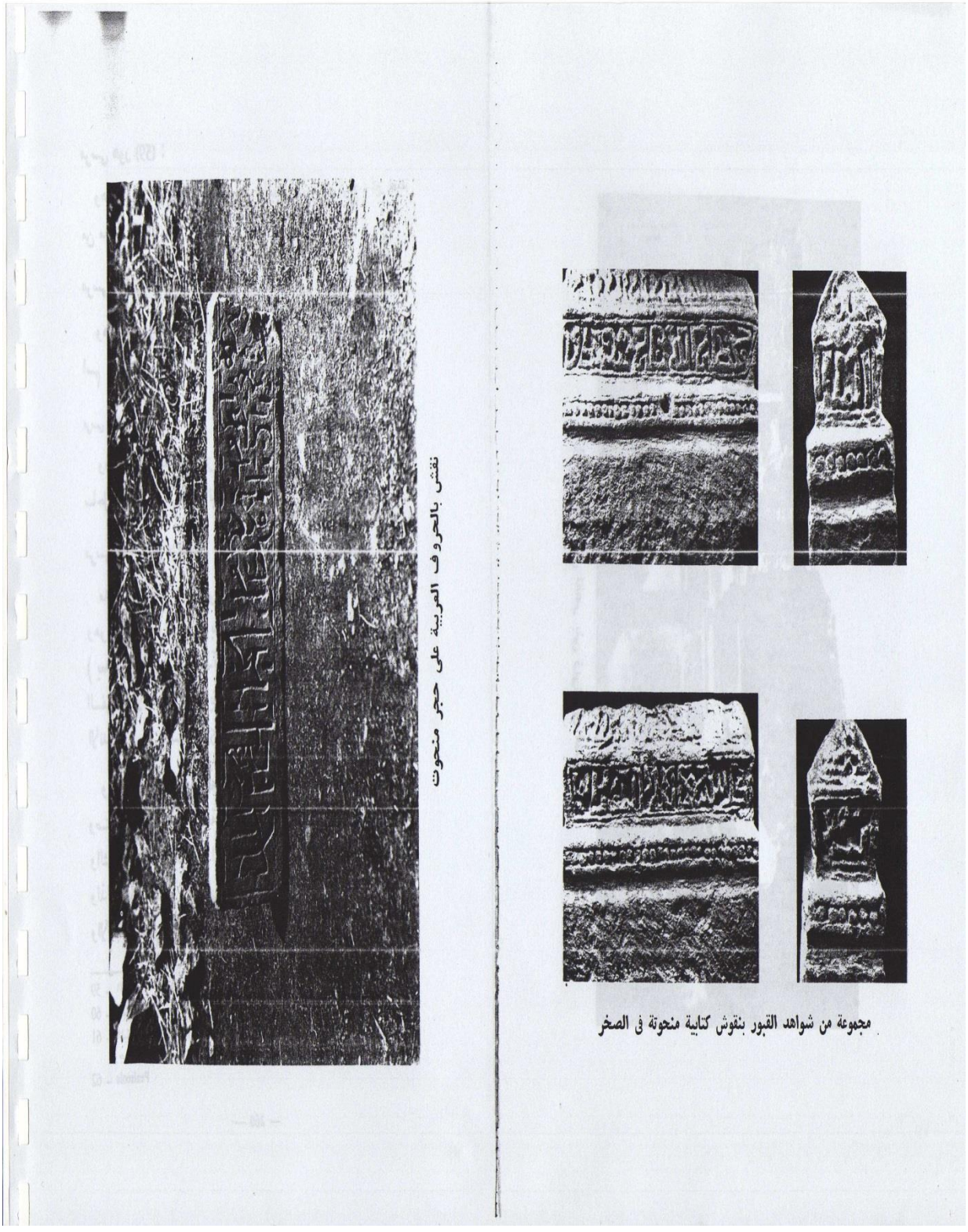

نقش بالحروف العربية على حجر منحوت

مجموعة من شواهد القبور بنقوش كتابية منحوتة فى الصخر

[1] – إسماعيل العربي : المرجع السابق.

الملحق رقم 16: مقابض آنية و زخارف مختلفة بالقلعة.[1]

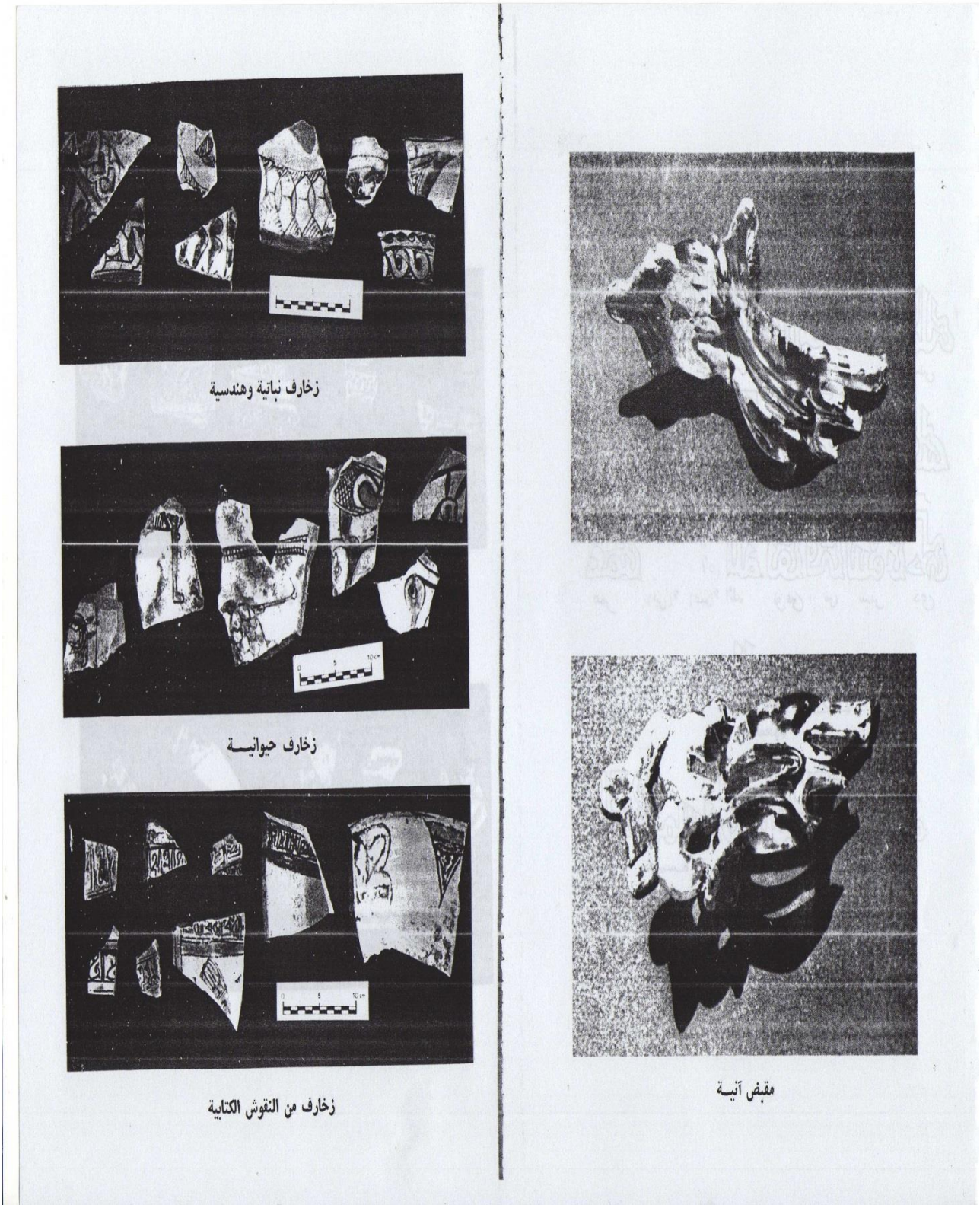

مقبض آنيــة

زخارف نباتية وهندسية

زخارف حيوانيــة

زخارف من النقوش الكتابية

[1] – إسماعيل العربي : المرجع السابق.

الملحق رقم 17: زخارف و نقوش على قبور المقبرة القديمة بالقلعة.[1]

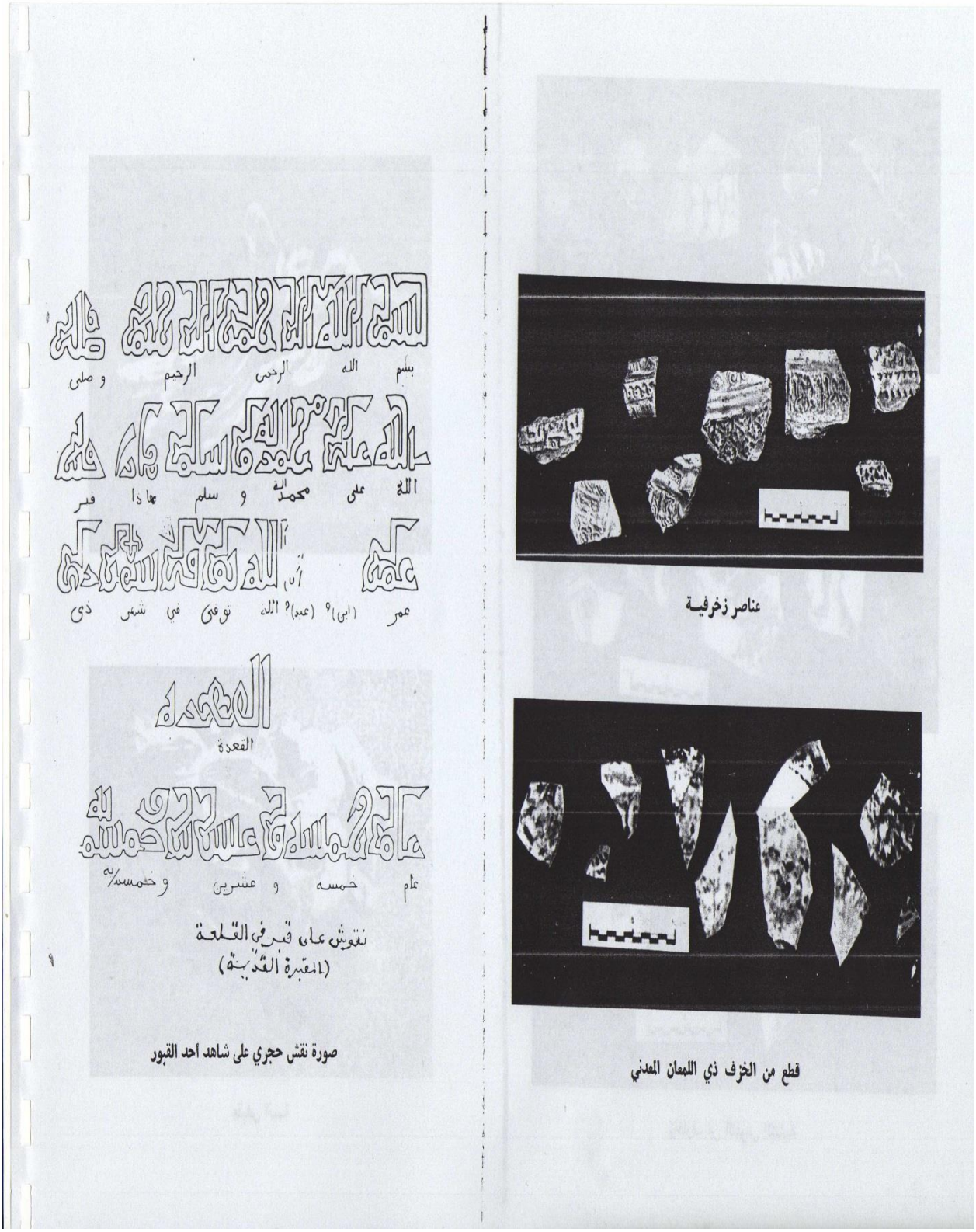

عناصر زخرفية

قطع من الخزف ذي اللمعان المعدني

صورة نقش حجري على شاهد أحد القبور

[1] – إسماعيل العربي : المرجع السابق.

الملحق رقم 18: زخارف نباتية و هندسية فخارية بالقلعة.[1]

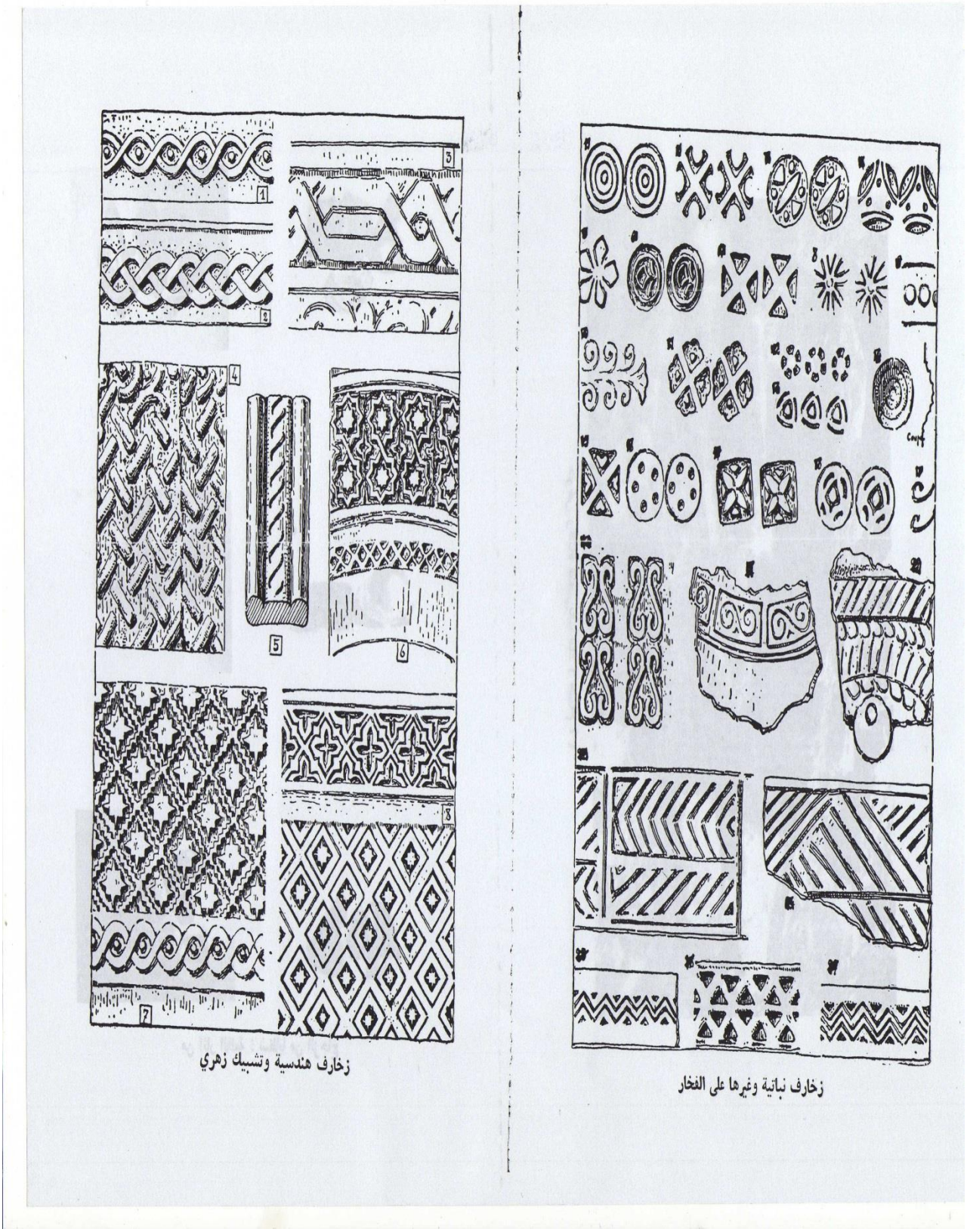

زخارف نباتية وغيرها على الفخار

زخارف هندسية وتشبيك زهري

[1] – إسماعيل العربي : المرجع السابق.

الملحق رقم 19 : حوض حمام و شظايا زجاج بالقلعة.[1]

[1] – إسماعيل العربي : المرجع السابق.

الملحق رقم 20 قطع زخرفية حمادية.[1]

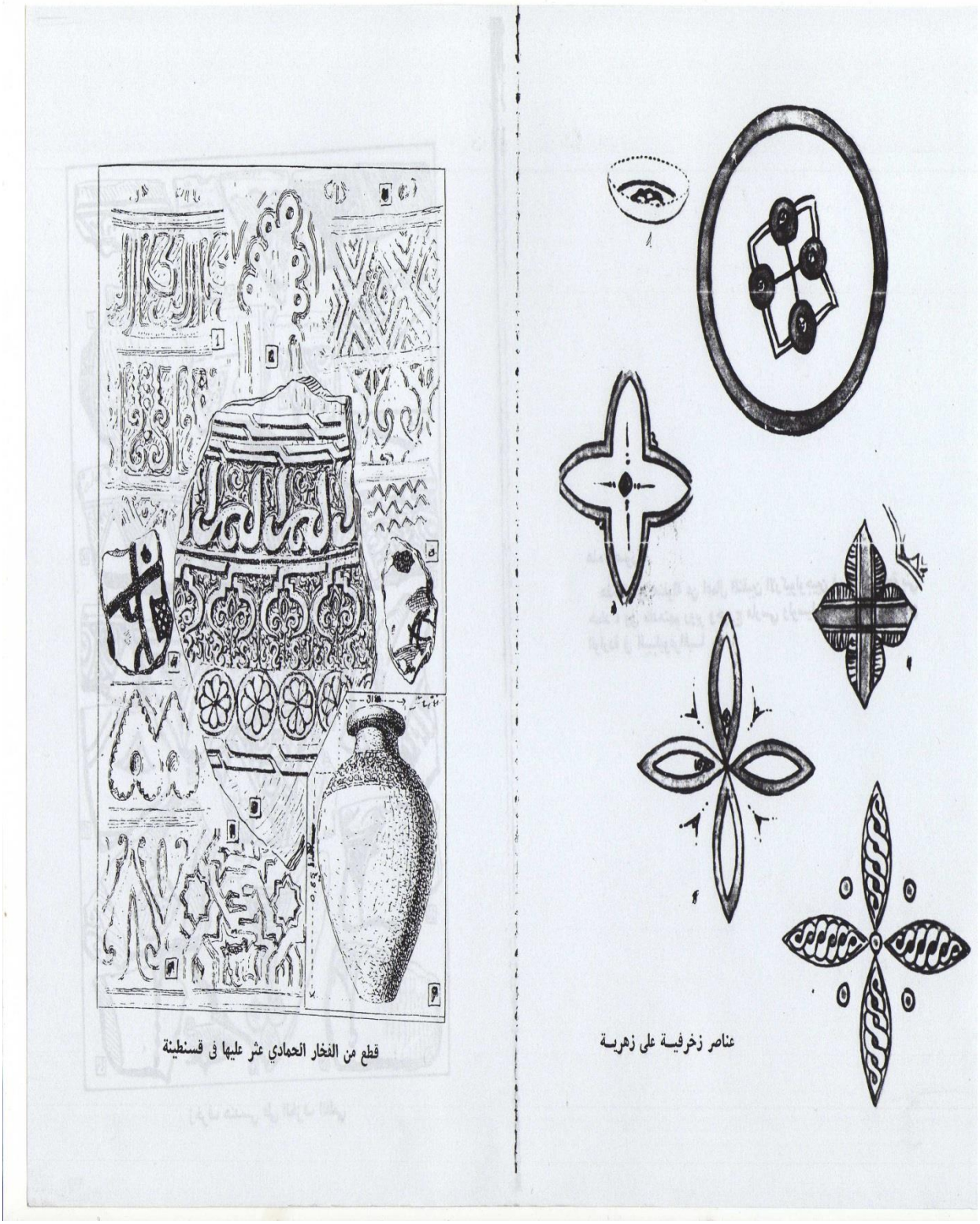

عناصر زخرفيـة على زهريـة

قطع من الفخار الحمادي عثر عليها في قسنطينة

[1] – إسماعيل العربي : المرجع السابق.

الملحق رقم 21: قلة من الفخار[1]

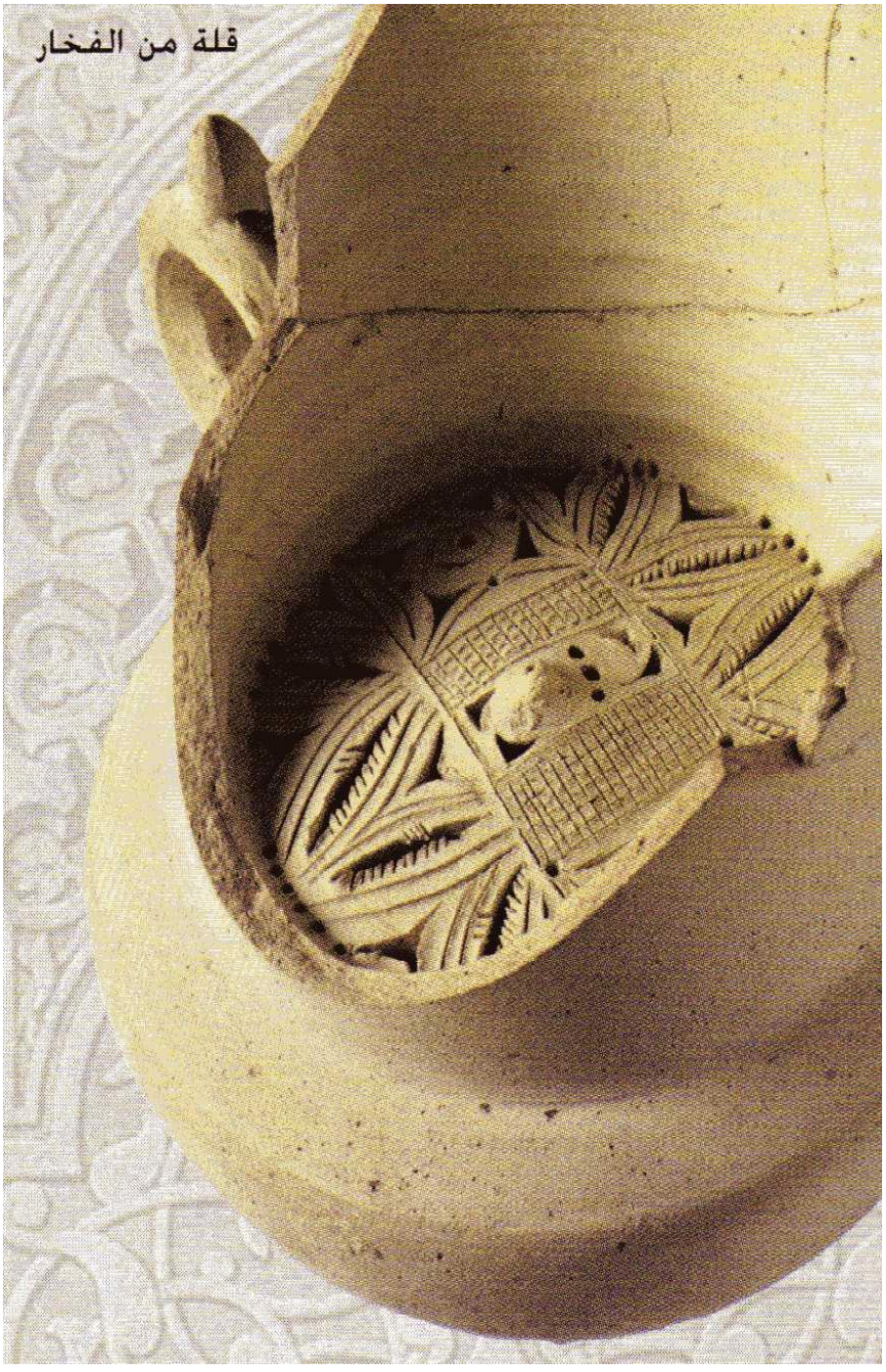

[1] – أحمد الرفاعي: كتامة والحضارة الفاطمية، وزارة الثقافة ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، قصر الثقافة مفدي زكريا.

الملحق رقم (22): الزخرفة على الخزف ذو البريق المعدني[1]

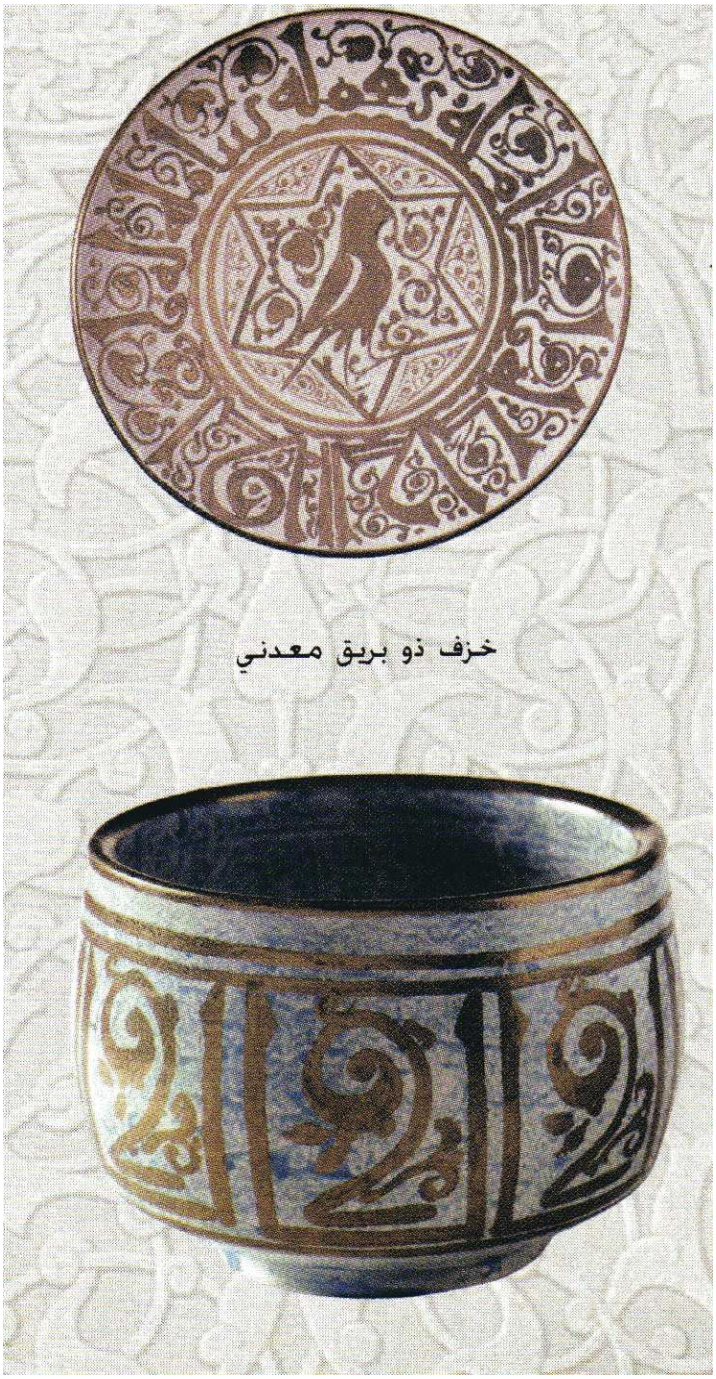

خزف ذو بريق معدني

[1] أحمد الرفاعي : المرجع السابق (بدون رقم الصفحة).

قائمة المصادرو المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

أولا- المصادر:

1- **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع المدني، ط2، مكتبة دار السلام للطباعة و النشر، دمشق ،2008م.

- كتب التاريخ:

* ابن أبي الزرع، علي الفاسي: " ت 726هـ/1326م "

2- **أنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، طبعة1، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م.

* ابن أبي دينار:

3- **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس** ، بيروت ، دار المسيرة للصحافة و الطباعة و النشر ، ط 3 ، 1993 م

* ابن الآبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله البلنسي: " ت 685هـ/1260م "

4- **تكملة لكتاب الصلة**, ج1, تعليق, ألفرد بل وأبي شنب, طبعة فونطا, الجزائر, 1919م.

* ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم : " ت 630هـ/1232م "

5- **الكامل في التاريخ**, ج7 , تحقيق, نخبة من العلماء, ط4, دار الكتاب العربي, بيروت 1983م.

* ابن الخطيب، أبي عبد الله لسان الدين: " ت 776هـ/1374م "

6- **أعمال الأعلام في بيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**, وما يتعلق بذلك من الكلام, ج2, ط1, تحقيق, سيد كسروي حسن, دار الكتب العلمية, بيروت, 2003م.

* ابن بشكوال، أبي القاسم خلف بن عبد المالك: " ت 578هـ/1182م "

7- **الصلة**, ج2, الدار المصرية للتأليف والترجمة, مصر, 1996م.

* ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان: " ت 808هـ/1405م "

8- **المقدمة** ،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،1992م.

9- **كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مكتبة القاهرة، ج6، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 1971.

* ابن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمان بن عبد الله : " ت 257هـ/871م"

11- **فتوح مصر و المغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، ج1، الأمل للطباعة و النشر، القاهرة، 1999م.

* ابن فرحون، ابن علي محمد: " ت 749هـ/1397م "

11- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**, دار الكتب العلمية, بيروت, ب.ت.

* ابن مريم، أبو عبد الله محمد: " كان على قيد الحياة إلى غاية 1025هـ/1612م "

12- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ب.ت

* الأسنوي :

13- **طبقات الشافعية** ، ج1 ، كمال يوسف الحوت مركز الخدمات و الأبحاث الثقافية، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1987م.

* الأنصاري، أبو عبد الله: " ت 703هـ/1303م "

14- **فهرست الرصاع**، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، د-ت، المكتبة الوطنية القديمة تحت رقم 44201.

*الأندلسي، محمد بن محمد:

15- **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، مج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985

* التميمي، أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم :

16- **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس و ما يليها من البلاد**،تحقيق محمد الشريف ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، تطوان ، 2002م.

* السجستاني أبو داوود ، سليمان الأزدي: " ت 275هـ/808م"

17- **سنن أبي داوود** ،ج3، دار الجيل، بيروت ،لبنان، 1992م

* العبدري، محمد البلنسي:

18- **الرحلة المغربية**، تحقيق أحمد بن جدو، نشر كلية الأدب ، الجزائر، ب ت.

* الغبريني، أبو العباس أحمد: " ت 714هـ/1149م "

19-**عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة لبجاية**، تحقيق رابح بونار، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981م.

* المراكشي، ابن عذاري: " ت 712هـ/1312م "

20- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**, ج1, تحقيق, كولان وليفي بروفنسال, ط3, الدار العربية للكتاب, بيروت, 1973م.

* المراكشي عبد الواحد بن علي :

21- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1419 هـ، 1998 م

* المقدسي، محمد الخيلي:

22- **الأحاديث المختارة**، تحقيق عبد الملك بن عبد الله،ج6، ط1، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة،1989م.

* النويري، أحمد بن عبد الوهاب : " ت 732هـ/1332م "

22- **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق ، محمد أبو ضيف أحمد ، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1984م.

* بابا التمبكتي: " ت 1032هـ/1622م"

23- **نيل الابتهاج في تطريز الديباج**، دار الكتب العلمية، بيروت، ب ت.

* عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي القاضي: " ت ت 544هـ/ 1149م"

24- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**, ج4, تحقيق, أحمد بكير محمد, دار مكتبة الحياة, بيروت, دار مكتبة الفكر, طرابلس،ب. ت.

* مجهول: " كتاب من القرن 6هـ/ 12م "

25- **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تعليق ؛ سعد زغلول عبد الحميد، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986م.

- كتب التراجم :

* ابن حزم ،محمد علي بن أحمد : " ت 456هـ/1064م "

26- **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت ،1998م.

* ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين بن أبي بكر: " ت 681هـ/1283م "

27- **وفيات الأعيان و أبناء الزمان**, ج1, تحقيق, إحسان عباس, دار الثقافة, بيروت, 1969م.

- كتب الجغرافيا :

* ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي: " ت القرن 4هـ/10م "

28- **كتاب صورة الأرض** ، ليدن ، هولندا 1939م.

* البكري، أبي عبيد الله: " ت 487هـ/1094م"

29- **المسالك والممالك**, تحقيق فن لويفن وأندري فيري، ج2، الدار العربية للكتاب،تونس، 1992م

* الإدريسي أبو عبد الله الشريف : " ت 560هـ/1164م "

30- المغرب العربي من " **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** "، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

31- **المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس** ، مطبعة بريل ، ليدن، 1866م.

* الحموي، ياقوت : " ت 226هـ/1228م "

32- **معجم البلدان**،ج4، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت ،1984م.

33- **معجم البلدان**، ج2، بيروت، دار صادر، ط2 ، 1995 م

* الحميري، عبد المنعم: " 866هـ/1461م "

34- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس ،ط2، مكتبة لبنان ، بيروت، 1984م، ص 291.

ثانيا- المراجع:

* أبو عبد الرزاق، أحمد:

35- **الأدب في عصر دولة بني حماد** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1979م.

* أبو القاسم درارجة:

36- **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس**، بحوث جامعة الجزائر، العدد21، 1994م

* أحمد أمين:

37- **ضحى الإسلام-نشأة العلوم العقلية في العصر العباسي الأول**، ج2، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، بد.ت.

* أحمد توفيق المدني:

38- **عباب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 م

* أحمد ،عبد الرزاق أحمد:

39- **الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى-العلوم العقلية-**، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة،1991م.

* الجيلالي، عبد الرحمان بن محمد:

40- **تاريخ الجزائر العام**، ج1، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1994م.

* الحفناوي أبي القاسم:

41- **تعريف الخلف برجال السلف**، ج4، مؤسسة الرسالة، بيروت-المكتبة العتيقة، تونس، 1985م.

* الخطيب، فوزي خليل:

42- **تصنيف المعارف و العلوم عبر العصور**، ط1، مكتبة المتنبي، المملكة العربية السعودية، 2002م.

* السيد أبو مصطفى، كمال:

43- **جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوي المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1999.

* الطاهر، بونابي:

44- **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 هـ و7هـ / 12م و13م**، دار الهدى للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر،2007م.

* الطمار، محمد:

45- **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, 1983م.

* العربي، إسماعيل:

46- **دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية**،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1980م.

* العقبي، صلاح مؤيد:

47- **الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر تاريخها ونشاطها**، بيروت، لبنان، دار البراق، 2002م.

48* **الفن المعماري الجزائري**: سلسلة فن و ثقافة –وزارة الأخبار-،الجزائر ، جوان 1970م.

* الغنيمي، عبد الفتاح مقلد:

49- موسوعة تاريخ المغرب العربي, ج4, ط1, مكتبة مدبولي, القاهرة, 1994م

* الكعاك، عثمان:

50- **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**, تقديم, أبوا القاسم سعد الله وآخرون, ط1, دار الغرب الإسلامي.بيروت ، لبنان.

* الميلي، مبارك بن محمد:

51- **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث** ، ج2 ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1976م.

* بحاز، إبراهيم بكير:

52- **الدولة الرستمية** – دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، نشر جمعية التراث القرارة، الجزائر ،1993م.

* بركات، أنيسة :

53- **محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995م.

* بن عميرة، محمد:

54- **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

* بن قربة، صالح:

55- **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

* بورويبة، رشيد و آخرون:

56- **الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

* بورويبة، رشيد:

57- **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 1977م.

58- **مدن مندثرة**، سلسلة فن و ثقافة، وزارة الاعلام و الثقافة، الجزائر،1982م.

* بونار، رابح :

59- **المغرب العربي تاريخه وثقافته**, ط2, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1981م.

* تحريشي، محمد :

60- **أدوات النص**، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق،2000م.

* حسن خضيري، أحمد :

61- **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.

* حمدي عبد المنعم، محمد حسين:

62- **التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، مصر،1997م.

* خالدي، عبد الحميد :

63- **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر**، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، 2003.

* زغلول، عبد الحميد:

64- **تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري والصنهاجيون إلى قيام دولة المرابطين**، ج3، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1990م.

* زهير إحدادن :

65- **شخصيات و مواقف تاريخية**، الجزائر، دار التراث للنشر والتوزيع، 2002 م

* سالم نجيب، عبد الله:

66- **تاريخ المساجد الشهيرة** ، ب.ط ، ب.ن ، ب. ت ، ب. م

* شيت الخطاب، محمود:

67- **قادة فتح المغرب العربي**، ط7، دار الفكر، 1984م.

* عبد العزيز، محمد عادل:

68- **التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية**،الهيئة العامة للكتاب، مصر،1985م.

69- **الحضارة الإسلامية –عوامل الازدهار و تداعيات الانهيار**–، دار غريب، القاهرة، د .ت.

* عشراتي، سليمان:

70- **الشخصية الجزائرية**, بانوراما المشهد الحضاري لميلاد الدولة الحمادية, ج2, دار الغرب للنشر والتوزيع, الجزائر, 2002م.

* عصام الدين الفقي، عبد الرؤوف:

71- **تاريخ الفكر الإسلامي**، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة،1997م.

* عويس، عبد الحليم:

72- **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**, ط2, دار الصحوة, القاهرة, 1991م.

* مؤنس، حسين:

73- **تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن 6م إلى القرن 19م**، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1992م.

74- **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد ومكتبة الأسرة للأعمال الفكرية، مصر،1992م.

* مشعل، محمد شاكر:

75- **الدور العربي في التراث العلمي العالمي**، ج1، القاهرة، 1983م.

* نسيب، محمد:

76- **زوايا العلم والقراءة بالجزائر**، دار الفكر- سوريا، دار الفكر العربي بوزريعة الجزائر،ب ت.

* مبارك بوطارن، عيسى بن الذيب :

77- **الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.

مخلوف، محمد بن محمد بن عمر القاسم: " ت 1360هـ/1941م "

78- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ج1، تعليق عبد المجيد خيالي ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2002م.

ثالثا- المراجع المترجمة:

* ألفرد، بل:

79- **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي**، ترجمة عبد الرحمان بدوي،ط3،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1987.

* بن نبي، مالك:

80- **ميلاد مجتمع**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، دمشق، 1986م.

81- **شروط النهضة**، ترجمة عمر كمال مسقاوي، عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، 1987م.

* إدريس، الهادي روجي:

82- **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن العاشر إلى القرن لثاني عشر ميلادي**، نقلا إلى العربية حمادي الساحلي، ج2، ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1992م.

* المقدسي، جورج:

83- **نشأة الكليات- معاهد العلم عند المسلمين في الغرب-**، ترجمة محمد السيد محمود، ط1، مركز النشر العلمي، جدة. المملكة العربية السعودية، 1994م.

* مارسيه، جورج:

84- **بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ،منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م.

رابعا- الرسائل الجامعية:

* بحيدي حسان و محمد عبد القادر:

85- **الزوايا و دورها في حفظ المخطوطات**، مذكرة ليسانس علم المكتبات و الوثائق، بإشراف: أصحى محمد، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانية، وهران 2000، 2001م.

* حواله، يوسف بن أحمد:

86- **الحياة العلمية في افريقية 450/90هـ**، ج1، ط1، جامعة أم القرى، السعودية، 2000م.

* سرحاني، عائشة و بريكال، أسماء:

87- **الدور الحضاري لقلعة بني حماد 408هـ/1017م**، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس تعليم المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة ، الجزائر ، 2008م.

* الزهراني، محمد بن علي بن محمد:

88- **الحياة العلمية في صقلية الإسلامية 447/412هـ-1091/826م** ، مركز بحوث العلوم الاجتماعية-جامعة أم القرى، السعودية، 1996م.

خامسا- المقالات و المجلات و الملتقيات:

* بن عميرة، محمد:

89- **القلعة قاعدة بني حماد الثقافية الأولى**, حولية المؤرخ لإتحاد المؤرخين الجزائريين, العدد 1, الجزائر, 2002م.

* بلعالم، محمد باي:

90- **أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة**، الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار، أيام 1، 2، 3 ماي 2000م.

* بونابي، الطاهر:

91- **الدولة المركزية بقلعة بني حماد, التأسيس والتداعيات**, مجلة الآدب والعلوم الإنسانية, العدد السابع, نوفمبر, كلية الآدب والعلوم الإنسانية, جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية, قسنطينة, 2006م.

* خالدي، عبد الحميد:

92- **نبذة مختصرة لبعض علماء الجزائر في العهد الحمادي**، مجلة الثقافة، ع112، وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، 1999م.

* فيلالي، عبد العزيز:

93- **قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/11م**, مجلة العلوم الإنسانية, العدد 7, كلية الآداب والعلوم الإنسانية, جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية, قسنطينة, 2006م.

* قويسم، محمد:

94- **الطب في قلعة بني حماد، الملتقى الوطني الأول للدولة المركزية لقلعة بني حماد والإشعاع الثقافي والفكري**، يومي 26-27أفريل، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، بجامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2005م.

95- **علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد، الملتقى الدولي، مدينة قلعة بني حماد 1000 سنة من التأسيس**، أيام 09-10-11 أفريل، قسم التاريخ بجامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2007م.

* نوار، أحمد:

96- **أعلام وأعمال علماء الرياضيات والفلك بالمغرب العربي من القرن9م إلى القرن19م**، سلسلة الرياضيات بجامعة قسنطينة، الجزائر، 2004م.

سادسا- المعجم و الموسوعات:

* ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل: " ت 711هـ/1311م "

97- **لسان العرب**،ج1، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م.

* أحمد الرفاعي:

98- كتامة والحضارة الفاطمية، وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، قصر الثقافة مفدي زكريا

*) اريتريا أكدرية:

99- **موجز دائرة المعارف الإسلامية**،ج3، مركز الشارقة الإبداع الفكري، ط1، 1418 هـ، 1918م.

* الطيب، محمد سليمان:

100- **موسوعة القبائل العربية**، مج6، دار الفكر العربي، القاهرة،2001م.

* القنفد القسنطيني أحمد بن الخطيب:

101- **معجم زمن الصحابة و أعلام المحدثين و الفقهاء و المؤلفين**، ب. ن، بيروت، 1982

* الهيثمي، علي بن أبي بكر:

102- **معجم الزوائد**،ج1، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة –بيروت، 1986.

103- **معجم مشاهير المغاربة**، تنسيق أبو عمران الشيخ ،تقرير ناصر الدين سعيدوني، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995م.

* مقلد الغنيمي، عبد الفتاح:

104- **موسوعة تاريخ المغرب العربي**, ج3, ط1, مكتبة مدبولي, القاهرة, 1994م.

105- **موسوعة تاريخ المغرب العربي**, ج4, ط1, مكتبة مدبولي, القاهرة, 1994م.

سابعا- الكتب المطبوعة باللغة الأجنبية :

106- Rchid Bouriuiba **: Cites disparues, Tahart,Sedrata, Achir kal'a des Bani hamad**,Arts et culture ministre de l'information, Alger, 1982

107- Rachid Bouriuiba **: les hammadites**, Entreprise Natainal du liver ,Alger , 1984

108- **La kal'a des Bani Hamades** , rapport de la mission polono Algérienne , 1987-1988,PKZ , Varsovie , 1990.

109- Lucein Golvin**: Le maghreb central** , à L'époque des Ziri des arts et métiers graphiques , paris , 1957.

الفهـــارس

1- فهرس الآيات القرآنية.
2- فهرس الأعلام .
3- فهرس الجماعات و الشعوب و القبائل .
4- فهرس المواقع و الأمكنة و البلدان .
5- فهرس الفرق والمذاهب والأديان.
6- فهرس الملاحق.
7- فهرس الموضوعات.

1- فهرس الآيات القرآنية:

السورة	الآية	نص الآية	الصفحة
سورة العلق	الآية 1-5.	(اقرأ بسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)	36
سورة الزمر	الآية 9.	(قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون)	36
سورة المجادلة	الآية 11.	(يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات)	36
سورة آل عمران	الآية 18.	(شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) .	36
سورة البقرة	الآية 164.	(إن في خلق السموات و الأرض واختلاف الليل و النهار..... و تصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء لآيات لقوم يعقلون .)	38
سورة التوبة	الآية 18.	(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)	58
سورة البقرة	الآية 144.	(ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم)	58
سورة الذاريات	الآية : 56.	(و ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)	58
سورة النور	الآية : 36-38.	(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله)	59
سورة الأعراف	الآية: 29.	(قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون)	59
سورة الجن	الآية :18	(و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً).	59

2- فهرس الأعلام:

– أ –

- إبراهيم الحصري: 15.
- إبراهيم بن بلكين: 22.
- إبراهيم بن حماد أبو إسحاق القلعي95، 102.
- ابن أبي الفتوح:30.
- ابن أبي المليح:86، 102.
- ابن أبي عيسى الغبريني: لا يوجد
- ابن الأبار78، 95، 97، 157.
- ابن الأثير: 21، 29، 30، 118.
- ابن البذوخ:82، 83، 86، 102.
- ابن الرمامة70، 78، 81.
- ابن النباش أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خالد البجائي:112.
- ابن بسام:98.
- ابن بطوطة:69.
- ابن حماد الصنهاجي:83، 97.
- ابن حمدين98..
- ابن دبوس98.
- ابن سينا:86، 108.
- ابن شرف: 15.
- ابن عباس: 58.
- ابن عرفة: 95.
- ابن كفاة القيرواني:41، 100، 103، 106.
- أبو الحسن بن اليدوخ:108.
- أبو الحسن بن علي بن الشكر بن عمر القلعي:100.
- أبو العباس أحمد بن محمد ابن عبيد الله المعافري:77.
- أبو العباس النقاوسي:99.

- أبو الفضل قاسم ابن محمد القرشي القرطبي:69 .
- أبو القاسم ابن أبي الملك:76 .
- أبو القاسم بن أبي مالك: 76 .
- أبو القاسم عبد الجليل بن أبي بكر:42 .
- أبو القاسم كرو:؟؟
- أبو بكر بن مخلوف بن خلف ا هـ:99 .
- أبو جعفر بن علي البذوخ:102 .
- أبو حفص عمر بن علي ابن خليفة ابن البدوخ القلعي:97 .
- أبو عبد الجبار أبي بكر بن محمد بن حميدس ا أزدي الصقلي:110.
- أبو عبد ا هـ الشريف ا إدريسي:17 ،16 .
- أبو عبد ا هـ بن محمد بن صمغان القلعي:77، 101 ،79 .
- أبو عبد ا هـ محمد الرمامي:98 .
- أبو عبد ا هـ محمد بن أبي فرج المازري:110 ،101 ،80 .
- أبو عبد ا هـ محمد بن عبد ا هـ زكريا القلعي ا أصم:101 ،82 .
- أبو عبد ا هـ محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي القلعي:97.
- أبو عبد ا هـ محمد بن علي بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي:85 ،
- 77. أبو عبد ا هـ محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور
- القلعي:95 ،77. أبو علي الحسن بن رشيق:107 ،100 .
- أبو عمر الداني:78، 101 .
- أبو عمر ان موسى ابن حماد الصنهاجي:97، 98 .
- أبو محمد عبد الحق بن عبد ا هـ بن إبراهيم ا أزدي:112 .
- أبو محمد عبد ا هـ بن عمر بن عبادة القلعي:77 .
- أبوالقاسم:80 .
- أبوعبد ا هـ:95 ،69 .
- أبي الدرداء:37 .
- أبي الفضل يوسفبن محمد ابن النحوي: 110 ،99 ،77.

- أبي حامد الغزالي:70، 78، 81، 96.
- أبي زكريا الزواوي:100.
- أبي زكريا الشقراطسي:97.
- أبي عبد الله البكري:17.
- أبي عبد الله بن عصمة:98.
- أبي عبد الله بن محمد بن عبد الكريم التميمي:70.
- أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد:79، 100.
- أبي عبد الله محمد بن علي بن المعطي:100.
- أبي عمر:100.
- أبي قراط:86.
- أبي محمد المقري: 111.
- أبي مروان الحمداني:79، 111.
- أحمد بن أبي توبة:23.
- احمد بن الخطيب:27، 29، 69، 76.
- أحمد بن الطاهر بن علي بن عيسى بن عبادة الأنصاري:78، 79.
- أحمد بن حصين بن أحمد الأنصاري:111.
- أحمد بن طاهر بن علي:111.
- أحمد بن عبد الله بن ذاكون:111.
- احمد بن علي بن أحمد بن خلف الانصاري:43.
- أحمد بن محمد بن أحمد المسيلي:95، 102.
- أحمد عبد السلام بن عبد الملك بن موسى الغافقي:112.
- الخزرجي:97.
- الزمخشري:68.
- الطبراني:36.
- الغنيمي: 38.
- الفرنج الخريني:94.

- ألفرد بل:157 .
- القائد بن حماد:27، 117 ،52 ،40 ،32 ،28 .
- القاسم بن علنا سد:
- القاضي عيا ضد:80 .
- المحسن ابن القائد:32 ،28 .
- المعز بن باديس: 28 ،27 ،26 ،24 ،14، 119 ،117 ،107 ،106 ،82 ،51 ،38 ، 121، 32.
- المنصور:14، 20، 21، 25، 26، 30، 38، 39، 69، 77، 83، 87، 90، 92، 95، 119، 122، 123، 124، 125.
- الناصر بن علناس: 29، 30، 32، 38، 39، 40، 83، 87، 106، 117، 118، 120.
- أمو العلو:27.
- أيوب بن ياطوفت:24.
- أيوب يورين:24.

- ب -

- باديس: 14، 21، 22، 23، 24، 26، 27، 28، 31، 32، 38، 44، 51، 81، 82، 106، 107، 117، 119، 120، 121، 122، 123، 125.
- بلارة بنت تميم:39.
- بلانش بيليه:88.
- بلكين بن محمد بن حماد:28، 29، 32.
- بلكين 14، 16، 19، 20، 22، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 41، 52، 76، 118، 125، 129، 136.
- بن مرزوق:68.
- بونابي:87.
- بونياش:90.

- ت -

- تاضميرت:29

- تميم: 29، 30، 39، 70، 100، 117، 118، 121.

- ج -

- جعفر بن علي بن أحمد بن حمدون:؟
- جورج مارسيه: 92، 93.

- ح -

- حبو سد بن القاسم بن حمامة ؟
- حسن بن علي بن محمد المسيلي بن علي:101، 102.
- حسن بن محمد بن سلمون المسيلي:96، 102.
- حماد : 08، 09، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 35، 38، 39، 40، 41، 43، 44، 45، 46، 471ن 51، 52، 53، 54، 57، 61، 62، 63، 65، 66، 69، 70، 71، 72، 75، 76، 77، 79، 81، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 90، 91، 92، 94، 95، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 113، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 129، 130، 136، 137.
- حمامة:24، 27، 28، 44.

- خ -

- خلف الحميري:23.
- خليفة بن بكير:28.

- د -

- دوماس:67.

- ر -

- روزنفلد:95.
- ريغلان:28.

- ز -

- زيري بن مناد الصنهاجي:14، 19، 25، 129.

- ص -

- صلاح الدين:20.

- ع -

- عبد الجليل الربعي:97.
- عبد الرحمن بن خلدون: 16.
- عبد الله بن حماد: 27.
- عبد الله بن حمو:111.
- عبد الله بن داوود:110.
- عبد الله شريط:42.
- عبد الملك بن مروان بن القحطان:111.
- عبد الوهاب النويري:41.
- عثمان بن سعيد الداني:100.
- عطية بن الشرف:28.
- عقبة بن نافع: 42.
- علي بن إسماعيل القلعي : 82، 83.
- علي بن عبد الغني الحصري:15.
- علي بن عبد المعطي القلعي: 110.
- علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي:78، 84، 101، 102.
- عمر بن عبيد الله بن زاهر:111.

- ك -

- كثير ابن قيس: 37.
- كرامة بن المنصور بن الناصر بن علناس:26، 124.

- ل -

- لسان الدين ابن الخطيب:20.
- لوسيان جولفان:45.
- ليفي بروفنسال:52.

- م -

- ماتيفيا فسكايا:95.
- مالك بن نبي: 36، 43.
- محمد القلعي:97، 102، 108.
- محمد بن أصبغ بن أبي الدوس:109.
- محمد بن البعيع: 30.
- محمد بن حماد الصنهاجي:109.
- محمد بن عباد:109.
- محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي:85، 102.
- محمد بن علي بن جعفر:78.
- محمد بن عمر القلعي:64، 72.
- محمد بن عيسى:111.
- محمد بن محمد بن أبي بكر المضر القلعي أبو عبد الله:77، 95، 100، 103.
- محمد بن مخلوف بن خلف الله:99.
- محمد بن مزي القلعي:79.
- محمد نسيب: 67.

- ي -

- ياقوت الحموي: 16 .
- يعقو ب بن المنصور: 69 .
- يوسف السنوسي القلعي: 77 .
- يوسف إيخه:70 .
- يوسف بن حماد:؟

3- فهرس الجماعات و الشعوب و القبائل :

- أ -

- الأثبج: 30، 121.
- الأدارسة: 13.

- الأغالبة:13.
- الأفارقة: 105، 106.
- الأمويين:14، 91.
- الأندلسيين: 105.
- الحمادية: 07، 08، 09، 13، 14، 15، 18، 24، 27، 31، 35، 36، 39، 40، 45، 47، 50، 51، 52، 53، 57، 60، 71، 87، 90، 93، 97، 105، 106، 109، 110، 113، 117، 119، 122، 126، 129، 130.0
- الخلافة العباسية: 22، 76، 101.
- الرستميين: 13.
- الزيرية: 14، 15، 19، 20، 21، 22، 23، 27، 97، 107، 117، 129.
- الصقليين: 43، 110.
- العباسيون: 46.
- العبيديين: 14، 93، 125.
- العرب: 28، 30، 32، 37، 44، 50، 72، 82، 100، 120، 122.
- الفارسي: 47.
- الفاطمية: 13، 15، 25، 93، 94، 107.
- الفاطميين: 07، 13، 14، 26، 28، 51، 52، 107، 108، 113.
- المرابطية: 97.
- المرابطين: 29، 40، 66، 68، 108، 109، 113، 117، 120، 122، 123.
- أولاد حمزة: 17، 26.

- ب -

- بربر: 41، 50، 51، 72، 78، 87، 121، 130، 136.
- بنو غانية: 96.
- بني أبي والليل: 23.
- بني الأشقر: 101.
- بني العباس: 14، 27.

- بني حسن: 23.
- بني حماد: 25، 39، 75، 90، 100.
- بني حماد: 13، 16، 19، 20، 25، 31، 35، 39، 40، 41، 43، 44، 45، 46، 47، 50، 51، 52، 53، 55، 57، 61، 62، 63، 65، 66، 69، 70، 71، 72، 75، 79، 81، 84، 85، 86، 87، 88، 90، 91، 94، 95، 98، 99، 100، 101، 102، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 113، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 129، 130.
- بني رباح:30 .
- بني زيان: 51 .
- بني زي زي:
- بنيعبا سد:
- بني عبيد: 27 .
- بني هـ ال: 123 ،117 ،107 ،51 ،41 ،27 ،14 ،32 ،31 ،29 ،17.
-بنيياطوفت : 23.

- ج -

- جراوة: 19، 40، 41، 48، 54، 88.

- ز -

- زناتة: 26، 117، 122، 123، 124.

- س -

- سليم:41.

- ص -

- صناهجة الشمالية: 13.
- صنهاجة: 13، 15، 23، 25، 29، 31، 52، 85، 98، 118، 121، 124، 125، 129.

- ع -

- عجيسة البرنسية: 16
- عياض: 19، 80.

– ك –

– كتامة: 16، 18، 19.

– م –

– مغراوة: 28.

4- فهرس المواقع و الأمكنة و البلدان:

– أ –

– شمال إفريقيا:13، 67.

– إشبيلية:109، 112.

– أشير:14، 18، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 31، 106.

– أغمات:109.

– إفريقية:08، 13، 15، 17، 18، 19، 21، 24، 27، 29، 30، 38، 42، 44، 47، 52، 53، 54، 81، 88، 92، 93، 100، 106، 107، 110، 113، 114، 119، 121.

– الإسكندرية:86، 101، 108.

– الأندلس: 07، 08، 10، 14، 21، 37، 38، 41، 42، 43، 50، 52، 53، 54، 68، 70، 75، 85، 92، 93، 98، 102، 105، 110، 111، 112، 113، 114، 129.

– الأوراس:18.

– البصرة:67.

– الجزائر:10، 25، 31، 32، 106، 119، 120، 124.

– الجزيرة الخضراء: 109.

– الجزيرة العربية:37.

– الحجاز:43، 44.

– الحضنة: 16، 17، 48.

– الشام: 20، 43، 44، 91.

– الشلف: 23، 26.

– العراق:43، 81، 84، 94.

– القاهرة:20، 28، 101.

- القلعة:07، 08، 09، 10، 13، 14، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 25، 26، 27، 28، 30، 31، 32، 35، 38، 39، 10، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 53، 54، 55، 57، 60، 61، 63، 66، 69، 71، 72، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 97، 98، 99، 101، 102، 103، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 124، 129، 130.
- القيروان:08، 15، 17، 21، 23، 24، 25، 27، 30، 38، 40، 41، 42، 48، 51، 53، 54، 61، 76، 80، 81، 82، 88، 89، 100، 101، 103، 106، 107، 109، 113، 119، 120، 121، 122، 129، 136.
- اللبادين:86.
- ألمرية:109، 111، 112، 122.
- المسيلة: 26، 47.
- المسيلة: 14، 16، 17، 19، 20، 24، 40، 41، 82، 88، 95، 96، 100، 106.
- المشرق:07، 10، 15، 44، 50، 53، 57، 67، 70، 75، 84، 85، 86، 88، 94، 101، 105، 108، 110، 124، 130.
- المغرب الأدنى :41، 51، 111.
- المغرب الإسلامي:07، 13، 20، 39، 52، 53، 57، 66، 71، 76، 78، 81، 101، 105، 134.
- المغرب الأقصى: 8، 47، 54، 106، 108، 109، 111، 113.
- المغرب الأوسط: 07، 09، 13، 14، 15، 21، 22، 30، 31، 35، 40، 50، 51، 60، ى79، 80، 93، 108، 109، 110، 111، 112، 114، 121، 123.
- المغرب العربي:42، 47، 53.
- المغرب:07، 08، 10، 13، 14، 19، 25، 28، 29، 32، 35، 37، 39، 41، 42، 50، 55، 60، 61، 63، 64، 65، 66، 68، 69، 70، 76، 98، 108، 110، 111، 114، 117، 121، 124، 129، 130.
- المنصورية: 19.

- المهدية: 19، 29، 30، 94، 97، 107، 120، 121، 124.
- الموصل:67.
- اليمن:85.

- ب -

- باجة:22.
- باغاي:14.
- بجاية: 07، 10، 13، 25، 30، 31، 32، 35، 40، 60، 69، 95، 96، 97، 100، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 130.
- برج حمزة: 109.
- بغداد:15، 22، 43، 76، 101.
- بلاد السودان:44.
- بلاد النوبة: 15.
- بلاد فارس: 37.
- بلاد ما بين النهرين: 18.
- بلنسية: 111.
- بونة: 111، 117، 124.

- ت -

- تسالة:32، 125.
- تلمسان: 18، 41، 106، 109، 120، 123.
- توزر:99، 106.
- تونس: 23، 95، 117، 118، 119، 120، 121، 124، 125، 126.
- تيجس:22.
- تيهرت:18.

- خ -

- خراسان:84، 95، 121، 126.

- د -

- دانية: 111.
- دكمة: 23، 24.
- دمشق:37، 86، 108.

- ز -

- زواوة:24.

- س -

- سبيبة:30، 32، 118، 121.
- سرقوسة: 110.
- سفراين:95.
- سلا:69.
- سلجماسة:98.
- سوق حمزة:24.

- ص -

- صقلية:38، 54، 82، 90، 100، 110، 114، 129.

- ط -

- طبنة:24.
- طرابلس:101.
- طهران:95.

- غ -

- غافق:112.
- غرناطة:90.

- ف -

- فاس:27، 28، 29، 98، 99، 109، 113.

- ق -

- قرطبة:15، 42، 111، 112

- قرين:48، 84، 88.
- قسنطينة: 14، 22، 30، 119، 121، 123، 124.
- قلعة أبي الطويل:16.
- قلعة الطيارة:28.

- م -

- مالطة:38.
- مراكش:97، 98، 109، 113، 124، 125.
- مرسى الدجاج:24.
- مصر: 37، 42، 43، 44، 85، 93، 108.
- معرة:23.
- مقرة:24.

5- فهرس الفرق و المذاهب و الأديان :

- أ -

- الإسلام:29، 36، 37، 38، 43، 53، 54، 59، 62، 64، 79، 84، 129.
- الرافضة: 23.
- الشيعة: 23، 26.
- الصليبيون: 20.
- المذهب الخارجي الإباضي: 39.
- المذهب الشافعي:78، 97، 101.
- المذهب الشيعي:13، 22، 52، 108.
- المذهب الظاهري:78.
- المذهب المالكي: 26، 52، 55، 76، 77، 101.
- المسلمين: 36، 37، 38، 53، 60، 62، 63، 64، 65، 67، 68، 69، 72، 84، 98، 102.
- المسيحيين: 38.
- النصارى: 41.

- اليهود:41.

6- فهرس الملاحق:

الملحق رقم 01: موقع قلعة بني حماد. ..... - 134 -
الملحق رقم 02 : موقع القلعة بالنسبة لمدن المغرب الإسلامي. ..... - 135 -
الملحق رقم 03: شجرة نسب بني حماد ..... - 136 -
الملحق رقم 04: ملامح شخصية حماد...... - 137 -
الملحق رقم 05: النزوح الهلالي و السليمي و المعيقلي على عهد بني حماد. ..... - 138 -
الملحق رقم 06: مئذنة القلعة كما تشاهد اليوم...... - 139 -
الملحق رقم 07: خرائب القلعة عند جبل المعاديد " المعاضيد". ..... - 140 -
الملحق رقم 08: أثار القلعة في جبل المعاديد " المعاضيد "...... - 141 -
الملحق رقم 09: قصر السلام. ..... - 142 -
الملحق رقم 10: منظر من قصر المنار...... - 143 -
الملحق رقم 11: بعض المخلفات من القلعة. ..... - 144 -
الملحق رقم 12: بعض الزخارف و الرسوم و النقوش الكتابية بالقلعة. ..... - 145 -
الملحق رقم 13: بعض القطع من البرونز و المعدن بالقلعة. ..... - 146 -
الملحق رقم 14: زخارف على الفخر بالقلعة...... - 147 -
الملحق رقم 15: نقوش بالحروف العربية على الصخر بالقلعة. ..... - 148 -
الملحق رقم 16: مقابض آنية و زخارف مختلفة بالقلعة. ..... - 149 -
الملحق رقم 17: زخارف و نقوش على قبور المقبرة القديمة بالقلعة...... - 150 -
الملحق رقم 18: زخارف نباتية و هندسية فخارية بالقلعة...... - 151 -
الملحق رقم 19 : حوض حمام و شظايا زجاج بالقلعة...... - 152 -
الملحق رقم 20 قطع زخرفية حمادية...... - 153 -
الملحق رقم 21: قلة من الفخار ..... - 154 -
الملحق رقم (22): الزخرفة على الخزف ذو البريق المعدني..... - 155 -

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء

مقدمة: ..... - 7 -

الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة قبيل قيام الدولة الحمادية

تمهيد:..... - 13 -

1- الموقع الجغرافي للقلعة: ..... - 16 -

2- تأسيس مدينة القلعة :..... - 19 -

3- قيام الدولة الحمادية:..... - 24 -

4- أمراء بني حماد قبل الانتقال إلى بجاية: ..... - 25 -

أ- حماد بن بلكين: 405/419هـ-1014/1028م..... - 25 -

ب- عهد القائد بن حماد بن بلكين 419-446هـ/1028-1054م:..... - 27 -

ج- عهد المحسن بن القائد 446-447هـ/1054-1055م:..... - 28 -

د- عهد بلكين بن محمد بن حماد بن بلكين 446-454هـ/1055-1062م:..... - 28 -

هـ- عهد الناصر بن علناس 454-461هـ/1062-1088م:..... - 29 -

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة العلمية بالقلعة

تمهيد:..... - 35 -

1- العامل الديني" الإسلام " : ..... - 35 -

2- العامل السياسي : ..... - 38 -

أ-الاستقرار السياسي:.....

..... - 38 -

ب- دور الأمراء الحماديين :..... - 39 -

ج- سياسة إسقاط المغارم والمكوس: ..... - 40 -

3- العامل الاجتماعي :..... - 41 -

أ- اختيار عناصر السكان المؤهلة:..... - 41 -

ب- الهجرة القيروانية إلى القلعة :..... - 41 -
ج- الهجرة الأندلسية والصقلية : ..... - 42 -
4- العامل الاقتصادي :..... - 43 -
أ- التجارة ..... - 43 -
ب- الفلاحـة..... - 44 -
ج-الصناعة:..... - 45 -
5-العامل الجغرافي:..... - 47 -
أ- موقع قلعة بني حماد الاستراتيجي:..... - 47 -
ب- التخطيط المعماري للمدينة:..... - 48 -
ج- أهم المباني المتواجدة في القلعة:..... - 48 -
6- انتشار اللغة العربية : ..... - 50 -
7- زحف القبائل العربية :..... - 50 -
8- انتشار المذهب المالكي السني :..... - 52 -
الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية بالقلعة
تمهيد:..... - 57 -
1- المساجد:..... - 58 -
2- بيوت العلماء:..... - 63 -
3- الكتاتيب :..... - 63 -
4- الشريعة :..... - 65 -
5- الزوايا :..... - 66 -
الفصل الثالث: العلوم و أبرز العلماء بالقلعة
تمهيد:..... - 75 -
تصنيف العلوم ..... - 75 -
أولا: العلوم النقلية..... - 76 -
1-الفقه و أصوله:..... - 76 -
2-علم القراءات:..... - 78 -

3-علم الحديث: ..... - 79 -
4-التصوف:..... - 79 -
5-العلوم اللسانية: ..... - 81 -
ثانيا: العلوم العقلية ..... - 84 -
1-علم الحساب:..... - 84 -
2-علم الفرائض: ..... - 84 -
3-التاريخ و الجغرافيا:..... - 85 -
4-الطب والصيدلة:..... - 85 -
رابعا: العمران ..... - 87 -
خامسا: الفنون. ..... - 92 -
سادسا: أبرز العلماء بالقلعة ..... - 94 -
الفصل الرابع: العلاقات الثقافية الخارجية للقلعة
تمهيد:..... - 105 -
1- العلاقات مع الزيريين : ..... - 106 -
2- العلاقات مع الفاطميين: ..... - 107 -
3- العلاقات مع المرابطين:..... - 108 -
4- العلاقات مع صقلية:..... - 110 -
5- العلاقات مع الأندلس :..... - 110 -
الفصل الخامس: اضمحلال القلعة و انتقال الدولة إلى بجاية
1- اضمحلال دور القلعة:..... - 117 -
2 – انتقال الدولة لمدينة بجاية:..... - 117 -
3- ملوك بني حماد ببجاية:..... - 120 -
3-1- الناصر بن علناس : (454 هـ – 481 هـ / 1062 م – 1089 م) ..... - 120 -
3 – 2 – المنصور بن الناصر (481 هـ – 498هـ / 1089 م – 1105 م)..... - 122 -
3 – 3 – باديس بن المنصور (498 هـ – 498 هـ / 1105 م – 1105 م) ..... - 123 -
3 – 4 – العزيز بن المنصور (498 هـ – 515 هـ / 1105 م – 1125 م) ..... - 123 -

3 – 5 – يحيى بن عبد العزيز (515 هـ – 547 هـ / 1125 م – 1156 م) ..... – 124 –
4– وزراء بني حماد ببجاية :..... – 125 –
الخاتمة :..... – 130 –
قائمة المصادر و المراجع..... – 156 –
قائمة المصادر و المراجع:..... – 158 –
الفهـــارس..... – 170 –
1– فهرس الآيات القرآنية:..... – 172 –
2– فهرس الأعلام:..... – 172 –
3– فهرس الجماعات و الشعوب و القبائل :..... – 179 –
4– فهرس المواقع و الأمكنة و البلدان:..... – 182 –
5– فهرس الفرق و المذاهب و الأديان : ..... – 186 –
6– فهرس الملاحق:..... – 172 –
7– فهرس الموضوعات:.....–190–

تم بحمد الله.